

نيل الأمانى في شرح التهانى

لأبي على الحسن اليوسى

دراسة وتحقيق

د. محمد سالمان







مكتبة لسان العرب
https://hmmt55.com/lisaan03

اليوسى، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو على
نور الدين، ١٦٣٠ ـ ١٦٩١.
نيل الأمانى فى شرح التهانى/ لأبى على الحسن
اليوسى، دراسة وتحقيق: محمد سالمان. ـ
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦.
٣٣٦ ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٢ ٠٧٥٩ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الشعر العربى ـ تاريخ ـ العصر العثمانى.
٢ ـ الشعر العربى ـ تاريخ ونقد.
أ ـ سالمان، محمد. (دارس ومحقق)
ب ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٧٦٧٧/ ٢٠١٦
I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0759 - 2

ديوى ٨١١،٨٤

نيل الأماني في شرح التهاني

لأبي علي الحسن اليوسي

(ت ١١٠٢ هـ)

دراسة وتحقيق

د. محمد سالمان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٦

● الكتاب : نيل الأمانى فى شرح التهانى
● المؤلف : لأبى على الحسن اليوسى (ت ١١٠٢هـ)
● تحقيق ودراسة : د. محمد سالمان
● الطبعة الأولى : ٢٠١٦ م.
● طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

إهــــداء

إلى زوجتي الحبيبة التي غيرت كثيراً من مسارات حياتي..

علي وسلمى ورؤى..

شمس حياتى ونهاراتها..

لكم أهدي كتابي ومحبتي.

محمد سالمان

نيل الأماني
في شرح التهاني



تقديم

تراث كل أمة هو رصيدها الباقي، وذخيرتها الثابتة، ومدخرها المعبِّر عمَّا كانت عليه من تقدُّم في كل مجالات الحضارة والثقافة.. والتراث - أيضًا - عنوان حضارة الأمم، ورمز تقدمها ونهضتها، وعنوان مجدها، وكنز ذخائرها.

والأمم بماضيها قبل أن تكون بحاضرها، وهناك فرق كبير بين أمة لها تراث موروث وبين أمة لا تراث لها ولا موروث، وما حرص الأمة العربية علىٰ تراثها إلا لكي تعيش حاضرًا موصولاً بماضٍ.. والتراث - لا شك - هو وسيلتنا إلىٰ هذا الوجود الحي، وهو الحارث علىٰ وجودنا أمة عربية. وأول ما لنا من هذا التراث هو لغته التي كُتب بها وأُبدع من خلالها.. وقد أثبتت لغتنا وجودها إذ اتسعت لحضارات وثقافات مختلفة.

ولقد تعرض تراثنا العربي الكثير من الاعتداءات سواء من أبنائه أو من أبناء أمم مغيرة عليه.. ولذا كان الحفاظ علىٰ هذا التراث يمثل واجبًا وطنيًا في المقام الأول؛ إذ هو نور يضيء لنا الطرق ويمهد لنا السُبل، إذ هو حصننا الآمن في مواجهة التحديات علىٰ اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها.

وما دام التراث كذلك، كان لزامًا علينا أن نقدم هذا الكتاب «**نيل الأماني في شرح التهاني**» للإمام اليوسي، وهو شرح لغوي وصوفي لقصيدته الدالية التي مدح بها شيخه ابن ناصر الدرعي حينما حج الأخير بيت الله الحرام.. والقصيدة خمسمائة وأربعون بيتًا، بقافية الدال المكسورة، لم يكرر اليوسي فيها القافية علىٰ مدار القصيدة، وهي قدرة لا تتأتىٰ إلا لأعاظم الرجال.

والله أسأل أن أكون وفِّقت لبعض ما أبتغي.

اليوسي.. وقصيدته

عرَّف اليوسي بنفسه في كتابه «المحاضرات» بقوله: «أنا الحسن بن مسعود ابن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي ابن عمرو بن يحيىٰ بن يوسف، وهو أبو القبيلة، ابن داود بن يدراسن بن ينتتو؛ فهذا ما بعد من النسب»[1].

وكنىٰ اليوسي: أبو علي، وأبو المواهب، وأبو السعود، وأبو محمد. وجاء في «معلمة المغرب»: «ينتمي الحسن اليوسي إلىٰ قبيلة آيت يوسي التي تندرج تحت لواء اتحادية آيت يدراسن الصنهاجية النازحة من أعالي ملوية إلىٰ شمال غربي الأطلس المتوسط، ولد حوالي ١٠٤٠هـ/ ١٦٣١م»[2].

آيت يوسي[3]، إحدىٰ قبائل الأطلس المتوسط الصنهاجية التي كانت تستوطن سفوح جبل العياشي وملوية العليا وتمتد إلىٰ نواحي فاس وتافيلالت وصفرو وبولمان وميدلت، وكان اسم القبيلة خلال القرن السابع عشر «آيت إدراسن» تلك هي القبيلة التي ولد بها، قبل أن تستقر في الشمال علىٰ عهد المولىٰ إسماعيل الذي كانت له معها مواقف فرضت المواجهة وتركت آثارًا عميقة في النفوس، وإن زالت مظاهرها الخارجية بعد أن أصبح لآيت يوسي وما إليها من القبائل نفوذ في سهل تادلة وسايس والمناطق المتاخمة لهما، بدءًا من فاس إلىٰ مكناس.

---

(١) انظر: عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد لليوسي: ١٦، وكذلك: المحاضرات في اللغة والأدب لليوسي. وورد في «فهرس الفهارس» لمحمد الكتاني: «أبو علي الحسن بن محمد بن علي بن يوسف بن داود بن يدارسن اليوسي البوحديوي..».

(٢) معلمة المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: ٢٢.

(٣) آيت يوسي: الأصل فيها آيِت يوسف، وحذفت الفاء علىٰ عادة أهل هذه المنطقة.

مهما يكن، فإن اليوسي نشأ في بيئة وعرة الطبيعة، تتسم بالحركة البشرية المتنوعة وبالاضطرابات والفتن والثورات.

ومع ذلك ظل مرتبطًا بها، مشدُودًا إليها، باعتبارها مهد طفولته ومرتع صباه، يحن إليها في تعلق يتعدىٰ إحساس الشاعر بالأرض ليبلغ حدًّا يكاد يكون مرضيًا، يصل إلىٰ درجة من التقديس جعلته لا يرضىٰ بها بديلاً حتىٰ حين أتيح له عيش رغد في فاس.

ولقد تركت هذه البيئة في نفس اليوسي ملامح طبعت أصالته، وشكلت ثقافته، وحددت شخصيته، وصقلته بحدة وذكاء أضيفا إلىٰ استقامته وقناعته المعاشية ليجعلا منه في النهاية رجل مواقف ومبادئ يعتز بها ولا يتنازل عنها مهما بلغ الثمن، وإن كان دفعه عاليًا وغاليًا.

وقد زادت في إبراز هذه الملامح عوامل أخرىٰ في طليعتها فقر أسرته وأمية أبيه الذي كان أميًا، ولكنه كان رجلاً متدينًا مخالطًا لأهل الخير، محبًا للصالحين زوّارًا لهم وكان أعطىٰ الرؤيا الصالحة وأعطىٰ عبارتها فيرىٰ الرؤيا ويعبرها لنفسه فتجيء كفلق الصبح، وكان الرجل رغم أميته وفقره مصرّاً علىٰ تعليم ابنه؛ فأدخله الكُتَّاب القرآني، إلا أنه كان كثير الهرب منه لما كان عليه من حياء مفرط.

وتعرَّض في هذه الفترة المبكرة لحادث صدمه وكان له أكبر الأثر عليه، إذ فقد والدته وحرم بفقدانها من عطف الأمومة وحنانها، وغدا يبحث عن تعويض، فلم يجده في غير الانكباب علىٰ التحصيل والتطلع لمزيد من العلم والمعرفة، والخروج لذلك في رحلات ستتيح له أن ينوع ثقافته لتشمل التصوف وعلوم الدين واللغة والأدب، بما في ذلك القصص والأمثال[1]، وأن يوسع نطاق اتصالاته ويختلط بشيوخ العلم والتربية، ويتعرف إلىٰ خبايا مراكز الدراسة وزوايا التصوف، كما ستتيح له أن يحتك بمختلف الفئات والطبقات، وبالعوام خاصة.

---

(١) الفهرست ك ١٢٣٤ ص ١٢٠، ١٢١ (نقلًا عن عبقرية اليوسي): ٢٢.

وقد تحدث عن بداية هذه الفترة فقال: «... فلما توفيت تنكرت علىٰ الأرض وأهلها».

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

وكان ذلك سبب الفتح، فألقىٰ الله تعالىٰ في قلبي قبول التعليم، فدخلت أتعلم، ولم ألبث إلا قليلاً حتَّىٰ جعلت أطلب والدي (رحمه الله) أن يغربني إلىٰ الأمصار طلبًا للقراءة فغربني... لناحية القبلة بعد أن قرأت حزبين، وكان لوحي في سورة والمرسلات عرفا...»[١].

خرج في هذه الرحلة الأولىٰ إلىٰ بلاد القبلة مع أبي إسحق معلم الكُتَّاب، فختم القرآن الكريم وتعلَّم بعض مبادئ العلوم، والعربية منها خاصة. وعاد إلىٰ قبيلته وقد تقوت علاقة الصداقة بينه وبين معلمه الذي بدأ يطلعه علىٰ بعض كتب التصوف، ولا سيما (المورد العذب) لابن الجوزي، وهو كتاب خلف أكبر الأثر في نفسه التي عرفت بواسطته «الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها»[٢].

وقد تقوىٰ هذا الإيمان بالتعرف إلىٰ سيرة أويس القرني وإبراهيم بن أدهم. ولا شك أن تعطشه لهذا النوع من المعرفة هو الذي دفعه في هذه الفترة إلىٰ الخروج لزيارة أبي يعزىٰ وصلحاء ميسور وتغاية.

وتوالت رحلاته الدراسية بعد ذلك، إذ اتجه إلىٰ سوس حيث تلمذ علىٰ أبي بكر الحسن التطافي وأبي العباس الدراوي وأبي فارس عبد العزيز الفيلالي وعبدالعزيز الرسموكي. ثم اتجه إلىٰ مراكش فأخذ عن عيسىٰ السكتاني، وإلىٰ دكالة فإيليغ التي اتصل فيها بأبي حسون السملالي، كما تولىٰ التدريس في تارودانت قبل أن يلتحق بدرعة ليتلمذ علىٰ شيخ الزاوية التمكروتية محمد بن

---

(١) نفس المصدر: ص ١٢٩.
(٢) نفس المصدر: ص ١٣٠.

ناصر الذي حصّل علىٰ يده الكثير من العلوم. وكان ذلك عام ١٦٥٠م، وفي هذه السنة نفسها سافر اليوسي إلىٰ تافيلالت واشتغل فيها بالقضاء، ثم سافر إلىٰ دكالة ولازم أستاذه الكبير محمد بن إبراهيم الاشتوكي.

وإذا كان اليوسي قد عاش حياة التجوال في هذه المرحلة الأولىٰ من حياته، وهو لم يكمل بعد العشرين من عمره، فإنه حين التحق بالزاوية الدلائية عرف الاستقرار والطمأنينة النفسية والمادية، إذ صاهر الدلائيين وأتم دراسته علىٰ شيوخهم، أمثال: محمد المرابط، ومحمد بن عبد الرحمن، ومحمد بن محمد ابن أبي بكر الدلائي، ولا شك أنه في رحاب هذه الزاوية التي أقام فيها زهاء تسعة عشر عامًا، أكمل المؤهلات العلمية التي برَّز بها في مجال التدريس والتأليف.

وفي تلك الظروف التي عاشها المغرب في أوائل العهد العلوي، بسبب مشاكل انتقال السلطة، خرّب المولىٰ الرشيد زاوية الدلاء في ٨ من المحرم سنة تسع وسبعين وألف، وأخذ اليوسي معه إلىٰ فاس[1].

ولكن يبدو أن أي مجتمع بعد مجتمع الدلائيين لم يعد يملأ عينه، فلم يلبث أن ضاق في هذه المدينة التي لم يطلب له بها المقام لأسباب استثقل بها سكناها «منها الطبع، فإني لم أولد فيها، بل في الفجاج الواسعة بين الشيح والريح والجنوب والشمال... ومنها فساد طبع العيال والأولاد والأصحاب، ونخشىٰ ذلك نحن أيضًا في أنفسنا من جهات: إحداها تعلم الشهوات والاتساع فيها، وإن كنا بالبادية لا نعرفها، ووجدنا آباءنا يعيشون بما وجدوا قانعين به... ثانيها الوقاحة في ذلك وقلة الحياء... ومنها مقاساة أهلها والتعرض لإذايتهم وفتنتهم...».

مهما تكن أسباب ضجر اليوسي من فاس فإنه استغل الأزمة التي تعرضت

---

(١) ولم يعرضه للنفي أو السجن أو التشريد، كما فعل مع بقية أعضاء الزاوية، وكان منهم من فر إلىٰ فاس وحاول اللجوء إليها فأخرجه منها السلطان.

لها المدينة سنة أربع وثمانين وألف أول عهد المولىٰ إسماعيل، ليستأذنه في الخروج منها، متجهًا نحو الشمال في زيارة لتطوان وجبل بني زروال، حيث أقام بشعب بني فيه دويرات، راضيًا بالتعليم في البادية، علىٰ حد ما فعل بعد ذلك حين أنشأ زاوية في خلفون بالقرب من الحنيفرة علىٰ ضفاف أم الربيع؛ إلىٰ أن جاءه أمر السلطان بالرحيل خشية بقائه في الوسط البربري الذي كان متعلقًا من قبل بالدلائيين، فغادرها سنة خمس وثمانين، واتجه إلىٰ مراكش وأقام فيها يدرس بجامع الشرفاء لمدة خمس سنوات وهي أطول فترة يقضيها مستقرًا، وهناك أسسَّ فرعًا للزاوية الناصرية بحي رياض العروس، ثم أُذِن له في العودة إلىٰ خلفون عام تسعين؛ ومنها أمر بالانتقال إلىٰ مكناس، حيث أقام خمسة أشهر صدر له الأمر بعدها بالذهاب مرة ثانية إلىٰ مراكش، فقصدها سنة اثنين وتسعين، وفيها بقي ثلاثة أعوام مشتت القلب مضطرب النفس لا يملك غير التوسل إلىٰ الله، وفي ذلك قال[1]:

تشتت قلبي في البلاد فقسمة ... بمراكش منها علىٰ رجل طائر
وأخرىٰ بخلفون وأخرىٰ مقيمة ... بمكناسة الزيتون حول الدفاتر
وأخرىٰ بفازاز وأخرىٰ تجزأت ... بملوية الأنهار بين العشائر
وأخرىٰ بذاك الغرب بين أحبتي ... بأهل البوادي منهم والحواضر
فيارب فاجمعها فإنك قادر ... عليها وما غير الإلاه بقادر
ويارب فاجعلها بأوطانها فما ... عبيدك للبين المشت بصابر
لك الفضل والإحسان بدءًا وآخرًا ... وإني لما أوليتني جد شاكر
فمنَّ بانعام وجد لي بحاجتي ... ورفق بقلب للهموم مسامر

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب: لليوسي: ص ١٢٥، ١٢٦ (ط. حجرية).

ويبدو أن اليوسي - وقد بدأت تتقدم به السن - لم يعد يطيق مثل هذه التنقلات المفروضة، وهو الذي كان يسعىٰ إلىٰ الرحلة والتجوالِ مؤمنًا ومقتنعًا بأن «المولىٰ تعالىٰ من لطيف حكمته وسابغ نعمته كما لم يخل عبدًا من عباده من فضل عاجل أو آجل ظاهر أو باطن كثير أو قليل، كذلك لم يخل بقعة من بقاع الأرض من فضل، ولم يعر بلدة من مزية يتعلل بها عمارها حتَّىٰ لا يتركوها»[1].

ولعله أدرك الأسباب الحقيقية التي تكمن خلف الأوامر المتلاحقة بالإقامة والمغادرة، بل أدركها كذلك أصدقاؤه ومحبوه، فتوسلوا من أجله إلىٰ الله في مثل هذه الأبيات التي أنشأها أحمد بن عبد القادر التستاوتي[2]:

يارب بالهادي وبالأصحاب	وبسائر الأوتاد والأقطاب
وبكل عبد في البرية صالح	وبجملة الأملاك والكتاب
أمِّن بفضلك مهجة الحسن بـ	ـن مسعود من الأنكاد والأوصاب
واشمله باللطف العميم وكن له	وانصره نصر مهيمن وهاب

وقد بلغت أزمة اليوسي ذروتها حين أمر بالذهاب إلىٰ الزاوية الدلائية المخربة في منفىٰ استمر من سنة خمس وتسعين إلىٰ ثمان وتسعين. ولم يكن غريبًا أن يصدر هذا الأمر في هذه الفترة التي كان فيها المولىٰ إسماعيل يغزو بلاد ملوية، مضطرًا قبيلة اليوسي وجاراتها للفرار إلىٰ الجبال للتحصن والاعتصام. فقد تحدث التاريخ أنه في «سنة ست وتسعين وألف... خرجَ السلطان غازيًا بلاد ملوية وجعل طريقه علىٰ مدينة صفرو، ففرت قبائل البربر إلىٰ رؤوس الجبال، وهم آيت يوسي وشغروسن وأيوب وعلاهم وقادم وحيون ومديونة،

---

(١) نفس المصدر: ص ٤٢، ٤٣.

(٢) تحفة الناظر للتستاوتي، كـ ١٦٦٩، ص١٢٥ (نقلًا عن عبقرية اليوسي): ٢٦.

فأمر السلطان ببناء قلعة بآعليل وأخرىٰ علىٰ وادي كيكو من أسفله وأخرىٰ علىٰ وادي سكورة، وأخرىٰ علىٰ وادي تاشواكت، ثم خرج السلطان بملوية ففرت القبائل المذكورة إلىٰ جبل العياشي وتفرقوا في شعابه، فأمر ببناء قلعة بدار الطمع وقلعة بتابوست وقلعة بقصر بني مطير وقلعة بوطواط وقلعة بالقصابي، وأقام علىٰ نهر ملوية يبث السرايا ويشن الغارات علىٰ البربر قريبًا من سنة، والعمل مستمر في بناء القلاع إلىٰ أن أكملت أسوارها وأنزل... بكل قلعة أربعمائة من خيل العبيد بعيالهم، وجاءت وفود البربر تائبين طائعين فأمنهم علىٰ شرط دفع الخيل والسلاح فدفعوها»[1].

وإذا كان اليوسي عاش في هذا الظرف محنة تذكر بتخريب الزاوية، وإن أتيح له رغم كابوسها المزعج أن يكتب (المحاضرات) ورسالة (جواب الكتاب)، فإنه كان في هذه المرة علىٰ موعد مع مسلسل آخر من التنقلات الفجائية، إذ أمر بالخروج من الزاوية عام ثمانية وتسعين ليرحل في غير هدىٰ إلىٰ مكناس لحضور درس سلطاني في التفسير ألقاه القاضي أبو عبد الله المجاصي في نفس العام، ونزل شعاب حمود مدة سبعة أشهر، ومنها إلىٰ صفرو لفترة ستة أشهر وفاس مدة سبعة أشهر، ليتجه بعد ذلك إلىٰ العرائش ويزور زوايا الشمال مع تلميذه ابن زاكور، ثم عاد إلىٰ فاس، ولكنه غادرها سنة ألف ومائة في صحبة أسرته التي سيتركها في قرية تمزيزت ليرحل إلىٰ الحجاز في وفد رسمي مبعوث من لدن السلطان.

وفي سنة اثنين ومائة وألف، عاد من الحج والتحق بأسرته في تمزيزت، حيث توفي في العام نفسه[2] ودفن هناك، ثم نقل رفاته بعد عشرين عامًا إلىٰ المدفن

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ: لأحمد بن خالد الناصري، ج ٧، ص ٦٨.

(٢) هذا وقد أخطأ الذين جعلوا وفاته سنة ١١١١ كالجبرتي في تاريخه، وجورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية، والبغدادي في هداية العارفين وإيضاح المكنون، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية. وعن الجبرتي نقل الزركلي في الطبعة الأولىٰ من أعلامه، ثم صحح=

الذي يوجد عليه حاليًا ضريحه.

مواقف جريئة:

عاش اليوسي في عصر يغلي بالأحداث والتحولات السياسية والثقافية، ويسعىٰ في البحث عن بنيات جديدة يأخذ بها طريقه نحو الانضباط والاستقرار، وكان يشعر بمسئوليته نحو مجتمعه بجماهيره وقياداته الحاكمة والمفكرة.

ومن ثم، فإنه بفكر علمي مستقيم ونفسية متقدة أبية وروح صوفية شفافة وشجاعة، طرح كل الإشكاليات التي تولدت عن هذا الوضع، بما في ذلك نظام الحكم الذي حاول توجيهه وتنبيهه ولفت نظره إلىٰ ما يقومه ويصححه ويحقق له المشروعية والشعبية.

وقد شهد له بذلك المؤرخون والدارسون، فوصفه الكردودي بأنه «كان قوالاً للحق يخاطب به السلطان ولا يبالي»[1]، وقال عنه القادري أنه «كان ماهرًا في المعقول والمنقول بحرًا زاخرًا لا تأخذه في الحق لومة لائم، وقد بالغ في الذب عن الشريعة والحرص علىٰ تقرير أصولها الرفيعة، فقد كان سيفًا من سيوف الدين وقاطعًا لحجج المبطلين، لا يخاطب السلطان إلا بصريح الحق مشافهة ومكاتبة»[2].

وذكره الزياني مع معاصريه من قضاة العدل كعبد السلام جسوس والحسن ابن رحال وسعيد العميري، وزاد فاعتبره «سابق حلبتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإقدام علىٰ السلطان، يقول الحق والنكير علىٰ الولاة فيما

= في الطبعات التالية، وإن كان يرىٰ أنه إذا كان اليوسي حج سنة ١١٠٢ وتوفي بعد عودته من الحج فإن وفاته تكون سنة ١١٠٣، خلافًا لسائر الروايات؛ ولكن الصحيح أنه حج سنة ١١٠١ كما في الرحلة والمصادر التي تحدثت عنها وعن صاحبها، وكما عند القادري في النشر والزياني في البستان وآخرين؛ وبذلك تكون وفاته سنة ١١٠٢. انظر: عبقرية اليوسي:٢٨.

(١) الدر المنضد للكردودي الورقة ٢١٧، نقلًا عن عبقرية اليوسي: ٧١.

(٢) التقاط الدرر للقادري، ص ٦٤. نقلًا عن عباس الجراري من عبقرية اليوسي: ٧١.

يرتكبونه من الجور علىٰ الرعايا... فإنه كان كثيرًا ما يخاطب السلطان في النوازل والحوادث تارة بوجه الشفاعة وتارة بالوعظ ومرة بالنكير، ولاقىٰ منه مكاره تارة بالعتب وتارة بالرد وتارة بالهجران، وكان لا يرده ذلك عن مخاطبته»[١].

وقد ظهرت حرب اليوسي للانحرافات الدينية في أكثر من مناسبة، فعند حديثه عن الشجرة الخضراء التي اشتهرت بسجلماسة وكثر تعلق الناس بها إلىٰ حد أمر بعض الفقهاء بقطعها، يقول: «فليعلم الناظر أنها إنما هي شجرة لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، ومثلها أحق أن يقطع»[٢].

وهو ينبه علىٰ الرجل الذي ظهر في سجلماسة، وشاع عنه أنه ولي وأنه صاحب الوقت، وخرج الناس لرؤيته، وكذلك أمير البلد؛ وتعذرت رؤيته فدخل قبة في المقابر «فأخرج كفه من طاق في القبة فجعل الناس يقبلون الكف وينصرفون... ثم بعد أيام سمعنا أنه ذهب إلىٰ ناحية الغرفة، وأنه سقط في بئر هنالك ومات؛ فظهر أنه رجل مصاب، وكان يشتغل باستخدام الجان ونحو ذلك فهلك»[٣]. ومثله الرجل المدعي الصلاح بهسكورة، وهو يفعل الفاحشة[٤]؛ وكذلك الرجل الذي كان يعد الناس بأن يبلغهم إلىٰ مكة ويحج بهم في طرفة عين، ولكن بعض الأشراف اختبروه وطردوه بعد أن قبل رفع الصلاة عن أحدهم مقابل مبلغ من المال، ثم تبين بعد ذلك أنه يهودي[٥].

وكان إحساس اليوسي بوجوب محاربة كل الخرافات يحثه علىٰ ربط هذا الوجوب بمسئولية العالم في المجتمع، ويجعله يرىٰ أنه «إذا ظهرت البدعة

---

(١) تحفة الأعلام للزياني، ك ٢٢٤، ص ١٦٢، عبقرية اليوسي: ٧٢.

(٢) المحاضرات: ٣٦.

(٣) المحاضرات: ٣٨، ٣٩.

(٤) المحاضرات: ٣٩.

(٥) المحاضرات: ٣٩، ٤٠.

وسكت العالم فعليه لعنة الله»[١].

وعلىٰ الرغم من أن رأي اليوسي وموقفه واضحان بما لا يدع مجالاً للشك في عقيدته وسلوكه، فإنه تعرض لبعض الطعن من لدن بعض الكُتَّاب الذين لم يتصوروا إمكان توفيقه بين السنية والتصوف، في خلط عندهم بين التصوف السني التعبدي القائم علىٰ الاقتداء بالرسول (ﷺ) والعمل بما يرضي الله ويقرب إليه بعلم ومعرفة، وبين طرقية الجهال المشعوذين؛ والسبب أن الخيط بينهما رفيع دقيق لا يستطيع إدراكه غير القليلين.

شيوخه:

إقرارًا من اليوسي بفضل شيوخه عليه خلَّد تراجمهم في فهرسة، وإنصافًا لهؤلاء الشيوخ علىٰ كثرتهم، اعتذر لمن فاته ذكره بسبب طول العهد بينه وبينه، فطواه النسيان، وفي ذلك يقول: «ثم المراد ذكر من ظهر بخصوصية وفضيلة، لا كل من استفدنا منه شيئًا إذ لا نحصيه، بل كثير ممن حصل لنا منه ضبط القرآن أو تجويده في زمن الصغر لم نذكرهم لكثرتهم، ومنهم من لم نثبت عليه أو علىٰ اسمه، جزىٰ الله جميعهم خيرًا، وجمعنا وإياهم في حظيرة القدس عند النظر إلىٰ وجهه الكريم، مع الذين أنعم الله عليهم آمين..»[٢].

وفي الفصل الأول من «الفهرسة» أتىٰ اليوسي علىٰ الترجمة الوافية لشيوخ التعلم، وهكذا بلغ عدد الأشياخ المترجم بهم في «الفهرسة» واحدًا وعشرين شيخًا، مع ذكر جماعة أخرىٰ من الشيوخ ممن حصل الانتفاع بهم، والاكتفاء بالدعاء لهم بالرحمة والغفران، يقول الأستاذ عبد الله المرابط الترغي في عرض «فهرسة اليوسي»: «ذكر شيوخه المغاربة الذين أخذ عنهم، واعتمد عليهم في الدرس والتكوين، ويسمِّي منهم تسعة شيوخ، كل منهم اشتهر أمره بفاس،

---

(١) المحاضرات: ٤٠.

(٢) حواشي اليوسي علىٰ شرح كبري السنوسي: ١٦ وما بعدها.

وانشغل بالتدريس والتأليف، في مقدمتهم: والده محمد بن إدريس العراقي، والقاضي أبو الحسن علي الشدادي، والمحدث أبو القاسم ابن سليمان، ومحمد ميارة الصغير، وابن زكري، وأبو الحسن الحريشي، وأبو العباس بن مبارك اللمطي، وابن عبد السلام بناني..»[1].

وقد أحسن الهشتوكي صنعًا عندما ذكر طائفة من المعلومات تتصل بالشيوخ والمراكز العلمية التي تردد عليها اليوسي بالجنوب المغربي، ويمكن تقسيم هذه المراكز العلمية إلىٰ:

مركز دكالة: وقد صحب هناك شيخه محمد بن إبراهيم الهشتوكي.

بلاد ركراكة: ومن شيوخه هناك: عبد الله بن أحمد بن رحال، ومحمد بن موسىٰ، وأبو جمعة بن مسعود، وسعيد بن عبد القادر الركراكيون.

بلاد سوس: أخذ عن أبي زيد التمنرتي عن الشيخ عبد الله بن المبارك الأقاوي عن الولي الصالح سيدي إبراهيم بن محمد عن والده سيدي محمد بن إبراهيم عالم جزولة وقطبها.

مركز تيزنيت: أخذ فيه عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الرافع نسبه إلىٰ الشيخ عبد القادر الجيلاني.

جزولة/ إيليغ: وأخذ عن أعلامها كالقاضي الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن عبد الله السملالي، والشيخ أبي محمد عبد الله بن سعيد السملالي، والشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله أخ الشيخ إبراهيم بن عبد الله، والشيخ الأديب اللغوي أبي سلطان عبد العزيز اليعقوبي، وعن الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي وعلي بن أحمد الرسموكي.

تارودنت: وعلىٰ رأسها أبو زيد القاضي عبد الرحمن التمنرتي.

الزاوية الناصرية: حيث التحق للتتلمذ علىٰ يد القطب ابن ناصر الدرعي.

---

(١) فهارس علماء المغرب: عبد الله المرابط الترغي: ١٨٤.

الزاوية الدلائية: وأخذ عن أعلامها محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي وأبي عمرو بن محمد بن أبي بكر.

هذا بالإضافة إلىٰ من لقيهم من الشيوخ من بلاد سجلماسة أبي العباس أحمد الدراوي إمام القصبة السجلماسية، وقاضي سجلماسة أيضًا الفقيه المشارك محمد بن عبد الله الحسني، ودرعة وفاس وباقي المناطق الأخرىٰ، وتذاكر مع غير هؤلاء كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي والشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد السوسي المرغيثي وغيرهم مما يضيق المقام بتقصيهم جميعهم.

تلاميذه:

اشتهر من تلاميذ الشيخ الإمام الحسن بن مسعود اليوسي كل من: أحمد ابن محمد بن ناصر الدرعي الذي اشتهر في فن الحديث، ومحمد بن يعقوب الولالي، وعلي بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالمراكشي، وقد أخذ عنه العربية والفقه والفرائض والحساب، والحسن بن علي الهلالي وكان مجتهدًا في التعليم والتعلم، وأحمد بن حمدان التلمساني المحدث، ومحمد الصغير الفاسي بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وأبي عبد الله بن زاكور، وعبد الوهاب بن محمد بن الشيخ، وعبد الكريم بن علي التدغي، وعلي بن عبد الرحمن الدرعي، وأحمد الشدادي..

وكفىٰ العلّامة اليوسي فخرًا أن من بين تلامذته ممن أصبحوا من فحول العلماء كأبي سالم العياشي وأبي الحسن النوري وأحمد بن مبارك وأبي عبد الله التازي، وأحمد الولالي ومحمد العربي القادري ومحمد بن عبد السلام بناني وأبي عبد الله بن زاكور والحسن بن رحال المعداني، والحسن بن رحال المعداني، وذكر تلميذه أبو عبد الله بن زاكور في مدحه: «فلازمت منه بحرًا زاخرًا ونظمت من نفيس فوائده لؤلؤًا فاخرًا... وأبان لي عن وجوه خزائن الأدب

وفروعه...»[1].

وتجدر الإشارة أن فضل العلامة اليوسي علىٰ طلبة العلم وأهله لم يقتصر علىٰ داخل المغرب، بل كذلك خارجه، ومثال ذلك علىٰ سبيل الذكر لا الحصر هو أنه قد استدعي من قبل فئة من علماء صفاقس طرابلس الغرب أثناء إقراره أداء مناسك الحج عام ١١٠١هـ، أي قبل وفاته بسنة لإعطاء الإجازة واستجاب لهذا الطلب. وأقام العلامة اليوسي بطرابلس الغرب وأجاز هؤلاء العلماء بتاريخ يوم ٢٤ شعبان عام ١١٠١هـ.

وفاته:

وتوفي (رحمه الله) كما ذكر القادري: «عقب عودته من الحج يوم الاثنين خامس عشر ذي الحجة متم عام اثنين ومائة وألف (١١٠٢هـ)، ودفن بإزاء داره بموضع يعرف بقرية تمزيزيت بقرب صفرو علىٰ أقل من مرحلة من فاس، ونقل بعد نحو عشرين سنة إلىٰ موضع آخر هنالك فوجد كما دفن (رضي الله عنه) علىٰ ما حكي»[2].

أقوال العلماء فيه:

حلاه القادري بقوله: «كان صاحب الترجمة (رحمه الله) عالمًا ماهرًا في المعقول والمنقول، بحرًا زاخرًا في المعارف والعلوم، وخص عن أهل عصره بالصدع بالحق بين يدي خليفة الوقت اعتناء به ومبالغة في نصحه ومحبته فيه، راجيًا منه أن يكون علىٰ سيرة الخلفاء، وقيامًا منه بالذب عن الدين وحماية للرعية وحرصًا علىٰ سنن المهتدين.. وأقبل الناس عليه إقبالاً عظيمًا، فكان حيثما قرأ أطبق الناس عليه وغص عليه المجلس بالخلائق ما لا يتفق لغيره، مع استمالة العامة إليه..».

وقال في موضع آخر: «وكان صاحب الترجمة آية في المعقول والمنقول وإليه

---

(١) مقال «فضل العلامة الحسن اليوسي علىٰ طلبة العلم المشارقة والمغاربة» بموقع الرابطة.

(٢) نشر المثاني للقادري ضمن موسوعة أعلام المغرب: ٥/ ١٨٠١.

المرجع فيهما، وآية في النبل والإدراك، مع الحظ الوافر في الأدب وحفظ دواوين الشعر، يستحضر ديوان أبي تمام وأبي الطيب والمعري ويسرد قصائدها عن ظهر قلب»[١].

وقال عنه عبد الله كنون: «أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، نسبة إلىٰ آيت يوسي، قبيلة في عداد بربر ملوية، نابغة علماء هذا العصر ومن أفضل المتحققين بالعلوم العقلية والنقلية علىٰ سبيل العموم.. انتشرت عنه فنون المعارف في قبائل المغرب، ولم يأل جهدًا في التعليم والإرشاد والإصلاح والتذكير، إذ كان علىٰ قدم السلف الصالح في حسنِ الهدي وإقامة شعائر الدين حتىٰ قال فيه عصريه العلامة أبو سالم العياشي:

من فاته الحسن البصري يدركه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه[٢]

وعن أدبه يقول المؤرخ الأديب محمد بن تاويت: «فاليوسي إذن يمثل الحركة الأدبية في معظم النصف الثاني من القرن الحادي عشر إلىٰ نهايته.. وهو خير من يمثل هذه الحلقة لما توفر عليه من أدب قوي وسعة ثقافة، وكان في الشعر بتلك العارضة القوية والقدرة في نظم قوافيه الطوال بكل يسر وسهولة.. وديوانه المطبوع يشهد له بمكانة ممتازة في قرض الشعر الجزل وفي أسلوبه الأخاذ بسحر بيانه.. وعلىٰ الجملة، فإن اليوسي يُعد مفخرة من مفاخر المغرب النير المستنير بعلومه وآدابه، وإطلالاته المشرئبة علىٰ آفاق العالم الإسلامي، وإشراقاته الصوفية الناصعة»[٣].

***

(١) المصدر نفسه: ن. ص.
(٢) النبوغ المغربي في الأدب العربي. عبد الله كنون: ٢٨٥.
(٣) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصىٰ: محمد بن تاويت: ٣/ ٧٤٠.

إنتاج اليوسي العلمي:

ترك اليوسي ثروة أدبية وعلمية ضخمة وثرية تدل علىٰ ثقافته وعلمه وتصوفه، وفيما يلي مسرد بهذه المؤلفات وأماكن وجودها[1].

أولاً: كتب اليوسي وتقاييده وأشعاره ومنظوماته:

١- أدب:

١- الديوان (جمعه ولده بعد وفاة والده)

طبع علىٰ الحجر بفاس، وتوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة في خزانة الرباط العامة:

الأولىٰ ضمن مجموع عدد ٣٢ ج.

الثانية رقمها ج ١٥٧.

الثالثة تحمل رقم ك ٤٩١.

كما توجد منه ثلاث نسخ أخرىٰ في المكتبة الملكية بالرباط تحمل الأرقام الآتية: ٣١٢ - ٢٣٣٩ - ٦٥٤٩.

كذلك توجد مخطوطات للديوان بباريس والجزائر.

وذكر الأستاذ عبد الله كنون (النبوغ ج ١ ص ٢٨٦) أنه وضع منتخبًا من هذا الديوان، ولكنه لم يطبع علىٰ حد ما كتب، وقد قام الباحث التونسي عبد الحي محمد المنيف بتحقيق الديوان، ونال بهذا التحقيق دبلوم الدراسات العليا (دكتوراه السلك الثالث) من كلية آداب جامعة الجزائر، كما أحرز به جائزة المغرب سنة ١٩٦٩م.

٢- القصيدة الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر، ومطلعها:

عـرج بمنعرج الـهـضـاب الـورد ... بين اللصاب وبين ذات الأرمـد

---

(١) «عبقرية اليوسي» للأستاذ عباس الجراري وعنها أخذت هذه البيبليوجرافيا.

عارض بها دالية البوصيري في مدح الشاذلي والمرسي.

وردت في ديوان اليوسي المطبوع، وفي كثير من مصادر ترجمته وغيرها.

وطبعت مع شرحها، وهو لليوسي أيضًا، في مصر سنة ١٢٩١ (الإسكندرية) و١٣٢٩ (القاهرة)، وتوجد منها نسخ مخطوطة كثيرة في الرباط وفاس والقاهرة وباريس، نكتفي منها بنسخة خزانة الرباط العامة رقم ٧٩ د ونسخة المكتبة الملكية (الزيدانية) رقم ٣٦٣٣ (ضمن مجموع غير مرقم).

٣- نيل الأماني في شرح التهاني (شرح القصيدة الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر)، وهي موضوع كتابنا.

طبع بمطبعة الكوكب الشرقي في الإسكندرية سنة ١٢٩١، وبمطبعة التقدم في القاهرة سنة ١٣٢٩.

وتوجد منه نسخ مخطوطة بالرباط والجزائر والقاهرة وباريس، نذكر منها ثلاث نسخ في خزانة الرباط العامة مسجلة في حرف د، وأرقامها ٧١٢ - ١٢٩٢ - ١٦٠٤.

٤- القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية، وأولها:

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا فيأبىٰ ويعتاض العقيق بها حمرا

وهي تشتمل علىٰ اثنين وستين ومائة بيت.

وردت في ديوان اليوسي المطبوع، وفي بعض مصادر ترجمة اليوسي وغيرها، وتوجد منها نسخ مخطوطة، نكتفي بالإشارة منها إلىٰ نسخة خزانة الرباط العامة الواردة ضمن مجموع ١٦٣ د (من ٩٨ إلىٰ ١٠٣).

كتب عليها محمد بن أحمد الشاذلي شرحًا أتمه محمد البكري (وهو مخطوط بخزانة الرباط العامة في نسختين: الأولىٰ ك ٢٤٨، والثانية ٢٢٩٥ د ضمن مجموع، ابتداء من ص، ٢٦٢)، كذلك كتب عليها أبو عبد الله محمد بن المهدي بن سودة شرحًا في ستة أسفار ذكر صاحب دليل المؤرخ

(ج ٢ ص ٤٢٦ ط. دار الكتاب) أنها توجد عند أحفاده.

٥- شعر في مدح خير البرية، أوله القصيدة المشهورة:

جد في سيرها فلست تلام هذه طيبة وهذا المقام

يوجد مخطوطًا في خزانة الرباط العامة ضمن مجموع ٧٧٤ د.

٦- قصيدة طويلة أولها:

هذا مقام السر والحرفان قدما مقام الأمن والإيمان

وردت في ديوان اليوسي المطبوع، وفي «هداية الملك العلام» للهشتوكي (مخطوط خزانة الرباط العامة ق ١٩٠ من ٣٠٧ إلىٰ ٣١٠).

٧- أشعار مختلفة.

وردت في ديوان اليوسي ومصادر ترجمته وكذلك في الكتب الآتية:

أ) مجموع بالمكتبة الملكية ٢٨٥٠ (غير مرقم).

ب) مجموع آخر بنفس المكتبة (الزيدانية) ٣٦٢٨ (غير مرقم).

ج) مجموع بمكتبة تطوان العامة ٦٢١.

د) مجموع آخر بنفس المكتبة ٥١٨.

هـ) كناش بمكتبة تطوان كذلك ٣٢٧ الورقة ٦٢ - ١٤٩.

و) النبوغ المغربي للأستاذ عبد الله كنون (ط. دار الكتاب) ج ٢ (مختارات نثرية) ص ٣٠٧ وج ٣ (مختارات شعرية) ص ٣٧ - ٨٠ - ١٣٣ - ١٥٩ - ٢٣٠ - ٢٥٦ - ٢٧٧).

٨- الرحلة (سجلها ولده حين صحب والده إلىٰ الحج).

مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم ٢٣٤٣ وبخزانة الرباط العامة رقم ك ١٤١٨ (معها الفهرسة).

٩ - زهر الأكم في الأمثال والحكم.

يوجد مخطوطًا في المكتبات الآتية:

أ) خزانة الرباط العامة ٧١ د - ١٩١ د - ١٠٠١ د - ١١٥٩ د - ج ٥٩٦ - ج ٨٤٤ - ق ٣٨٨ - ك ١٦٧٩.

ب) مكتبة القرويين بدون رقم.

ج) المكتبة الوطنية بالجزائر ١٨٤٢٨٠.

د) المكتبة الوطنية بباريس ٥٢٣٠٤.

هـ) دار الكتب المصرية ١٤٠٩٧ - ١٤٨٤٢ وقد نشره الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر في ثلاثة أجزاء، وصدر عن دار الثقافة بالدار البيضاء ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ضمن منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب.

١٠ - المحاضرات.

طبع علىٰ الحجر بفاس سنة ١٣٢٧، وتوجد منه نسخة مخطوطة فريدة بخزانة العطارين بتونس انتسخت بعد وفاة المؤلف بأربع سنوات، وتوجد نسخ أخرىٰ مخطوطة في الرباط والقاهرة وباريس، منها نسخة خزانة الرباط العامة كـ٢٣٢٩، وقد أعيد طبع المحاضرات ضمن منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة الأدب ١) بعناية الدكتور محمد حجي (الرباط ١٣٩٦ - ١٩٧٦).

توجد نقول من المحاضرات كثيرة في مصادر ترجمة اليوسي وغيرها من المجاميع والكناشات نذكر منها مجموع مكتبة تطوان العامة رقم ٨٥٠م.

وتجدر الإشارة إلىٰ أن جريدة (العلم) نشرت خلال شهر رمضان ١٣٩٩ (يوليو ١٩٧٩) فصولاً مختارة من كتاب «المحاضرات» بعنوان: «جولة مع الحسن اليوسي في كتابه المحاضرات».

١١ - الفهرست (لم يكملها المؤلف).

توجد منها نسختان مخطوطتان في المكتبة الملكية بالرباط ١١٣٨

و٥٤٧٠، كما توجد نسخ متعددة في خزانة الرباط العامة أرقامها: كـ١٤١٨ (مع الرحلة) - كـ١٢٣٤ ضمن مجموع (من ١٠٣ إلىٰ ١٤٧) - كـ١٣٠١ ضمن مجموع (من ص١٣٤ إلىٰ ١٦٤) - ١٨٣٨د ضمن مجموع (من ص ٧٧ إلىٰ ١٧٠).

١٢ - شرح تلخيص المفتاح للقزويني (لم يكمله).

ذكره الكردودي في الدر المنضد ١٥٨٤د الورقة ٢١٨ و.

١٣ - القانون.

طبع علىٰ الحجر بفاس سنة ١٣١٠ و١٣١٥.

توجد منه نسخ مخطوطة في المكتبات الآتية:

أ) المكتبة الملكية بالرباط رقم ٦٦٤٣.

ب) خزانة الرباط العامة أرقام ق ٩٣١ - ج ١٣٠٤ - ٢٣٨٢د - ٢٣٥٩د.

ج) خزانة تمكروت رقم ١٩٢٣.

د) ظاهرية دمشق ٧٩٣٤.

هـ) المكتبة الوطنية بباريس رقم ٥٢٩١.

١٤ - الكناشة العلمية (تشتمل علىٰ فوائد في التفسير والحديث والتصوف والتراجم) مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم ٥٩٩٥.

٢ - تصوف:

١٥ - تأليف في الهيللة.

ذكره القادري في نشر المثاني، ومحمد الفاطمي الصقلي في تقديم كتاب «القانون» لليوسي ص١، وقال عنه: إنه تأليف كبير. وذهب د. محمد حجي في «الزاوية الدلائية» ص١٠٢ (هـ) إلىٰ أن كتاب الهيللة هذا هو «مشرب العام والخاص».

١٦ - تذكرة الغافل.

ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (م١ ص٢٧٥) وهداية العارفين (م١ ص٢٩٦).

١٧ - الدر المصون.

ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (م١ ص٤٤٨) وهداية العارفين (م١ ص٢٩٦).

١٨ - شرح قصيدة «عقد جواهر المعاني في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني» لأحمد بن المختار بنخدة الراشدي، وأولها:

أقول لمن أعيي الطبيب علاجه وقد مل من شرب الدواء لعلة

ألا لذ بمحيي الدين يا طالب المُنىٰ وعول عليه في الأمور المهمة

ذكره عباس بن إبراهيم في الأعلام (ج٣ ص١٦١ ط. ملكية) نقلاً عن «تحفة الزائر».

٣ - قراءة وتفسير:

١٩ - أرجوزة في قراءة القرآن.

ذكرها محمد بن علي الحسني المغالي في دوحة البستان (مخطوطة خزانة الرباط العامة ٣٩٠د ص١١٣).

٢٠ - فتح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب أو الفتوحات السوسية المشتملة علىٰ الأنوار القدسية يوجد مخطوطًا في خزانة الرباط العامة ج٦١٨ (ضمن مجموع من ص ١ إلىٰ ١٢٩).

٢١ - نعيم الجنان في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ ذكره صاحب الفتح الوهبي (مخطوط خزانة الرباط العامة كـ ٢٣١٢ ص ٥٠٧).

٤ - توحيد:

٢٢ - تأليف في الهيئة.

ذكره الكردودي في الدر المنضد (مخطوطة خزانة الرباط العامة ١٥٨٤د

الورقة ٢١٨و) كما ذكره بيرك الذي جعله في التنجيم، وراجعه د. محمد حجي الذي ذهب في الزاوية الدلائية (ص١٠٢هـ) إلىٰ أنه هو كتاب الهيللة، وإنما اختلطت الكلمة علىٰ بيرك فقرأها هيئة.

٢٣ - حاشية علىٰ شرح كبرىٰ السنوسي:

مخطوطة في:

أ) خزانة الرباط العامة ك ٢٦٤٥ - ١٧٧١ د.

ب) خزانة القرويين بفاس ٤٠ - ٨٣٧/ ٤٠ - ٧٣٢.

ج) المكتبة الحمزاوية ٦٩.

د) دار الكتب المصرية ٢٢٢ - ٢٦٦ - ٤٧٣ - ٥٦٢ - ١١١٧ (كلام).

٢٤ - شرح صغرىٰ السنوسي.

ذكره صاحب المنح البادية، ومحمد الفاطمي الصقلي في تقديم كتاب القانون ص١.

٢٥ - كتاب أخذ الجنة عن أشكال نعيم أهل الجنة.

يوجد مخطوطًا بالمكتبة الملكية ٦٦٠٢ وخزانة الرباط العامة ٣٣٧٣د ضمن مجموع من ص ٤١٤ إلىٰ ٤٢٨.

٢٦ - مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص أو منهج الخلاص من كلمة الإخلاص طبع علىٰ الحجر بفاس سنة ١٣٢٧ وتوجد منه نسخة في تمكروت (آخر مجموع رقم ١٩٢٨) وثلاث نسخ في خزانة الرباط العامة: ك٣٥ - ك٢٤١٨ - ق ١٠١٣ في مجموع غير مرقم، وقد حققه د. حميد حماني.

٥ - فقه وأصول:

٢٧ - بحث فيما يجب علىٰ المكلف من أصول الدين وفروعه.

مخطوط بخزانة الرباط العامة ضمن مجموع رقمه ج ٦١٢ من ص ٢١

إلىٰ ٢٧.

٢٨ - تقييد شرح قول خليل: «وخصصت نية الحالف وقيدت...».

توجد منه نسخ مخطوطة متعددة، نذكر من بينها نسخة المكتبة الملكية ٦٧٢٦ ونسختين بخزانة الرباط العامة رقمهما ق ٣٠٢ (ضمن مجموع من ص ٢٩٤ إلىٰ ٣٠٥) و٢٢٢٣ د (ضمن مجموع كذلك).

٢٩ - قواعد الإسلام من مضمون حديث النبي (ﷺ) مخطوط في مجموع بالخزانة العامة ج ٦١٢ من الورقة ٢٧ و إلىٰ ٤٢ و.

٣٠ - منظومة فقهية (أرجوزة) علىٰ نسق متن ابن عاشر.

مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة ١١٦٤ د من الورقة ١٢٤ و إلىٰ ١٣١ظ.

٣١ - الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع لتاج الدين السبكي تحدثت عنه كثير من المصادر التي ترجمت لليوسي، وذكرت أنه وصل فيه إلىٰ (إذا الفجائية).

٦ - منطق:

٣٢ - شرح أم المنطق أو مزامر المنطق للعزيز بن يوسف الفاسي ذكره صاحب المنح البادية، وذكره كذلك الأزهري في اليواقيت الثمينة ص١٣٣.

٣٣ - شرح السلم للأخضري.

ذكره الأستاذ كنون في النبوغ (ج ١ ص ٣٠٣).

٣٤ - شرح علىٰ الطالع المنتشر (لم يكمله).

ذكره صاحب المنح البادية، والصقلي في تقديمه لكتاب القانون ص١.

٣٥ - القول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل أو الفرق ما بين الذاتي والعرضي.

يوجد مخطوطًا في:

أ) المكتبة الملكية ١٣١٤.

ب) خزانة الرباط العامة ٢٧١ د - ٢٧٧٥ د ٢٨٨١ د - ١٠٧٢ د (من ١٩٦ إلىٰ ٢٢٣).

ج) مكتبة تمكروت - مجموع رقم ١٩٢٨ (أوله).

٣٦ - النسبة الحكمية بين الطرفين الموضوع والمحمول.

مخطوط بخزانة الرباط العامة ٢١٤٣ د (من ص ١٩٣ إلىٰ ١٩٥) وتوجد منه نسخة في المكتبة السليمانية باسطنبول رقم ٢/ ٢٦٤٩.

٣٧ - نفائس الدرر علىٰ شرح المختصر (للسنوسي).

توجد مخطوطة في المكتبات الآتية:

أ) خزانة الرباط العامة كـ ١٧٥١ - ٤٥١د - ٢١٤١د - ٢١٤٣د - (ضمن مجموع) ٢٢٢٥ د - ٢٢٤٩ د - ٢٢٨٩ د - ٦٢٣ د - ١٠٧٢ د (من ص ٥٢ إلىٰ ١٩٥).

ب) مكتبة القرويين دون رقم.

ج) خزانة تمكروت: آخر مجموع رقم ١٩٢٩ - ٢١٦٢ - ٢٢٢١ - ٢٥٧١.

د) المكتبة السليمانية باسطنبول ٢٦٩٦.

هـ) المكتبة الوطنية في الجزائر ٢ و١٣٨٢.

و) المكتبة الوطنية بباريس ٢٤٠٠ (من ١٠٤ إلىٰ ٢٥١).

***

ثانيًا - رسائل اليوسي وفتاويه[1]:

١ - دفاع عن النفس:

٣٨ - الرسالة الكبرىٰ، وتعرف باسم «جواب الكتاب»، وفيها رد علىٰ السلطان إسماعيل الذي كان كتب يعيب عليه موقف الهروب والانزواء.

توجد مخطوطة في:

أ) المكتبة الملكية بالرباط ٢٩٩٨ - ٢٨٥٠ (آخر مجموع غير مرقم) - ١٥٥٨.

ب) خزانة الرباط العامة ج ٨٤٩ (من الورقة ١ إلىٰ ٩١) ١٣٤٨ د - ٢٧٥٣د - ٣٣٩٠د.

٢ - سياسة:

٣٩ - رسالة في نازلة العرائش.

تتعلق بالأمان الذي أعطىٰ لنصارىٰ هذا الثغر عند فتحه.

توجد مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة كـ ١٢٣٤ (من ص ١٨٨ إلىٰ ١٩٤).

٤٠ - رسالة ندب الملوك للعدل.

ناقش فيها مشكل الخلافة الإسلامية وما آلت إليه.

توجد مخطوطة في مجموع بخزانة الرباط العامة ٣٦٤د (من ٢٢١ إلىٰ ٢٢٨).

٤١ - الرسالة الصغرىٰ لإسماعيل، وتعرف باسم «براءة اليوسي» تعرض فيها لقضايا ثلاثة هي: الجباية والجهاد والعدل.

---

(١) جمعت السيدة فاطمة خليل رسائل اليوسي أحرزت بها علىٰ دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب جامعة محمد بن عبد الله بفاس، بعد المناقشة العلنية التي تمت يوم ٨ أبريل ١٩٧٨م، ومعظم هذه الرسائل صغيرة، إذ لا تتعدىٰ الرسالة الواحدة عن عشر صفحات.

وفي الاستقصا (ج ٧ ص ٨٢ - ٨٦ ط الدار البيضاء)، كما وردت في نشر المثاني (الكبير: مخطوط بخزانة الرباط العامة كـ ٢٢٥٣ (من الورقة ٢٨و إلىٰ ٢٩ظ).

وتوجد مخطوطة في المكتبات الآتية:

أ) المكتبة الملكية ٥٣٥٦ - ٧١٥٠ - ٧١٥٤ - ٩٢٤٩ - ٧٧٠٤ (من ص ٢٣ إلىٰ ٢٧).

ب) خزانة الرباط ١٦٣د - ١٣٤٨د (من ١٣ إلىٰ ٣٦) ٦١١١د (من ١ إلىٰ ٤).

٤٢ - رسالة جوابية إلىٰ المولىٰ إسماعيل حين حصاره للعرائش أواخر الحجة متمم المائة بعد الألف.

توجد مخطوطة في نسخة بمكتبة المرحوم العابد الفاسي.

٣ - فقه:

٤٣ - رسالة (فتوىٰ) في قضاء الصلوات المنسية.

مخطوطة بالخزانة العامة ق ٣٠٢ (من ص ٢٤٧ إلىٰ ٢٤٨).

٤٤ - رسالة (فتوىٰ) حول إخراج الزكاة في البداية.

نفس المخطوطة (من ص ٢٧٧ إلىٰ ٢٧٨).

٤٥ - رسالة (فتوىٰ) حول إقامة الجمعة في تامسنا.

نفس المخطوطة (من ص ٢٥٣ إلىٰ ٢٥٤).

٤٦ - رسالة (فتوىٰ) حول إقامة الجمعة في حصن فشتاله.

نفس المخطوطة (من ص ٢٥٠ إلىٰ ٢٥٣).

٤٧ - رسالة (فتوىٰ) حول إقامة الجمعة في المدشر.

نفس المخطوطة (من ص ٣٢٦ إلىٰ ٣٢٨).

٤٨ - رسالة (فتوىٰ) أجاب فيها علىٰ استفسار طرحه المولىٰ إسماعيل في

موضوع نشر الحرمة بين الأمة وابنتها.

نفس المخطوطة (من ص ٢١١ إلىٰ ٢١٥)، وتوجد كذلك في المنزع اللطيف (مخطوط الخزانة العامة) ج ٥٩٥ (من ص ٨٤ إلىٰ ٨٧) وفي نوازل الشريف علي بن عيسىٰ العلمي الحسني (مخطوط الخزانة العامة) كـ ٨٣٢ (من ص ١٣ إلىٰ ١٧).

٤٩ - رسالة (فتوىٰ) أجاب فيها علىٰ استفسار المولىٰ إسماعيل في موضوع الأمة التي أعطيت بدون شراء.

توجد في المنزع اللطيف (مخطوط الخزانة العامة) ج ٥٩٥ (من ص ٨٨ إلىٰ ٨٩).

٥٠ - رسالة إلىٰ محمد الصالح بن المعطي حول الحلف والاستبراء.

مخطوطة الخزانة العامة ق ٣٠٢ (ص ٢٧٦ - ٢٧٧).

٥١ - رسالة (فنون) أجاب فيها علىٰ استفسار من مكناس يتعلق بحكم الذكر في المسجد.

مخطوطة الخزانة العامة ق ٣٠٢ (من ص ٢٧٨ إلىٰ ٢٨٦).

٥٢ - رسالة أجاب فيها علىٰ نقل أحباس مسجد قديم إلىٰ آخر جديد كما أجاب فيها علىٰ خلق الخيل وعلىٰ ملوك الدنيا.

مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٢٠٩ إلىٰ ٢١١).

٥٣ - رسالة إلىٰ السيد المرجاني بن المواق في شروط الرجل العدل.

مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٢٧٠ إلىٰ ٢٧٢).

٥٤ - رسالة (فتوىٰ) في صلاحية الرجل الفاجر.

نفس المخطوطة (ص ٢٥٥ - ٢٥٦).

٥٥ - رسالة رد فيها علىٰ استفسار للمولىٰ إسماعيل حول المغنم الذي أعطىٰ الخليفة عثمان لمروان بن الحكم في إفريقية.

مخطوطة خزانة الرباط ج ٥٩٥ (ص ٨٧ - ٨٨).

٥٦ - رسالة حول الدعاء والتصلية والأذان وغيره.

مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

٥٧ - رسالة حول الذكر بعد الصلاة.

نفس المخطوطة (ص ٣٤٠ - ٣٤١).

٥٨ - رسالة (فتوىٰ) في عادة وصل الشعر.

٤ - توحيد:

٥٩ - رسالة ناقش فيها قضية وجوب الشهادتين في الإسلام (تناول فيها كذلك موضوعًا فقهيًا يتعلق بصرف الزكاة للعلماء).

مخطوطة بخزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٣٣٠ إلىٰ ٣٣٢) - ١٢٤١ د (من الورقة ٨ و إلىٰ ٩ ظ).

٦٠ - رسالة العقيدة الصغرىٰ.

شرح فيها العقائد العامة وناقش قضية قدم القرآن وحداثته.

مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٢٨٧ إلىٰ ٢٩٤).

٦١ - رسالة في مسألة علم النبي (عليه السلام).

عقب فيها علىٰ «ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب» لعبد الملك التجموعتي (وهو وارد في مخطوطتي خزانة الرباط العامة ح ١١٥ ص ٣٤٨ - ك ١٢٨٤ ص ٢ - ٥).

توجد الرسالة مخطوطة في خزانة الرباط ح ١١٥ ص ٣٦٢.

٦٢ - رسالة أجاب فيها بعض الفاسيين حول استحالة عروض الكفر للأنبياء.

مخطوطة بخزانة الرباط العامة ق ٣٠٢ (من ص ٢٣٦ إلىٰ ٢٤٤).

٦٣ - رسالة أجاب فيها علىٰ ماهية ذات الله.

نفس المخطوطة (من ص ٢٣٤ إلىٰ ٢٣٦).

٦٤ - رسالة جوابية على سؤال يتعلق بذات الله هل هي حسية أو معنوية.
نفس المخطوطة (من ص ١٩٩ إلى ٢٠٢).

٦٥ - رسالة في إبطال مبدأ التسلسل لأبي العباس أحمد بن إبراهيم العطار نفس المخطوطة (من ص ٣١٣ إلى ٣٢٤)، وكذلك مخطوطة خزانة الرباط ١٧٥٥د (من ص ٢٨٦ إلى ٢٩٣).

٦٦ - رسالة في قضايا عقدية.
مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٢٣٢ إلى ٢٣٤).

٦٧ - رسالة في تقريظ «اللمعة الخطيرة والنبذة اليسيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة» لمحمد المهدي بن أحمد الفاسي.
مخطوطة خزانة الرباط ك ١٢٣٤ (ص ١٠٠ - ١٠١).

٦٨ - رسالة حول ماهية الأزمنة وتعاطي الأسباب.
مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٢٤٥ إلى ٢٤٧).

٥ - تصوف:

٦٩ - رسالة تتعلق بالهيللة والذكر[1].
مخطوطة خزانة الرباط العامة ١٢٤١ د الورقة ٩ظ.

٧٠ - رسالة حول زيارة الشيخ محمد بن ناصر.
وردت في «طلعة المشتري» للناصري ج١ ص ٢٧٣ (ط حجرية).

٧١ - رسالة تضمنت نصائح إلى أبي العباس أحمد بن مسعود البوعمري (معها قصيدة سينية).
مخطوطة بالمكتبة الملكية رقم ٧٧٠٤ (ص ١٤ - ١٥).

٧٢ - رسالة إلى أحمد الشيظمي وسيدي مسعود (في آداب السلوك).
مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٢٥٦ إلى ٢٥٩).

---

(١) سبق وأن ذكرنا من مؤلفات اليوسي: تأليف في الهيللة، وهو تأليف كبير فيها، بينما تلك رسالة صغيرة في ورقة واحدة تتحدث عن الذكر وعن الهيللة.. ولذا لزم التنبيه (المحقق).

٧٣ - رسالة في التوبة والاستغفار وحُسن الظن بالله.
نفس المخطوطة (ص ٢٨٦ - ٢٨٧).

٧٤ - رسالة في السلوك الصوفي.
نفس المخطوطة (من ص ٢١٦ إلىٰ ٢١٩).

٧٥ - رسالة تتعلق بمراحل وصول المريد.
نفس المخطوطة (من ص ٢٢٥ إلىٰ ٢٢٨).

٧٦ - رسالة تربوية في سلوك الطريق.
نفس المخطوطة (من ص ٢٠٤ إلىٰ ٢٠٧).

٧٧ - رسالة في استخلاف الشيخ بعد موته.
نفس المخطوطة (ص ٢٠٧ - ٢٠٨).

٧٨ - رسالة تتعلق بدور الشيخ في تربية المريد.
نفس مخطوطة (من ص ٢٢٢ إلىٰ ٢٢٤).

٧٩ - رسالة إلىٰ محمد الصالح بن المعطي أجابه فيها علىٰ مجاهدة النفس.
توجد في فهرست العميري (مخطوطة بخزانة الرباط ك ١٣٦١ من ص ١٩٨ إلىٰ ٢٠٠) وفي كناشة محمد بن علي الدكالي (مخطوطة خزانة الرباط ج ٩١ من ص ٢٠٧ إلىٰ ٢٠٩).

٨٠ - الرسالة إلىٰ قبيلة المزامز (نصيحة سلوكية).
مخطوطة خزانة الرباط ج ٦١٢ الورقة ١٥.

٨١ - الدلالة الوافية في الرسالة الأسفية، وهي نصيحة سلوكية لأهل آسفي.
مخطوطة في المكتبة الملكية (٧٧٠٤ من الورقة ٤ ظ إلىٰ ٦ و).
وفي خزانة الرباط ج ٦١٢ (من الورقة ٥٠ إلىٰ ٥٨) - ق ٣٠٢ (من ص ٣٣٣ إلىٰ ٣٣٨).

٨٢ - رسالة في التربية الصوفية، هي عبارة عن جواب رد فيه علىٰ أسئلة تتصل بالسلوك الصوفي.

مخطوطة خزانة الرباط ج ٦١٢ (من الورقة ٤٩ ظ إلىٰ ٥٢ و).

٨٣ - الرسالة إلىٰ أهل بلد كارت، ضمنها نصائح سلوكية للفقراء.

مخطوطة خزانة الرباط ٦١٢ (من الورقة ٤٢ ظ إلىٰ ٤٥ و) - ق ٣٠٢ (من ص ٣٤١ إلىٰ ٣٤٧).

٨٤ - الرسالة إلىٰ المقدمين، موجهة إلىٰ الحاج علي وأبي القاسم بن معمر، وتتعلق بالزاوية والشيخ.

مخطوطة خزانة الرباط العامة ق ٣٠٢ (من ص ٢٥٩ إلىٰ ٢٧٠) - ق ٩٥٠ (من ص ٢٦٢ إلىٰ ٢٦٧) - ج ٦١٢ (من الورقة ٥٢ إلىٰ ٥٦) - ك ١١٣٨ (من ص ٣٢ إلىٰ ٣٩) - ٢٠١٠د (من ص ٤١ إلىٰ ٥١)، وكذلك في خزانة تمكروت ١٩٠٢ (مجموع).

٨٥ - الوصية.

وجهها إلىٰ أبنائه وجميع إخوانه يعرفهم فيها بالسلوك الحق وينبههم إلىٰ بعض الانحرافات التي وقع فيها بعض أبناء المتصوفة، وفيها يوصي بتحبيس كتبه علىٰ أولاده.

توجد مخطوطة في:

أ) المكتبة الملكية رقم ١٥٧٧.

ب) خزانة الرباط العامة ق ٩٥٠ (من ص ٢٤٨ إلىٰ ٢٦٢) - ج ٦١٢ (من الورقة ٥٧ إلىٰ ٦٤).

ج) مكتبة تطوان العامة في أول المجموع ٤٨٥م.

٨٦ - النصيحة الغياثية.

تناول فيها حقيقة التصوف السني ونقد مظاهر الشعوذة والانحراف المنتشرة.

مخطوطة بالمكتبة الملكية ٨٩٣٦ وخزانة الرباط العامة ١٨١٦د (من

٤٣٢ إلىٰ ٤٧٥) - ج ٦١٢ (من الورقة ١ إلىٰ ١٥) - ك ١١٣٨ (من ص١ إلىٰ ٣٠) - ق ٣٠٢ (من ص ٣٤٩ إلىٰ ٣٦٨ مبتورة).

٨٧ - رسالة حول الأذكار وتلاوة القرآن.

مخطوطة خزانة الرباط ١٢٤١ د الورقة ٩ ظ.

٦ - تفسير:

٨٨ - رسالة حول التفاسير وتفسير ابن عطية.

مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٣٧١ إلىٰ ٣٧٣).

٨٩ - رسالة في حكم تفسير القرآن لمن لا يتقن علوم الآلة.

وتتضمن كذلك حكم السماع واستعمال الآلات.

نفس المخطوطة (من ص ١٩١ إلىٰ ١٩٧) وكذلك مخطوطة خزانة الرباط ج ٦١٢ (من الورقة ٤٦ و إلىٰ ٤٩ ظ).

٧ - نحو وبلاغة:

٩٠ - رسالة جوابية تتضمن إعراب لو (نظمًا).

كما تتضمن ماهية الضوء والظل.

مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

٩١ - رسالة تتضمن أجوبة حول:

أ) شخصية علمية أسماء القبائل.

ب) علاقة الاسم بالمسمىٰ زيادة ونقصانًا.

ج) إضافة الاسم إلىٰ اللقب وقضية التعريف والتنكير مخطوطة السيدة خليل (من ص ١٥٧ إلىٰ ١٥٩).

٩٢ - رسالة أجاب فيها علىٰ سؤال يتعلق بقول البوصيري.

ألا استلمت الندىٰ من خير مستلم

هل هو بفتح اللام أم كسرها؟

مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (ص ٢١٩ - ٢٢٠).

٩٣ - رسالة رد فيها علىٰ استفسار حول قول الأمة والعلماء بأن المراد لا يدفع الإيراد.

توجد مخطوطة في خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ٢٢٨ إلىٰ ٢٣٢) - ك ٩١٠ (من ص ٢٤٧ إلىٰ ٢٥٠) - ١٧٥٥ د (من ص ٢٦٢ إلىٰ ٢٦٤).

وتوجد كذلك في هداية الملك العلام للهشتوكي (مخطوطة خزانة الرباط ق ١٩٠ من ص ٨٠ إلىٰ ٨٦).

٨ - أدب:

٩٤ - رسالة رد فيها علىٰ استفسار حول بيت أبي نواس:

مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل ظني ثم إني مسلم

وبيت البوصيري:

شاكي السلاح لهم سيما تميزهم والورد يمتاز بالسيما من السلم

مخطوطة خزانة الرباط ق ٣٠٢ (من ص ١٩٧ إلىٰ ١٩٩).

٩ - الرد على أهل البدع:

٩٥ - رسالة في طائفة العكاكزة.

وردت في مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ك ١٢٢٤ (من ص ١٦٧ إلىٰ ١٨٧)، ووردت كذلك في هداية الملك العلام (مخطوطة خزانة الرباط ق ١٩٠ ص ٨٤).

٩٦ - رسالة إلىٰ الفقيهين العربي وعبد السلام القادريين والفقيه المهدي الفاسي، أجابهم حول بدعة إبراهيم الكوراني.

وردت في نشر المثاني (الكبير) مخطوط خزانة الرباط العامة ك ٢٢٥٣ج ٢ ورقة ٢٣و.

١٠ - عوائد:

٩٧ - رسالة تتعلق ببعض العوائد.

مخطوطة خزانة الرباط العامة ق ٣٠٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

١١ - قضية تبرئة صحابيين من النفاق:

٩٨ - رسالة رد فيها علىٰ عبد الملك التجموعتي في قضية تبرئة الصحابيين سعد ابن عبادة، وحاطب بن أبي بلتعة من النفاق وردت في هداية الملك العلام للهشتوكي (مخطوطة خزانة الرباط العامة ق ١٩٠ ص ٧٥ - ٧٦).

١٢ - تعزية:

٩٩ - رسالة إلىٰ عبد الرحمن الفاسي وأخيه محمد يعزيهما في والدهما عبد القادر.

وردت في نشر المثاني (الكبير) مخطوطة خزانة الرباط ك ٢٢٥٣ج ٢ الورقة ٦ظ.

***



من مصادر ترجمة اليوسي

نظرًا للأهمية الكبرىٰ للإمام اليوسي في المغرب العربي والثقافة العربية.. فقد تسابقت الكثير من المصادر لترجمة الرجل والحديث عنه عالمًا ومتصوفًا وأديبًا وسنذكر هنا بعضًا ممن تعرض لترجمته وكان مطبوعًا، ولم أقف علىٰ المصادر المخطوطة التي تناولت الرجل[1].

إبراهيم الإلغي:

١ - تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية.

ج ٢ (في الأدب المغربي والأندلسي) ص ٩٦ - ٩٧، المطبعة المهدية - تطوان ١٣٧٥ - ١٩٥٥م.

أبو القاسم الزياني

٢ - تحفة الأعلام.

مخطوط خزانة الرباط العامة ك ٢٤٤ ص ١٦٢.

ت عبد الكريم الفيلالي - نشر وزارة الأنباء.

مطبعة فضالة - غشت ١٩٦٧.

أبو المحاسن (علال الفاسي)

٣ - أبو علي اليوسي.

مجلة المغرب الجديد، السنة الأولىٰ ١٩٣٥ أعداد: ٤ - ٥ - ٧.

أحمد بن خالد الناصري

٤ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ.

---

(١) لمزيد من هذه المصادر المطبوعة والمخطوطة. انظر: عبقرية اليوسي، ص١٢٧، ص١٥٣.

ج ٧ ص ١٠٨ ط دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٥٦.

٥ - طلعة المشتري في النسب الجعفري، ص ١٨٦ - ٢٧٣ ط حجرية.

أحمد تسوكي

٦ - عرض حول كتاب (المحاضرات).

مجلة دعوة الحق ع ٤ س ١٨ جمادىٰ الأولىٰ ١٣٩٧ - مايو ١٩٧٧م (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب).

أحمد زياد

٧ - لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب.

(نقل ما كتبه أبو المحاسن في مجلة المغرب الجديد، متعلقًا بمؤلفات اليوسي، وقد سبق ذكر هذا المصدر)، ص ٣٣ ط دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٧٣م.

أحمد الميشي

٨ - تاريخ الشعر والشعراء بفاس (مسامرة)، ص ٣١ ط فاس - شعبان ١٣٤٣هـ.

إسماعيل باشا البغدادي

٩ - إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١ ص ٢٧٥ - ٤٤٨، ج ٢ ص ٢٢٠ - ٢٥٠ ط الثالثة ١٣٧٨هـ (المطبعة الإسلامية - طهران).

١٠ - هدية العارفين.

م ١ ص ٢٩٦ ط الثالثة ١٣٨٧هـ (المطبعة الإسلامية - طهران).

١١ - مؤرخو الشرفا (الكتاب السابق)

تعريف عبد القادر الخلادي.

ص ١٨٩ - مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة

التاريخ رقم ٥ - الرباط ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

بيرك **J. Berque**

12 - AL - Youssi: Problemes de la culture marocaine au XVIII siecle - Paris Mouton et co La haye 1958.

13 - L,interieur du Maghred (XV - XIX siecle) ch X 1 pp 354 - 389 - ed. Gallimard 1978.

14 - Le Maghreb entre deux guerres p 124 ed. du seuil Paris 1962.

د. التهامي الراجي

١٥ - القول الفصل في تمييز الخاصة عن الفصل.

مجلة (المناهل) ع ١٥ س ٦ ص ٣٩٢، شعبان ١٣٩٩هـ يوليوز ١٩٧٩م - وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية. (عدد خاص باليوسي).

جورجي زيدان

١٦ - تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣ ص ٣٠٦ نشر د. شوقي ضيف (دار الهلال).

الحسن السايح

١٧ - دفاعًا عن الثقافة المغربية.

ص ٢٤٠ - ٢٤١، ط دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٦٨م.

حسن الوراكلي

١٨ - زهر الأكم في الأمثال والحكم.

مجلة دعوة الحق ع ٣ ديسمبر ١٩٦٣م. وزارة الأوقاف - المغرب.

خير الدين الزركلي

١٩ - الأعلام. ج ٢ ص ٢٣٧.

شاد محمد

٢٠ - الأدب الصوفي عند أبي علي اليوسي.
(بحث تقدم به لنيل الإجازة في الأدب العربي من كلية آداب فاس سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٠م) مرقون.

الشاذلي السعدية

٢١ - ترجمة الفصل الثامن والتاسع من كتاب (اليوسي) لجاك بيرك مع مقدمة دراسية.
(بحث تقدمت به لنيل الإجازة في الأدب العربي من كلية آداب فاس سنة ١٩٧٢ - ١٩٧٣م) مرقون.

عباس الجراري

٢٢ - الأدب المغربي من خلال ظواهر وقضاياه.
ج ١ ص ٤، نشر دار المعارف - الرباط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٣ - بيوببليوغرافيا اليوسي أو سيرته الببليوغرافية.
مجلة المناهل ع ١٥ س ٦ ص ٥٤ - شعبان ١٣٩٩هـ يوليوز ١٩٧٩م
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب (عدد خاص باليوسي).
٢٤ - القصيدة (الزجل في المغرب)، ص ١٩٤ ط الأولىٰ - الرباط ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٢٥ - اليوسي بين الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع، مجلة المناهل ع ١٧ س ٧.
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب.
٢٦ - عبقرية اليوسي - دار الثقافة، الدار البيضاء ط الأولىٰ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

عبد الرحمن بن زيدان

٢٧ - إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس.

ج ١ ص ١٤ - ٧٥ - ١٣٥ - ٣٢٥ - ٣٤٠ - ٣٤٢.
ج ٣ ص ٣٢ - ٤٢ - ٤٩.
ج ٤ ص ٤٩ - ٨٦.
ج ٥ ص ٣٩٨ - ٤٠٣ - ٤٢٦.
الطبعة الأولىٰ - الرباط ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.

٢٨ - إحياء العلوم وازدهارها في عصر الدولة العلوية.
مجلة المغرب - السنة الخامسة - رمضان شوال ١٣٥٥هـ نوفمبر ديسمبر ١٩٣٦م ص ٧.

٢٩ - الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة.
ص ١٢ - ١٥ - ٣٦ - ١٢٠، المطبعة الاقتصادية - الرباط ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

عبد الرحمن الجبرتي

٣٠ - التاريخ المسمىٰ عجائب الآثار في التراجم والأخبار.
ج ١ ص ٦٨ ط مصر ١٢٩٧، وأخرىٰ حديثة مصورة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الرحمن الفاسي

٣١ - الإمام اليوسي في حلله ومباذله.
مجلة (المناهل) ع ١٥ س ٦ ص ١٤٩ شعبان ١٣٩٩هـ - يوليو ١٩٧٥م - وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب (عدد خاص باليوسي).

عبد السلام بن سودة

٣٢ - دليل مؤرخ المغرب الأقصىٰ.
ينظر فيه بعض إنتاج اليوسي (الفهرس ج ٢ ص ٥٩٦) ط دار الكتاب -

الدار البيضاء.

د. عبد السلام الهراس

٣٣ - جانب من شخصية الشيخ اليوسي ورسالته.

مجلة (المناهل) ع ١٥ س ٦ ص ٣١١ شعبان ١٣٩٩هـ - يوليو ١٩٧٩م - وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب (عدد خاص باليوسي).

عبد القادر زمامة

٣٤ - أبو علي اليوسي: هموم واهتمامات.

مجلة (المناهل) ع ١٥ س ٦ ص ٣٧٥ شعبان ١٣٩٩هـ - يوليو ١٩٧٩م - وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب (عدد خاص باليوسي).

عبد القادر الصحراوي

٣٥ - علىٰ هامش رسائل الحسن اليوسي إلىٰ مولاي إسماعيل.

مجلة (دعوة الحق) ع ٤ س ١٢ ذو الحجة ١٣٨٨هـ - مارس ١٩٦٩م - وزارة الأوقاف - المغرب.

عبد الكريم الفيلالي

٣٦ - التاريخ المفترىٰ عليه في المغرب.

في أماكن متفرقة (انظر ص ٢١٣)، مطبعة الصومعة- الرباط- ١٩٦٩م.

عبد الله كنون

٣٧ - أدب الفقهاء.

ص ١٤٥ - ١٤٨. ط دار الكتاب اللبناني - بيروت.

٣٨ - خل وبقل. ص ٢٧٣ إلىٰ ٢٧٧.

المطبعة المهدية - تطوان.

٣٩ - المنتخب من شعر ابن زاكور.

(المقدمة ص ١١ - ١٢). ط دار المعارف - مصر ١٩٦٦م.

٤٠ - النبوغ المغربي في الأدب العربي.
ج ١ ص ٢٨٥. ط دار الكتاب اللبناني - بيروت.

د. عبد الهادي التازي

٤١ - بطاقة في منتهىٰ الطاقة.
مجلة (المناهل) ع ١٥ س ٦ ص ٢٨٧ شعبان ١٣٩٩هـ - يوليو ١٩٧٩م - وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب (عدد خاص باليوسي).

عمر رضا كحالة

٤٢ - معجم المؤلفين.
أشار إلىٰ فهارس عدد من الخزائن والمكتبات تضم بعض كتب اليوسي كالخديوية والتيمورية والأزهرية ودار الكتب المصرية والظاهرية بدمشق ج ٣ ص ٢٩٤.
نشر مكتبة المثنىٰ ببيروت ودار إحياء التراث العربي ببيروت.

فاطمة خليل

٤٣ - رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي.
رسالة جامعية حصلت بها صاحبتها علىٰ دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب جامعة محمد بن عبد الله بفاس، ١٩٧٨م.

فوكو CH. DEFOUCAULD

44 - Reconnaissance au Maroc p 38 Paris 1888.

لجنة الاحتفال بموسم اليوسي

٤٥ - نشرة عن اليوسي.
الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم) العدد ٤٥٩ السبت ١١ ذي القعدة ١٣٩٨هـ موافق ١٤ أكتوبر ١٩٧٨م.

محمد بن تاويت

٤٦ - شعر الحسن اليوسي.

مجلة (المناهل) ع ١٥ س ٦ ص ٢٣٠ - شعبان ١٣٩٩هـ يوليو ١٩٧٩م - وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب (عدد خاص باليوسي).

محمد بن جعفر الكتاني

٤٧ - سلوة الأنفاس. ج ٣ ص ٨١ ط حجرية.

محمد بن محمد مخلوف

٤٨ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.

ص ٣٢٨ ط دار الكتاب العربي بلبنان (مأخوذة عن الطبعة الأولىٰ ١٣٤٩هـ).

د. محمد حجي

٤٩ - الحسن اليوسي اللغوي.

مجلة (المناهل) ع ١٥ س ٦ ص ٢١١ شعبان ١٣٩٩هـ يوليوز ١٩٧٩م

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب.

(عدد خاص باليوسي).

٥٠ - الزاوية الدلائية. ص ٩٧ إلىٰ ١٠٨.

المطبعة الوطنية - الرباط ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥١ - المحاضرات لليوسي.

تقديم الطبعة الجديدة ص ٤.

مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة الأدب ١).

الرباط ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

محمد الصغير اليفرني

٥٢ - روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف. ص ١٥ -

٣٣ - ٣٨. المطبعة الملكية - الرباط ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

٥٤ - كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر.

ص ٢٠٦ ط حجرية.

٥٥ - نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي. ص ٢٨٤ نشر هوداس - الطبعة الثانية.

مكتبة الطالب - الرباط، والقاهرة - الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٤م.

محمد العربي الخطابي

٥٦ - الحسن اليوسي من خلال المحاضرات.

مجلة (المناهل) ع ١٥ س ٦ ص ١١٤ شعبان ١٣٩٩هـ - يوليو ١٩٧٩م - وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية - المغرب (عدد خاص باليوسي).

٥٧ - من أعلام المغرب: الحسن اليوسي.

مجلة (الفيصل) س ٣ ع ٣١ محرم ١٤٠٠هـ ديسمبر ١٩٧٩م - المملكة العربية السعودية.

يوسف سركيس

٥٨ - معجم المطبوعات العربية والمعربة.

ج ٢ ص ١٩٥٩.

***

الشيخ محمد بن ناصر الدرعي

وإذا كانت القصيدة قيلت في مدح شيخه ابن ناصر الدرعي.. كان لزامًا علينا الترجمة المختصرة لهذا الشيخ.

هو الشيخ الكبير، الإمام، الزاهد، سيف السُّنَّة، ومصباح الظلمة، أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر الدرعي، وبه عُرف، التمكروتي، ولد سنة (١٠١١هـ)، في بيت علم وورع وزهد، وأصل أسرته عربية، رُفع نسبها إلىٰ جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه).

قرأ ابن ناصر القرآن علىٰ والده الشيخ الزاهد محمد بن أحمد بن ناصر (ت ١٠٥٢هـ)، وكان جلُّ استفادته في علم الظاهر من الشيخ الفقيه الصالح علي بن يوسف بن أحمد الدرعي (ت ١٠٤٥هـ)، وأخذ عن الشيخ العلامة الفهامة أبي محمد عبدالقادر بن علي الفاسي (١٠٩١هـ) بسنده، وعن الإمام العلامة أبي عبدالله محمد بن سعيد السوسي المراكشي (ت ١٠٨٩هـ)، وأجاز له ولأخيه الحسين إجازة طويلة، ورحل إلىٰ المشرق مرتين سنة (١٠٧٠هـ) و(١٠٧٦هـ)، والتقىٰ أعلامًا استفاد منهم وأفاد، منهم: أبو بكر السجستاني، ومحمد بن سليمان الروداني (١٠٩٤هـ) الذي سبق أن تتلمذ عليه في تمكروت طوال أربع سنوات، وأخذ عن إمام الحرمين الشيخ محمد البابلي الشافعي (١٠٧٧هـ).

وأما علم الباطن فسنده فيه واعتماده الشيخ الزاهد الورع عبدالله بن حسين الدرعي التمكروتي (ت ١٠٤٥هـ)، وقد أجاز له سائر مروياته.

وكانت له مشاركة واسعة في فنون من العلم، كالفقه، والعربية، والكلام، والتفسير، والحديث، والتصوف، ومن علمه الواسع نهل أعلام ومشاهير، وعلىٰ يديه تربىٰ الكثير منهم: الإمام العلامة الرحَّال، الذي طوىٰ مشرق الأرض ومغربها بالتجوَال، صاحب الرحلة الشهيرة: أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي

(١٠٩٠هـ)، ومنهم: أخوه الذي تولىٰ العالم تربيته ونشأته، الفقيه النحوي: حسين ابن محمد بن ناصر الدرعي (١٠٩١هـ)، ومنهم: الإمام العلامة أبو علي الحسن ابن مسعود اليوسي (ت ١١٠٢هـ)، ومنهم: العالم العلامة العامل الشهير: أبو مروان عبدالملك بن محمد الفلالي (ت ١١١٨هـ)، ومنهم: ولده، ووارث علمه وفضله، المتصدر للمشيخة بعده أبو العباس أحمد ابن محمد بن ناصر الدرعي (ت ١١٢٩هـ)، وغيرهم كثيرون، وكانت زاويته المعروفة بالناصرية في تمكروت قِبلة للعلماء والمريدين والأتباع من مختلف البقاع.

وقد عُرف عن المترجَم اعتناؤه بكتب العلم، وحرصه الشديد علىٰ اقتنائها، وبذل الغالي والنفيس لجلبها، بل إنه عكف علىٰ نسخها بيده، ومقابلتها وتصحيحها، وتقييد الفوائد علىٰ طررها، ومن عجيب ما يحكىٰ عنه أنه انتسخ مخطوطات في لحظة من حياته وصل إلىٰ درجة من الفقر لم يجد فيها ثمن اقتناء حصيرة لافتراشها، وأرسل إليه أحد تلامذته حصيرًا لافتراشه، فاستغنىٰ عنه لصالح كتبه، فوضعها تحت لحفظها من الرطوبة، وعمل علىٰ تدريس العلم، والمشاركة في التأليف، وأغلب ما ينسب إليه من تآليف جمعه عنه تلامذته، من ذلك: كتاب «الأجوبة» المعروف بالأجوبة الناصرية، جمعها تلميذه محمد بن أبي القاسم الصنهاجي، و«غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة علىٰ النبي الحبيب»، طبع قديمًا بالمطبعة الوطنية بالرباط سنة (١٣٥١هـ)، وله أيضًا «منسك» لطيف، وأرجوزتان مشهورتان: «الدعاء الناصري، وسيف النصر لكل ذي بغي ومكر»، و«الممتع في شرح المقنع» في علم الفلك، و «الدرعية» منظومة في فقه مالك، و«شرح فرائض خليل»، و«شرح لامية الأفعال»، و«كتاب في الطب»، وآخر في «خطبه»، و«حاشية علىٰ صحيحي البخاري ومسلم»، وجمع ابنه كل مكاتباته مع أهل زمانه في تأليف مستقل سمّاه «إتحاف المعاصر برسائل الشيخ ابن ناصر».

قال العلامة أبو العباس أحمد بن يعقوب الولالي: «وقع عليه الاتفاق من أهل

المغرب، فلا ينكر عليه إلا سخيف العقل، لمتانة علمه، وقوة ديانته»، ونحوه ما قاله المُحِبّي: «... أوحد الدهر، أجمعَ أهل المغرب علىٰ جلالته وعظم قدره، وما أظن أحدًا بلغ رتبته في الاشتهار عندهم».

ومما قاله فيه تلميذه أبو علي اليوسي: «أستاذنا ومفيدنا، الإمام الهمام، بحر الشريعة والحقيقة، وسراج الطريقة». وقال فيه: «شيخ الإسلام، وعلمُ الأعلام».

وهو أحد الثلاثة الذين يرجع إليهم الفضل في الحفاظ علىٰ منار العلم قائمًا بالمغرب في القرن الهجري الحادي عشر، وذلك قول القائل: «لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن التي ظهرت فيه، وهم: محمد بن ناصر الدرعي بدرعة، ومحمد بن أبي بكر الدلائي بالدِّلاء، وعبدالقادر الفاسي بفاس».

ومع غروب شمس الثلاثاء السادس عشر من صفر سنة (١٠٨٥هـ) توفي ابن ناصر الدرعي بدرعة، ودُفن من الغد بزاوية شيخه عبدالله بن حسين الرقي، وقد رثاه غير واحد، منهم: أبو سالم العياشي، قال فيه:(١)

حِصْني إذا خَانَ الزَمانُ وناصِري ... شيخُ الشيوخ محمدُ بن ناصر

مُحيي طريقَ العلمِ بعدَ دُرُوُسِهَا ... ومُعيد رسْم للعبادة دَاثر

بَحْر الشريعة والحقيقة من لهُ ... بعدَ الترددِ دَانَ كُلُ مُعَاصر

---

(١) مصادر الترجمة: فهرسة العياشي المسماة اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر (١١٦، ١١٧)، والمحاضرات لليوسي (٨١، ٨٥، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٣٤، ٦٧٦)، وفهرسة اليوسي أيضًا (٦٠، ٦١، ٧٩ وما بعدها)، والإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر لعبدالله بن محمد الفاسي الفهري (٢٤٢ - ٢٤٤)، وسلوة الأنفاس (١/ ٢٩٧ - ٢٩٨)، وخلاصة الأثر للمحبي (٣/ ٧٦)، وشجرة النور الزكية (٣١٣)، والأعلام للزركلي (٧/ ٦٣، ٦٤)، ومعلمة المغرب (٢٢/ ٧٣٨٩ - ٧٣٩٠ و٧٣٧٥)، وعلىٰ الإنترنت موقع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث التابع للرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية.

القصيدة الدالية

في أزمنة الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي.. يلجأ الناس إلىٰ الزوايا فيمدحون علماءها ويتقربون لشيوخها، علهم بذلك يشترون الآخرة بعدما رأوا حياة الظلم في الدنيا.. وهم بهذا الصنيع لا يرجون منفعة ولا يبحثون عن مال أو جاه أو سلطان.

وقد ساد بين عامة الناس أن العالم إذا تقرَّب للسلطان بغية رفد وعطاء لا يثق بعلمه، لذا كان الفقهاء والعلماء ينأون بشعرهم عن الكسب المادي درءًا للشبهات، فزهدوا في أبواب الحكام، وتقربوا لمشايخهم وعلمائهم ونظروا إليهم نظرة الإعلاء والتقدير.. فتكون مدائحهم غررًا وفرائد.

وقد نشط في المغرب العربي وخاصة بين الفقهاء فن «المعارضات» الشعرية، والمعارضات فضاء فني يستعرض فيها الشاعر قدرته الفنية واللغوية علىٰ محاكاة القدامىٰ صورًا ولغة وإبداعًا وإيقاعًا.. واشتهر المغاربة والأندلسيون بفن المعارضات أكثر من المشارقة.. فقد شكلت القصيدة الشرقية القاعدة/ الأصل للانطلاق، ومثلت المعارضة الثمرة أو صدىٰ تلك القاعدة.

ولا يجرؤ علىٰ المعارضة إلا من امتلك اللغة وتكاملت لديه الملكات الإبداعية، فهو ليس قاصرًا إنما هو قادر كقدرة الأول إن لم يفقه إبداعًا.. وهل يشكك أحد في قدرة البارودي أو شوقي أو حافظ إبراهيم وهم رواد هذا الفن في العصر الحديث؟!

فالعودة للماضي والارتداد إلىٰ التراث هي قاعدة رئيسة للانطلاق إلىٰ نهضة أدبية وفنية.

وتمثل «دالية اليوسي» حلقة من حلقات هذه المعارضات الشعرية..

إذ تمثل «الداليات» ركنًا رئيسًا في فن المعارضات.. فتنحدر نسب هذه «الداليات» إلىٰ «دالية النابغة الذبياني» والتي مدح بها زوجة النعمان بن المنذر، والتي يقول فيها:

أمـن آل ميـة رائـح أو مغتـدِ عـجلان ذا زاد وغيـر مـزوّدِ

من هذه الشجرة النابغية تناسلت وأزهرت وأثمرت ثم أينعت علىٰ يد اليوسي.. ولكن يعود الفضل إلىٰ الإمام البوصيري وهو واحد من حلقات تلك الشجرة، ولكنه تحوَّل بقصيدته من مدح سلطان أو ملك رجاء مال أو بغية عطاء إلىٰ مدح شيخه وهو بذلك يوجه القصيدة الوجهة الدينية لتصبح «الداليات» مقترنة بالمدح خاصة.

نظم البوصيري «داليته» وجعلها في مدح أبي العباس المرسي، ويقول في مطلعها:

كتب المشيب بأبيض في أسود بـفـراق مـا بيـني وبـيـن الـخـرد

الأمر الذي جعل اليوسي يدخل حلبة المنافسة وتلك المبارزة بداليته الشهيرة في مدح شيخه ابن ناصر الدرعي، وهي قصيدتنا والتي مطلعها:

عـرج بمنعرج الـهضـاب الـورّدِ بين اللصاب وبين ذات الأرمـدِ

أقامها اليوسي قربانًا لشيخه وعرفانًا له بالفضل العميم، ومعبراً عن حبه وولائه وصدق انتمائه لهذا الولي، الأمر الذي جعل بعض المعاصرين له ومن اتباع الزاوية الناصرية يعارضونها، وعلىٰ رأسهم أحمد بن عبد القادر التستاوتي (ت ١١٢٧هـ) الذي عكف علىٰ قصيدة اليوسي ليل نهار حتىٰ عارضها «بدالية» يقول فيها:

عـرج بـأطـلال الأحـبـة واقـصـد آثـارهـم يـومًـا لـعـلـك تـهـتـدي

وتدخل هذه القصيدة ضمن القصائد التي صرح ناظمها بمقصد المجاراة والمعارضة فقال التستاوتي: «فإن القصيدة اليوسية البليغة السنية من أجل كوكب من سماء البلاغة طلع، وأسنىٰ نور من قمر الفصاحة سطع، وقد ماشيته بقصيدة أشبه شيء بالعصيدة واختلفتا في المقاصد والمحامد مع اجتماعنا علىٰ روي واحد، فنرغب من سادتنا غض الطرف عن معانيها، وقبح ما يظهر من تراكبها، فإنها وإن كانت كذلك اتصفت بما هنالك، فقد تزينت بشمائل الممدوح بها، وتعطرت بأوصافه التي كان الثناء عليه من أربها (ﷺ) والمرجو من الله القبول، وبلوغ ما أردناه من السول».

إذن نص التستاوتي علىٰ مجاراة اليوسي، ولكن نلاحظ تواضعه وحُسن تأدبه مع قصيدة اليوسي، فهو لم ينافس بقصد التجاوز والسبق إنما غاية مرادة الإبحار مع اليوسي في عالم الداليات.

وعلىٰ هذا فقد شكلت «دالية اليوسي» مقدمة لسلسلة من المدائح الصوفية التي نظمت في شيوخ الزاوية الناصرية، وكانت عنوانًا كبيرًا لمدرسة شعرية جديدة تهتم بالزعماء الروحيين، وقادة المجتمع الحقيقيين[1].

ولذا كثرت الأوصاف والألفاظ الصوفية داخل القصيدة وشكلت لبنة من لبناتها وركنًا رئيسًا في بنائها.. وأصبح الشاعر يعتني بالإشارة إلىٰ كل صفات الشيخ سواء ما هو علمي أو معرفي أو روحي أو تربوي وما يتعلق من كرامات وخوارق للعادات.. فنجد الشيخ (الممدوح): «غيث الورىٰ»، «ناصر الشريعة»، «إمام الطريقة»، «عالم الحقيقة»، «بحر المعارف»، «عنوان الولاية»..... إلخ، ومن ذلك - مثلاً - قول اليوسي:

(١) مقال «المديح الصوفي - الشعر الناصري نموذجًا» محمد شداد الحراق.

غيث الورىٰ ذاك ابن ناصر الذي نصر الإله به شريعة أحمد
وأعاد وجه الدين أبيض مسفرًا بهجًا مقرًا عين كل موحد
وأقام سمك بنائه حتىٰ سما فوق السماك علىٰ الأواسي الوطد

والمتأمل في قصيدة اليوسي يلحظ أنه قد ركز علىٰ صفتين أساسيتين في الشيخ «ابن ناصر» وهما: الجانب الديني الدعوي التربوي، والجانب العلمي المعرفي، وقد احتل الشيخ بهما أعلىٰ المراتب وأجل المنازل أو علىٰ حد قول اليوسي «غير مزاحم» فكان درة زمانه وفريد عصره وأوانه[1]، من ذلك قوله:

فكشفت جلباب الجهالة عن سنا بدر لسائمة الضلال مندد
ومنحت إحياء الهداية موضحًا منهاجها للسالك المتعبد
وحميتها من كل سار سارق وفككت منها الغل عن هادٍ الهدي

لاحظ استعمال «الفعل الماضي» في «كشفت - منحت - حميت - فككت......»، مما أفاد التحقيق واليقين في أفعال الشيخ وبركاته وكراماته حتىٰ وصل الشيخ بها إلىٰ درجة الكمال.. كما كان ابن ناصر عند اليوسي يجمع بين الشريعة والحقيقة، فهو لم يصل بعد في غلوه إلىٰ إسقاط التكاليف عن الشيوخ وما إلىٰ ذلك من مظاهر الصوفية.

تحدث اليوسي في داليته عن السلسلة الشاذلية، وهم شيوخ ابن ناصر فقد بلغوا المكانة العالية الرفيعة في المعارف والعلوم، فقد نهلوا جميعًا من مصدر واحد ومنبع واحد..

ورث الإمام الشاذلي طريقة والليث يسري سره للفرهد

---

(١) المصدر السابق نفسه.

سنن تهادته مشايخ قادة لطوالع الزهر الدراري الوقد
التائبين العابدين لربهم القانتين الراكعين السجد
والسائحن الحافظين حدوده والآمرين بها النهاة العبد

يلاحظ استلهام النص للقرآن الكريم، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ (التوبة: ١١٢).

كما تحدث اليوسي عن علاقة المريد بالشيخ - وبدءًا ما يجب أن يتحلىٰ به الشيخ من الأخلاق والعلم والورع كابن ناصر الذي تحلىٰ بسمتين مهمتين وهما: التقوىٰ، وهي زاده الأخروي، والكفاية، وهي زاده الدنيوي، وهكذا يجب أن يكون الشيخ جامعًا للحقيقة والشريعة، الظاهر والباطن، المادة والروح.. ثم راح يحدد ما يجب أن يتحلىٰ به المريد من صفات، فعليه أولاً أن يتجنب الجبن والبخل وسوء الأخلاق والضعف والبلادة والفجور... فهذه الصفات تعرقل المريد عن العلا وارتقاء روحه، ومع ذلك هي صفات يمكن التغلب عليها بإرادة قوية وهمة عالية، وذلك بفضل الذكر والرياضات الروحية.. وعلىٰ المريد ثانيًا أن يتحلىٰ بعلو الهمة وترك الراحة وعدم الانسياق وراء الشهوات، وعدم التسويف، فلا أضر علىٰ المريد من الغنىٰ والشباب والفراغ.. وعليه أن يتحلىٰ بالصبر والمجاهدة والصدق والمحبة والحزم في إلجام النفس.. وعلىٰ المريد أيضًا أن ينسىٰ أمر الرزق ويستجيب لدعوة الرازق، وعليه أن يخرج من الزمن بأن يكون آن وقته ولا يلتفت إلىٰ ما مضىٰ وما سوف يأتي، وعليه أن يقتل النفس بكسر شهواتها وعصيانها إلا في أمور الخير والفلاح، وعليه قبل كل ذلك الاستعانة والاستنجاد بالمولىٰ عَزَّوَجَلَّ ، فهو أحق أن يدعىٰ للحاجة...

منهج اليوسي في الشرح:

اختط اليوسي لنفسه منهجًا ثابتًا في شرحه للقصيدة من أولها وحتىٰ آخرها فلم يخرج عنه حتىٰ انتهىٰ من شرحه.. وسنوجز هذا المنهج في نقاط قصيرة.

* يبدأ اليوسي بذكر البيت أو الأبيات المراد شرحها.. ثم يتبعها بذكر معاني الكلمات الغامضة والتي ربما تصعب علىٰ الفهم أو تكون معانيها مغلقة لدىٰ بعض القراء.. مصوبًا قراءتها كقوله - مثلاً -: «الفرات من الماء: العذب جدًا، فرت الماء بالضم: عذب، والخلة - بالفتح -: الحاجة، والغرث: الجائع. يقال: غرث - بالكسر - فهو غرث.....»، وهكذا كان اليوسي حريصًا علىٰ ضبط كلماته، بقوله كذا بالكسر، أو كذا بالضم...

* وأحيانًا يستعين بفن الصرف لتوضيح كلمة، فيذكر جمعها أو مفردها وأحيانًا أصلها وما دخل عليها من إعلال أو إبدال كما في البيت:

لـو رئـيـه نـاجـتـك عـنـه لـوائـح   صـادفـت مـا تـهـوىٰ فـلا تتألد

يقول اليوسي: يقال: رآه، وراءه مقلوبًا والفعل مع التاء من الأول رأيته، ومن الثاني رئته...»، أو قوله في موضع آخر: «والغد في البيت أصله الغدوي بياء النسب، يقال في النسب إلىٰ الغد: غدوي وغدي...».

أو قوله: «الوغد: الأحمق الضعيف، يقال: وغد بالضم، وغاده فهو وغد، وفلان أو غد من فلان، وكثيرًا ما يراد بأفعل معنىٰ فاعل كما عرف».

* كما استعان اليوسي بفن البلاغة، ولكن بإيجاز شديد، فيكتفي بالإشارة الدالة في جملة من الجمل أو عبارة في بيت من الأبيات بقوله: «والجملة استعارة»، أو «والجملة كناية»، أو «الجملة وردت علىٰ التشبيه».... وهكذا.

* وإذا ما انتهىٰ اليوسي من معاني كلماته نراه ينثر هذا البيت أو الأبيات

المرادة في قالب نثري، مبتدئًا بقوله «يقول».. وفي هذا الشرح أو نثر البيت يعرّج علىٰ أشياء كثيرة، منها:

- الاستعانة ببعض الآيات القرآنية لتوضيح المعنىٰ، وقد بلغ عدد ما استعان به من آيات قرآنية نحو نيف وعشرين آية.

- كما استعان اليوسي بالحديث النبوي الشريف، وتراوحت هذه الأحاديث ما بين الصحة والضعف.. وغالبًا لم يذكر اليوسي نص الحديث كاملاً إنما يكتفي بجزء منه مدللاً علىٰ صحة ما ذهب إليه، وبلغ عدد الأحاديث نحو سبعة عشر حديثًا نبويًا.

- كما اعتمد اليوسي في شرحه علىٰ الشواهد الشعرية، والتي وصلت لنحو ثلاثة وثمانين شاهدًا شعريًا.. تراوح هذا الشاهد ما بين ذكر صدر بيت أو عجز بيت كما في شاهده «ولقد أمر علىٰ اللئيم يسبني»، أو قول البوصيري: «فجوهر الحسن فيه غير منقسم»، وما بين ذكر سبعة أبيات كما في أبيات أمية:

«ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن...»، أو أبيات عوف بن محلم: «أفي كل عام غربة ونزوح»، مرورًا بالبيت المفرد أو البيتين أو حتىٰ الثلاثة أبيات.

ونلاحظ أن الشعراء الذين استشهد اليوسي بشعرهم يمثلون جميع العصور الأدبية بدءًا من الجاهلي أمثال: النابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمىٰ، وامرؤ القيس، ومرورًا بعصر صدر الإسلام وبني أمية ومنهم: حسان بن ثابت، وجرير والفرزدق، وكذلك عصر بني العباس، ومنهم: المتنبي وابن الرومي وبشار، كما استشهد اليوسي بالأندلسيين فذكر منهم ابن حمديس، كما استشهد بأبيات شعرية قالها في مناسبات مختلفة.

كما يلاحظ علىٰ تلك الأبيات أن بعضها ورد منسوبًا لقائله أمثال: امرؤ القيس، والنابغة، طرفة، زهير بن أبي سلمىٰ، حسان، جرير، الفرزدق، بشار،

ابن الرومي، المتنبي، ابن طباطبا،... كما أغفل الرجل - أحيانًا - ذكر الشاعر فيكتفي بقوله: «قال».

كما يلاحظ أن تلك الأبيات وردت علىٰ بحور عروضية معينة وهي الطويل والكامل ولهما الصدارة ثم الوافر والبسيط، وورد بيت للمتقارب، وآخر للرمل، وبيت من الرجز وواحد للسريع.

وإذا كان اليوسي استعان في شرحه بالقرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر العربي فنراه أيضًا مولعًا بأقوال الصوفية، ولذا نرىٰ لديه أقوالاً لأئمة المتصوفة كالجنيد، والسري السقطي، والإمام الساحلي... وغيرهم، وقد ورد بعضها غير منسوب لقائله.

- والرجل كان مولعًا بالأمثال العربية، ولذا نراه كثيرًا ما يستعين في شرحه بالأمثال العربية القديمة والمولدة، بعضها في كتابه «زهر الأكم» وبعضها لم يذكره الرجل في كتابه.. وقد اقتربت هذه الأمثال من الثلاثين مثلاً، وهو عند ذكره المثل، يذكره أنه صار مثلاً.

- ويتحين الرجل الفرصة - أحيانًا - فيورد طرفة أدبية، كقوله: «سئل الأعشىٰ ما ألذ الأشياء، قال: صهباء صافية، تمزجها ساقية، من ماء غادية»، وقد يورد قصة لطيفة كحكاية أبي عبد الله الغرواني، وأنه خرج ذات مرة إلىٰ بعض القبائل لإيقاع صلح في أمر وقع، فلما راح إليهم افتتح الذكر فتواجد الناس كلهم حتىٰ اختلط الفريقان، ولم يزل ذلك دأبهم جميع الليل، وكان ذلك في رمضان، فلما علم الفجر صاح الناس، وأشفقوا من بقاء الناس بلا سحور، واعلموه، فقام، وقال: وأمري بأمر الله ارجع، أو كما قال، فذهبت تباشير الصبح التي ظهرت وأقبل الليل بظلامه حتىٰ تسحر الناس واكتفوا وفرغوا، فعند ذلك جاء الفجر»، كما ذكر قصة يوشع بن نون، والأسكندر، ودعيميص الرمل، وبعضًا من أخبار القدماء كالنعمان بن المنذر، وسيف بن ذي يزن، ودارا، وكيومرت،....

- لم يكتف اليوسي بهذا في شرحه إنما امتد لذكر التصوف، وكيف لا وهو يمدح شيخه ابن ناصر الدرعي.. فتراه يذكر السلسلة الشاذلية حتىٰ يصل بها إلىٰ الإمام علي بن أبي طالب (كرَّم الله وجهه)، كما نراه يبسط القول في الروح وكسر الشهوات وعداوة النفس، ومعارج الترقي، وسبل الوصول والسلوك والمجاهدة... إلخ.

- ولم ينس اليوسي أن يذكر لنا بعض مصادره فيذكر لنا صراحة كتبًا معينة كالقاموس المحيط، ولسان العرب، وكتاب البغية للإمام الساحلي، وفي أحيانًا أخرىٰ يذكر اسم المؤلف ولا يذكر اسم الكتاب، فقد ذكر، ابن العريف، وابن القطاع.

وأخيرًا تبقىٰ قصيدة اليوسي وشرحها واحدة من أهم قصائد الصوفية، لغة وصورًا ومعان، وطريقًا للسالكين ومنارة للمريدين المجاهدين في طريقهم لمعارج القبول.

والقصيدة تنتمي لبحر الكامل.. وقد اختار اليوسي حرف الدال المقصور لقافيته مع فتح مع قبله، وفي ذلك إشارة واضحة لانكسار المريد وخضوعه أمام الله عَزَّوَجَلَّ وأمام شيخه الذي يدله علىٰ طريق الوصول، كما يؤكد أن انكسار السالك مرتبطٌ بالفتح الإلهي.

***

والمثير للانتباه أن جاك بيرك في دراسته حول اليوسي يصرُّ علىٰ تأثر اليوسي الكبير بابن عربي، قائلاً بالاندماج بين تياري سير الأولياء الشعبية والنظر والعلم، فيقول نصًا: «كان تصوف ذلك الزمان يجمع بين العلوم النقلية الأكثر تفقهًا، وبين هبّة ريفية»، وذلك أن الإفراني في كتابه «صفوة من انتشر» أورد خبرًا طريفًا مفاده «أن اليوسي كان يبيت في أضرحة صلحاء مراكش».

وتبقىٰ مسألة تأثر اليوسي بابن عربي مسألة تستدعي تحليلاً كاملاً لمؤلفات اليوسي، وإن كان ابن عربي له أثر كبير في متصوفي القرون التالية له.

بقيت ملاحظة أخيرة هي أن اليوسي لم يلق الاهتمام اللائق به في الشرق؛ فقد ذكر عبد الله كنون في كتابه «اللغة والأدب» أنه قرأ في عدد ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٣م من جريدة «الشرق الأوسط» مقالاً تحت عنوان «شاعر سيئ الحظ» للشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي، تناول فيه حجازي ديوان اليوسي بالنقد اللاذع، واعتبره ممثلاً أمينًا لعصر الانحطاط حيث شاعت الركاكة وانحدر الإبداع، وصارت القصيدة خزانة للمحسنات والزخارف اللغوية، وتبدو فيها السذاجة في التصور، وكذا بها بعض الأخطاء اللغوية والنحوية.. وعرّج حجازي علىٰ القصيدة الدالية بقوله: «المستوىٰ الثاني لشعر اليوسي تبدو فيه المفردات غريبة مستعارة، والتعبير فيه تقريري جاف رغم الزخرفة والتحسين بالجناس والتورية والتزام ما لا يلزم والأخطاء اللغوية والنحوية والعروضية أكثر، وغالبًا ما يكون هذا في الإخوانيات والمدائح، حيث يطيل الشاعر دون قدرة، كما نجد - مثلاً - في قصيدة يهنئ فيها صديقًا له بالعودة من حجته الثانية، فقد بلغ عدد أبياتها ٥٤٣ بيتًا لم ينج فيها من التكلف والخطأ إلا القليل النادر»، ولكن العلامة عبد الله كنون رد علىٰ هذه المزاعم الخاطئة، واستشهد بأبيات من الدالية، ثم قال: «أين هي الزخرفة والتحسين والتزام ما لا يلزم؟ وأين التعبير التقريري الجاف مع هذا التصوير الممتع البليغ، وأين هي الأخطاء اللغوية والنحوية والعروضية التي زعم الناقد أنها كثيرة، أما غرابة بعض الألفاظ، فإنها في ذلك العصر الذي ضعُفت فيه اللغة، تعتبر من باب الإحياء اللغوي، وتدل علىٰ أصالة الشاعر، ورسوخ قدمه بالأدب العربي وأسراره....».

وإليك عزيزي القارئ تلك القصيدة الدالية التي تُعدُّ درة من درر القصائد لغة وصورًا وإبداعًا.. وليس كما ذكر حجازي في مقاله.

***

النسخ المعتمدة في التحقيق:

النسخ التي اعتمدتها في التحقيق اثنتين، ليس أي منهما ما يمكن أن أعده نسخة أما، إذ إن النسختين في حقيقتهما نسخة واحدة مع بعض الخلافات الطفيفة، ربما نتجت عن سهو الناسخ أو غفلته، وأريد أن أقف الآن عند هاتين النسختين لوصفهما، وأعلل قولي بأن ليس في أي منهما ما يمكن أن أعده أما، فأقول:

١- نسخة الرباط: ورمزت إليها بـ (ط) وهي نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (د ٣٤٥)، وهي لا يوجد علىٰ غلافها تمليكات، وإنما خاتم الخزانة البيضاوي فقط، والنسخة داخل إطار، مكتوبة بخط مغربي، بها بعض الصفحات مطموسة من أثر الرطوبة، وهي نحو ١٩٢ صفحة، أي ٩٦ ورقة، تضم الصفحة الواحدة نحو ١٨ سطرًا، تبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم. صلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم. قال الشيخ الإمام العلامة الحبر الفهامة، علم الأعلام، ومصباح الظلام صاحب التآليف الجليلة أبي علي بن الحسن بن مسعود اليوسي القبيلة تغمده الله برحمته ونفعنا في الدارين ببركاته.... أما بعد فقد كنت سنة سبع وسبعين قلت قصيدةٍ أمدح «شيخنا سيدنا أبا عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، فرأيت كثيرًا من رواتها....».

وتنتهي بقوله: «فقال لي: أهل زماني ثلاثة أصناف، ومن أحب فهو لا حق به... والحمد لله.... انتهىٰ».

ولا يوجد بهذه النسخة تعليقات بالهامش ولا تاريخ نسخ، وتخلو من اسم الناسخ ومكانه.

وهذه النسخة لها مصورة ضمن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (أدب ١٩١٦)، وقد وردت ضمن فهرس المخطوطات المصورة بالمعهد جـ١/ قسم ٤/ ص ١٦٩، وهي تحمل رقم ميكروفيلم (٣٥مم) بالمعهد مع

ملاحظة أنها وردت تحت عنوان (نيل الأماني من شرح التهاني).

٢- النسخة المصرية: ورمزت لها بـ (م) وهي نسخة مطبوعة عام ١٢٩١ هلالية، بمطابع الكوكب الشرقي بالإسكندرية، وهي مرقونة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤٤) خصوصية، وقد أهديت إلىٰ الكتبخانة الخديوية (دار الكتب) من طرف سليم الحموي في أبريل ١٩٧٦م، وقد دوَّن ذلك علىٰ غلافها. والنسخة مائة ورقة، نحو مائتي صفحة تضم الصفحة الواحدة نحو ٢١ سطرًا، وهي داخل إطار، ونادرًا ما يوجد تعليق ممهور بإمضاء المحرر (فتح الله)، وهو حمزة فتح الله[1]. وتقع أبيات القصيدة داخل إطار صغير، وتخلو النسخة من علامات الترقيم، والضبط، وبها بعض الأخطاء الطباعية، كما أنها تخلو من ذكر الناسخ، وذكر مكانه وتاريخه.

عملي بالتحقيق:

التزمت بالمنهج العلمي المتبع في التحقيق، ملتزمًا بالآتي:

١- قمت بالنسخ حسب قواعد الكتابة الحديثة، مستعينًا بعلامات الترقيم.

٢- قدمت للكتاب بمقدمة شارحة وبترجمة وافية للمؤلف، وألحقتها بترجمة أخرىٰ للممدوح.

٣- خرجت شواهد الشرح من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، والأشعار بالرجوع للمصادر، وكذا الأمثال العربية، والعبارات الصوفية الواردة بالشرح.

٤- خرجت الأشعار بالرجوع للمصادر - وغالبًا ما يكون الديوان - معرفًا

---

(١) حمزة فتح الله: ولد بالإسكندرية عام (١٢٦٦هـ/ ت عام ١٣٣٦هـ) (١٨٤٩م/ ١٩١٨م) عمل مفتشًا أول للغة العربية بوزارة المعارف العمومية، وعمل محررًا في إحدىٰ الصحف التونسية، ومكث هناك ثماني سنوات. وعمل مدرسًا بدار العلوم.

ببحورها العروضية، ذاكرًا بعض الخلافات في روايتها.

٥- نسبت الأشعار المجهولة في الشرح إلىٰ أصحابها وذكرت أماكن وجودها.

٦- عرفت بأسماء الأماكن والأعلام الواردة بالشرح تعريفًا موجزًا مستعينًا بكتب التراجم والسير وكتب المعاجم والتاريخ.

٧- قمت بضبط بعض الكلمات التي تحتاج إلىٰ ضبط حتىٰ تسهل القراءة علىٰ القارئ.

٨- صنعت فهرسًا فنيًا في آخر الشرح يضم: فهرس الآيات القرآنية، وآخر للأحاديث النبوية، وثالث للأعلام، ورابع للشواهد الشعرية، وأخيرًا لأسماء المدن.

***

وبعد؛ فقد بذلت كل ما أقدر علىٰ بذله في خدمة هذا الكتاب وإخراجه، ولكن بقيت أشياء - ربما - لم أوفق إلىٰ معالجتها، لذلك أجدني مدخرًا شكرًا صادقًا عابقًا بالإكبار لكل من سيسهم في حل مشكلة من مشكلاته العالقة أو يهدي إليَّ عيبي، وإذا كان هذا النداء لا يستثنىٰ أحدًا ممن له علم بتلك الأمور، فإنه يُحمّل المتخصصين بالأدب المغربي المسئولية مضاعفة فالحمل الثقيل لا ينهض به إلا أهله.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

د. محمد علوان سالمان

القاهرة في: ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٥م



صور المخطوطات


١٤ ق ادب

هذه عقود نثرت جمانها فكرة شيخ الاسلام
أستاذ العلماء الكرام العلامة الحسن بن
مسعود اليوسى شرحا على قصيدته
الداليه التى هى فى جبين القريض
غرة بهيه احدى تهانى شيخه
الغوث سيدى أبى عبد
الله بن ناصر الدرعى
عمت بركاته
آمين

طبع بمطبعة الكوكب الشرقى بالاسكندريه
سنة ١٢٩١ هلاليه

غلاف النسخة (م)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

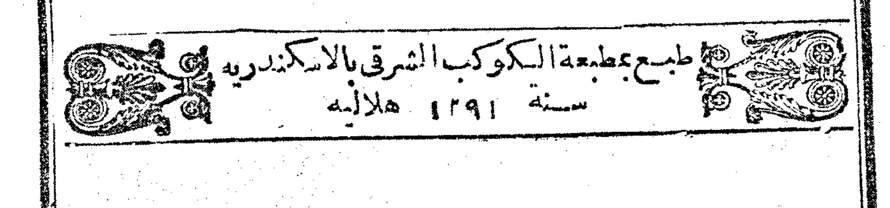
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم قال الشيخ الامام والصدر الهمام حجة الاسلام امام الطريقه ومعدن الحقيقه الاجل خاتمة المحققين علم المهتدين أبو علي شيخنا الحسن بن مسعود اليوسي رضي الله تعالى عنه

الحمد لله أهل الحمد والثناء ذي العظمة والكبرياء والسناء وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد المحمود في الارض والسماء وعلى آله وأصحابه ذوي القدر الاسما والمنزلة الاسما (أما بعد) فقد كنت سنة سبع وسبعين قلت قصيدة أمتدح بها شيخنا الرباني واستاذنا العرفاني أوحد زمانه في العلم والدين وشيخ أوانه في تربية المريدين سيدنا

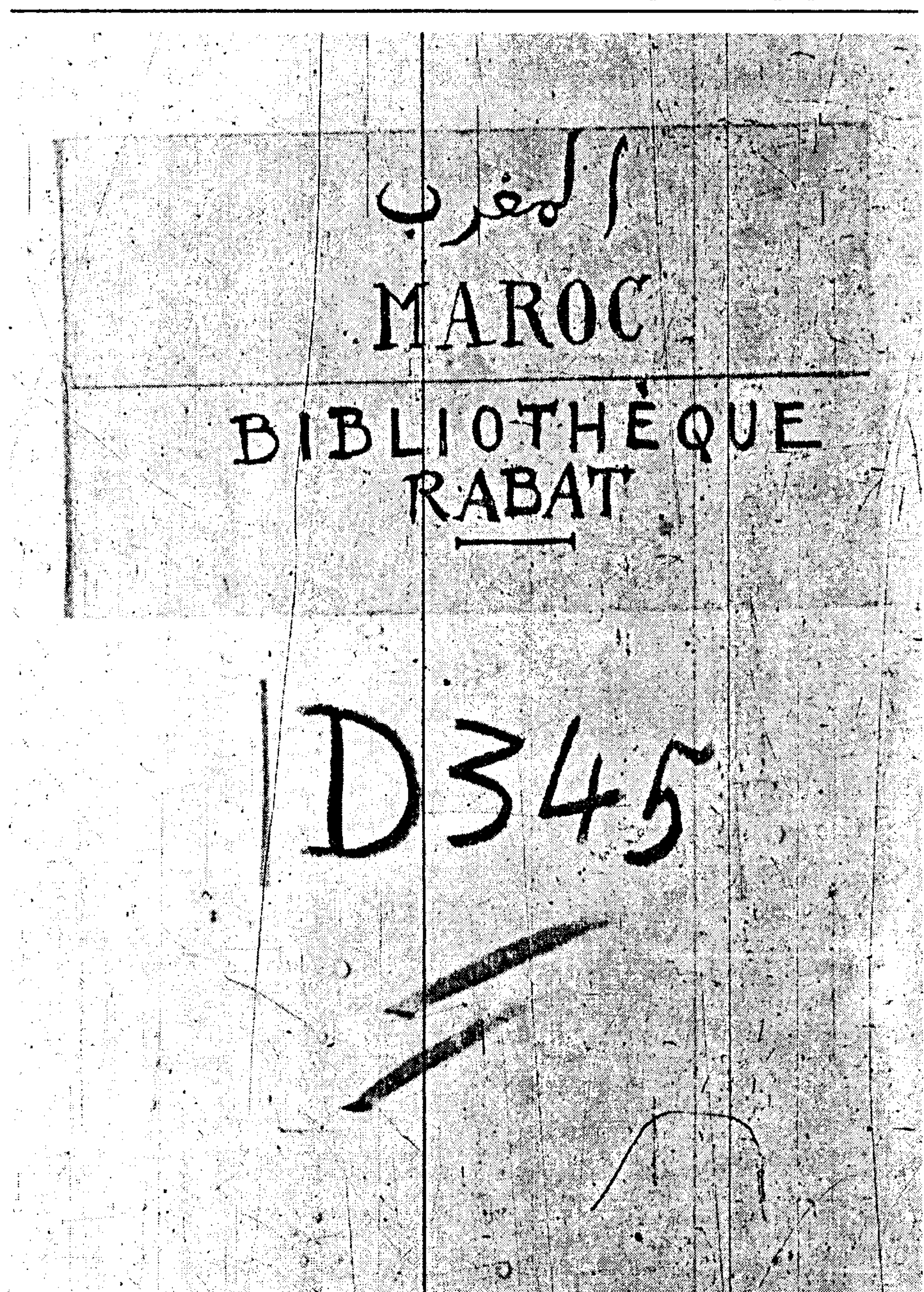
١١

الصفحة الأولى من (م)

من كان عليه الطابع فلا كلام فيه ومن أحب فهو لاحق به وغيرهما
ينتفع بدعائنا ان شاء الله تعالى فى الدنيا حقق الله تعالى له
ذلك ولنا بجاهه وجميع الاخوان وسائر المؤمنين
آمين وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى
آل سيدنا ومولانا محمد عدد ماذكره الذاكرون
وعدد ماغفل عن ذكره الغافلون
وعلى سائر الانبياء والمرسلين
وآل كل والحمد لله رب
العالمين .


طبع بمطبعة الكوكب الشرقى بالاسكندريه
سنة ١٢٩١ هلاليه

الصفحة الأخيرة من (م)



غلاف نسخة (ط)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ الإمام العلامة الحبر الفهامة علم الأعلام
ومصباح الظلام صاحب التآليف الجليلة أبو علي سيدي الحسن
ابن مسعود اليوسي القبيلة تغمده الله برحمته ونفعنا في الدارين ببركاته

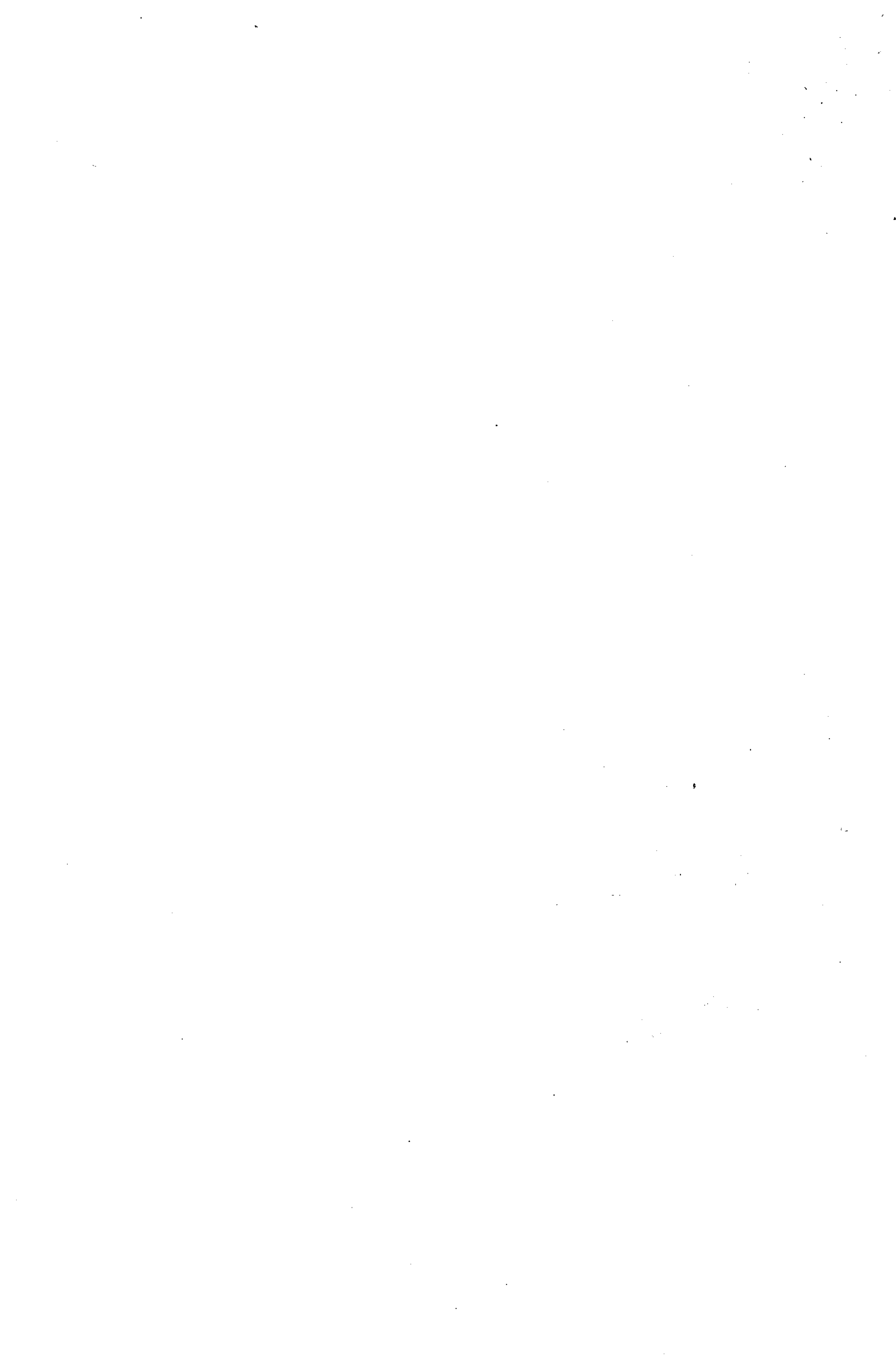
الحمد لله حمدا يليق بالثناء في العظمة والكبرياء والسناء وصلى
الله على سيدنا ومولانا محمد المحمود في الأرض والسماء وعلى آله وصحبه
ذوي الفخر والانتماء والسنن لذوي السناء أما بعد فقد كنت سنة
سبع وسبعين وألف فيما أمدح بها شيخنا الرباني وأستاذنا
العرفاني أوحد زمانه في العلم والسر ووحيد أوانه في تهييء
المريدين سيدنا أبا عبد الله محمد بن ناصر الدرعي أمتع الله بوجوده
وأسبغ علينا وعليه سوابغ جوده وأمنيته بمقبلة من جنته
الثانية فرأيت كثيرا من رواتها تنبو أفهامهم عنها ويستغربون
كثيرا منها فيصيرون الرصين ضرسا والسلس شكسا وما ذاك إلا
لعموم الغباوة والجهل على أبناء الزمان وتقاصر هممهم عن العلوم ولا سيما
علم اللسان فأردت أن أضع تقييدا مختصرا أبين لهم فيه ما عسى
أن يشكل من ألفاظها غير متصد لتقرير مبانيها وتحرير ما لم يكن عنه

الصفحة الأولى من (ط)

العزم والرجوع وغيرها يشير به ويخصصون الحالم [illegible] واجمعوا استمسكوا بحظها منى
حصول الزمر [illegible] ومتوا رفعوا الرغائب الى العطايا
العظمى اسعدتهم بما رغبوا او الشيم بما كلفوا فمن سعدت بغرة وجه الليالي وايامها
وزمعت بمنهما النفوس فلا يلتفت معها الى الشهوة من انتقل الى انتسب بنوع انتساب ولو
بالمغاربة فكان فان لم يكن حبيبه من اهل الشقاوة ثم يسعد بغلبة منزلة الرئيس
اليهما بنفسه فاذا ريد اهله فالانتماء كاف [illegible] وكذا حصول السعادة ثم اما داعية
واما الوقت ونحو حتى تشتهى بعض الاخوان فقلت للشيخ رضي الله عنه
يوما يا سيدي ما تفعلون ان تسأل اليه امدادا انها كانت [illegible] ذلك عنوانه
مع اوليائه فقال في امل زمان ثلاثة اصناف من كان فيه الطابع فلا كلام
ومن اصحب [illegible] به وغيرهم من يتشبع بما [illegible] الدنيا حفظنا الله تعالى [illegible]
ولنا بجاهه وجميع الاخوان وسائر المؤمنين وصلى الله على سيدنا محمد وآله
عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون وعلى سائر الانبياء
والمرسلين وآل كل والحمد لله رب العالمين.
انتهى بحمد الله.

الصفحة الأخيرة من (ط)

النص المحقق



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم. قال الشيخ الإمام[1] والصدر الهمام حجة الإسلام، إمام الطريقة، ومعدن الحقيقة، الأجل خاتمة المحققين، علم المهتدين، أبو علي شيخنا الحسن بن مسعود اليوسي رضي الله تعالىٰ عنه.

الحمد لله أهل الحمد والثناء، ذي العظمة والكبرياء والسناء، وصلىٰ الله تعالىٰ علىٰ سيدنا ومولانا محمد المحمود في الأرض والسماء، وعلىٰ آله وأصحابه ذوي القدر الأسمىٰ والمنزلة الشمىٰ.

(أما بعد):

فقد كنت سنة سبع وسبعين قلت قصيدة أمتدح بها شيخنا الرباني، وأستاذنا العرفاني، أوحد زمانه في العلم والدين، وشيخ أوانه في تربية المريدين، سيدنا أبا عبد الله محمد بن ناصر بن الدرعي أمتع الله بوجوده، وأسبغ عليه وعلينا به سوابغ جوده، وأهنيه بمقبله من حجته الثانية (فرأيت) كثيرًا من رواتها تنبو أفهامهم عنها، ويستغربون كثيرًا منها فيعدون الدهس منها ضرسًا، والسلس شكسًا، وما ذاك إلا لعموم الغباوة والجهل علىٰ أبناء الدنيا، وتقاصر هممهم عن العلوم، ولا سيما علم اللسان فأردت أن أصنع تقييدًا مختصرًا يبين لحفاظها ما عسىٰ أن يشكل من ألفاظها غير متصد لتقرير معانيها وتحرير ما لم يكن عنه بد من مبانيها، إذ ذاك يتسع ويفتقر إلىٰ زمان وفصول؛ فإن القصيدة بحمد الله

---

(١) في (ط): الحَبر الفهامة، علم الأعلام، ومصباح الظلام، صاحب التآليف الجليلة أبي علي ابن الحسن بن مسعود اليوسي، تغمده الله برحمته، ونفعنا في الدارين ببركاته.

تعالىٰ من بركته اشتملت من العلم علىٰ أنواع، في كل منها مجال رحب للترك والإيضاع.

(فمن فنون العرب ثمانية): النسيب، والأمثال، والحكم، والوصايا، والوقائع، والمديح، والاستعطاف، والتسنية. وفيها غير ذلك كالأوصاف والافتخار وسير المطايا ونحو ذلك.

(ومن فنون التصوّف أربعة): الوعظ، وشرح المملكة الإنسانية، وآداب السلوك، ومنازل السالكين. إلىٰ ما يتبع ذلك كنسب الطريقة، وصفة القدرة ونحو ذلك، وفيها مع ذلك جملة وافرة من اللغة ينتفع بها حفاظها.

هذا إلىٰ ما احتوت عليه من براعة المطلع، وحُسن التخلص، والانتهاء إلىٰ ما ركبت عليه من ضروب البلاغة، وما دبجت عليه من أفنان البديع، وكل ذلك بحمد الله تعالىٰ علىٰ أبلغ وصف، وأبدع رصف، وحسبك منها أنها قد طالت إلىٰ نحو خمسمائة بيت وأربعين بيتًا، ولا يوجد فيها روي مكرر، ولا ضرورة تستنكر. وإذا تأمَّل ذلك كله وغير ذلك من محاسنها اللبيب المنصف عدَّها كرامة من كرامات الشيخ الممدوح بها؛ فإني والله ليس لي فيه قوة ولا حول، وإنما هي نفحة من نفحاته وبركة من بركاته، وإنما هو كما قال أبو الطيب:

وأخـلاق كافور إذا شئت مدحه   وإن لم أشأ تملىٰ علي فأكتب[1]

بل كما قال الآخر:

---

(١) أبو الطيب: أحمد بن الحسين بن الحسن، أصله من اليمن (الجعفي)، وكان أبوه سقاء ماء، ولد نحو سنة ٣٠٣هـ في الكوفة، وانتقل إلىٰ بادية السماوة واتصل بالقرامطة، وتجول في بلاد الشام، وهو من أشهر شعراء العربية، وتوفي عام ٣٥٤هـ. انظر: معجم الشعراء العباسيين: ٣٩٧، نزهة الألبا: ٣٦٦- ٣٧٤، يتيمة الدهر: ١/ ١٢٦- ٢٤٠.
والبيت من بحر الطويل. بديوانه: ١/ ١٨١، برواية: تملىٰ علي وأكتب.

لا تنكرن إذا أهديت نحوك من علومك الغرّ أو آدابك النتفا
فقيم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا[1]

وأصل هذا المعنىٰ لأبي الحسن بن طباطبا حيث قال:

لا تنكرن إهداءنا لك منطقا منك استفدنا حفظه ونظامه
فالله عز وجل يشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه[2]

ومن محاسنها: أن نسيبها جار علىٰ أسلوب معظم القدماء من بكاء منازل الأحباب، وعلىٰ التحقيق لا علىٰ مجرد الفرض كما هو حال معظم المحدثين، والله الموفق، وهذا أوّلها:

عـرِّجْ بمنعرجِ الهضابِ الورّدِ بين اللِّصاب وبين ذاتِ الأرمدِ

التعريج: حبس المطية، مثلاً علىٰ المنزل. والمنعرج: المنعطف. والهضاب: الجبال المنبسطة علىٰ الأرض جمع هضبة. والورّد: جمع وارد، وهو المشرف

(١) البيتان من بحر البسيط: لابن طباطبا العلوي وهما بديوانه: ١٠٥، وأحسن ما سمعت: ٩٩، وينسبان أيضًا لأبي الفتح البستي، وهما بزهر الآداب بلا عزو: ١/ ٤٥.

(٢) ابن طباطبا: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الحسني العلوي أبو الحسن، شاعر مغلق، عالم بالأدب، ولد في أصبهان، وبها أيضًا توفي عام ٣٢٢هـ، له العديد من المؤلفات منها: عيار الشعر، وتهذيب الطبع. انظر: ديوانه (بتحقيقنا)، معجم الشعراء العباسيين ٢٥١، الأعلام: ٥/ ٢٠٨، المحمدون من الشعراء: ٨٦، الوافي بالوفيات: ٢/ ٧٩.
والبيتان في ديوانه: ١١٩، وديوان المعاني: ١/ ٣٠٢، ومعجم الأدباء: ٥/ ٢٣١٥، وكنايات الأدباء: ٣٦، والوافي بالوفيات: ٢/ ٧٩، وشرح المضنون به: ٣١١، ونزهة الأبصار: ٢١٤، ومحاضرات الأدباء: ١/ ٢٩٠، وثمار القلوب: ٣.
والبيتان من بحر الكامل، وهما بديوانه: ١١٩.
وفي البيت الأول رواية: .... حسنه ونظامه.

علىٰ الماء والداخل فيه. واللصاب: الشعاب الضيقة جمع لِصب بكسر اللام. والأرمد: علىٰ لون الرماد.

والمعنىٰ: أن الشاعر جرَّد من نفسه مخاطبًا فأمره بحبس الركاب والوقوف عند هذه الجبال بين تلك الشعاب، وبين تلك الأرض الرمداء التراب؛ لأنها كانت منازل الأحباب، وهي منازل معلومة في أرضه ومنازل لقومه، وكذا ما ذكر بعد هذا البيت ووصف الجبال بالورد.

وفي البيت: براعة المطلع لاعتبار الهضاب هضاب العلم والدين الواردين من عين الحقيقة وبحر الشريعة كالشيخ الممدوح بها رضي الله تعالىٰ عنه، والتعريج حبس مطايا الأرواح والقلوب والأبدان علىٰ مخالتهم ومودتهم وخدمتهم والاستفادة منهم والاقتداء بهم وشكرهم علىٰ ذلك بالأفعال والأقوال، ومن الشكر الثناء عليهم كهذه القصيدة في هذا الشيخ، «ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1].

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا[2]

ثم قال:

وأجز من الجزعِ الذي بحضيضهِ ... أجداث أصداء العشيرِ الهمَّدِ

الإجازة والجواز بمعنىٰ تقول: جزت المكان وأجزته، وكثيرًا ما يفرِّق بينهما فيقال: جاز المكان إذا سار فيه وسلكه، وأجازه إلىٰ خلفه. والجزع بالكسر:

---

(١) حديث رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في السنن عن أبي سعيد الخدري. والجامع الصغير: ٢/ ٥٥٨ الحديث برقم ٩٠٢٨، وذكره البيهقي في سننه، والخطيب في المفترق والمتفق عن النعمان.

(٢) البيت من الطويل.
وأورده الأبشيهي في المستطرف بلا عزو. المستطرف: ٣٠٢.

منعطف الوادي ومنقطعه الذي ينجزع فيه. أي: ينقطع. والحضيض: القرار من الأرض، حيث ينقطع الجبل. والأجداث: القبور جمع جَدَث بفتحتين. والأصداء: أجساد الموتىٰ جمع صدىٰ بالقصر والفتح. والعشير: المعاشر والصديق، والقريب، والألف واللام فيه للجنس، ولذا وصف بالهُمَّد، أي الأموات. جمع هامد نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، ومن كلام العرب: أهلك الناس الدينار الصفر والدراهم البيض.

ومعنىٰ البيت: إنه أمره أيضًا أن يجيز البلد، أي يسلكه أو يقطعه من ناحية هذا الوادي الذي كانت بأسفله قبور العشائر والأحبة الهالكين، وهذا أيضًا موضع معلوم كانت فيه مقابر قومه ومنهم والده رحمة الله تعالىٰ عليه وعلىٰ جميع المؤمنين، ثم قال:

وأربع علىٰ الربعِ المحيل هنيئة إن الربوعَ ربيعُ قلب الأكمدِ

الربع: الوقوف، ومنه قول العرب: أربع علىٰ نفسك وعلىٰ ضلعك، وهو مصدر قولك: ربع يربع. والربع: المنزل. والمحيل: الذي حال عليه حول، يقال: أحال فهو محيل ومحول. وهنيئة: ساعة[2]، وهي ما تتعلل به. والربيع: المطر والزمان الذي يكون فيه النور والكمأة، وأطلق علىٰ ما ترتاح إليه النفس، كما في الحديث: «اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي»[3]، وذلك لأن النفوس ترتاح عند الربيع وتنبسط. والأكمد: المحزون حزنًا شديدًا.

---

(١) سورة النور: ٣١.

(٢) وفي (ط): تعلة.

(٣) رواه أحمد ١/ ٣٩١، ٤٥٢، والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٠٩، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٣٧٢، والطبراني في المعجم الكبير: ١٠/ ٢١٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة: ٣٣٥، والترغيب والترهيب للأصفهاني: ٢/ ٦١٦.

ومعنىٰ البيت: الأمر بالوقوف والمكث عند منازل الأحبة تعللاً بها فإنها أنس القلوب وريحان النفوس، ثم قال:

وقف المطي علىٰ ديارِ أحبةٍ كانوا الغياث من الزمانِ الأنكد

وقف المطايا: حبسها، تقول منه وقفت، والأمر منه: قف. وديار الأحبة: منازلهم[1]. والغياث: اسم بمعنىٰ الإغاثة، وهو بكسر الغين وتخفيف الياء، ويطلق علىٰ الشخص مبالغة، فيقال: فلان غياث قومه: أي هو الذي يستغيثون به فيغيثهم. والزمان الأنكد: الضيق أو العمر أو المشؤم.

ومعنىٰ البيت ظاهر، ثم قال:

وإذا مررت فحي حي إن هم أذنوا إليك أو المنازل تردد

المرور بالموضع: المجاوزة عليه. والحي: البطن من الناس. وأذِن إليه بكسر الذال، أي استمع له.

ومعنىٰ البيت: إنه يقول: إن مررت بمنازل حي فحيهم، أي: سلِّم عليهم إن وجدتهم بها فاستمعوا إليك، وإن لم تجدهم فحي المنازل، أي: سلم عليها تردد عليك السلام؛ لأنها لا تتركك من كثرة عرفانها لك، ثم قال:

قومٌ عزيزٌ جارهم لكنهم يسلو بهم عن والدين ومولدِ

السلوان: النسيان، تقول: أسلىٰ عن حبيبه وسلاه وسليه سلوا وسلوانا إذا نسيه.

معنىٰ البيت: إنه وصف القوم الذين ذكروا قبل بوصفين أحدهما: المنعة وعزة الجناب، وكنىٰ عن ذلك بعزة الجار، والثاني: الإحسان وكرم الأخلاق،

---

(١) وفي (ط): منازل جيرة، جمع جار.

وكنىٰ عن ذلك بكون الغريب يسلو بهم عن والديه ولا أحب منهما، وعن وطنه الذي هو أول أرض مس جلده ترابها، وناهيك بما ينسيه ذلك، وهذا تأكيد المدح بما يشبه الذم، ثم قال:

من كل ذي شمطٍ جذيل رائش رأيا كسهم في العويصِ مسدّدِ

الشمط: بياض في شعر الرأس يخالطه سواده، شمط الرجل بالكسر فهو أشمط. والجذيل: تصغير جِذل بكسر الجيم، وهو في نحو هذا عود يُنْصَب للإبل الجرباء تحتك به، ويقال للرجل: يرجع إليه ويستشفىٰ برأيه «جذل حكاك» و«**الجذيل المحكك**»، والتصغير للتعظيم، ومنه قول الأنصاري: أنا جذيلها المحكك[1]. وقد بسطنا الكلام عليه في زهر الأكم. وراش السهم يريشه: ألزق عليه الريش. والرأي نظير العقل. والعويص: الشديد الصعب من الأمور. والمسدد: المقوّم.

ومعنىٰ البيت: إن القوم المذكورين منهم الأشمط يستشفىٰ برأيه فكأن آراءه في كل مشكل سهام مريشة مقوّمة، ثم قال:

وأشمُّ مكتهل كعضب باتر أعددته للنائباتِ مجرّدِ

الأشم: السيد ذو الأنفة. والمكتهل: الذي صار كهلاً وهو دون الشيخ. والعضب الباتر: السيف القاطع. وإعداد الشيء: ادّخاره لوقت الحاجة إليه. والنائبات: ما ينزل بالإنسان من أمور الدهر. والمجرّد: المسلول من غمده.

ومعنىٰ البيت: أن منهم أيضًا من هو كل ذو سودد وذو نفاذ في الأمور كأنه السيف المسلول، ثم قال:

---

(١) زهر الأكم: ١/ ٨٦، والمستقصىٰ: ١/ ٣٧٧، ومجمع الأمثال: ١/ ٥٢، قيل: إنه لرجل من الأنصار، وقيل: إن القائل الحباب بن المنذر، والمثل كاملاً: «أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجّب».

جُـود لـدىٰ جـودٍ وطـود شامخ حلما وعود في الخطوب سمهَّدِ

الجَود بفتح الجيم: المطر الغزير، والجُود بضم الجيم: السخاء. والطود: الجبل. والعود: المسن من الإبل وهو أصبرها. والسمهدد: الجسيم منها.

ومعنىٰ البيت: وصف الكهل المذكور بأنه في غاية الجود، وفي غاية الحلم، وفي غاية الصبر والاحتمال عند الخطوب النازلة، وشبهه في ذلك بثلاثة أشياء: المطر الغزير، والجبل العظيم، والعود الجسيم علىٰ الترتيب، ولم نتكلم علىٰ ما في هذا وغيره من أنواع البلاغة للاختصار، ثم قال:

وفتىٰ لـه إغـنـاء كـهـلٍ مشهدا وحجا لمشيخة في حـداثةِ أمـردِ

الفتىٰ: الشاب. والحجا: العقل. والمشيخة جمع شيخ. والحداثة: الصغر في السن. والأمرد: غير الملتحي.

ومعنىٰ البيت: أن من القوم أيضًا من هو شاب ولكنه يغني في المشاهد، أي مواطن الحرب إغناء الكهول، أي يقوم مقامها، وهذا علىٰ مذهب من يرىٰ تفضيل الكهول والمشايخ في اللقاء لما لهم من التجربة والثبات، وله أيضًا عقل المشايخ مع حداثة السن، ونسب الإغناء للكهول؛ لأنها أقوىٰ، والحجا للمشايخ؛ لأنها أعقل، ثم قال:

وَقْـف عـلـيـه نـواظـر ومسـامـع لَـسِـنـا ولـيـث في الـلـقـاء مـجـرَّدِ

الوقف: الموقوف نقول: هذا وقف علىٰ هذا، أي موقوف عليه. والنواظر: نواظر العيون. واللَّسَن بفتحتين: الفصاحة، تقول: لَسِن بالكسر فهو لسن. والليث: الأسد. والمجرَّد: المغضب. تقول: جرد بالكسر: غضب.

ومعنىٰ البيت: وصف الفتىٰ بأن عيون الناظرين محبوسة عليه لصباحته، ومسامعهم مصغاة إليه لفصاحته، وهو مع ذلك في المواطن كالأسد إذا غضب

شدة بأس وكراهة ملقىٰ. وهذا آخر التقسيم الذي ذكره فإنه قسم القوم إلىٰ: شيخ، وكهل، وشاب فاستوفىٰ وأحسن الترتيب، ثم قال:

وأفض غروب الدمعِ في عرصاتِها واستنجدن غـرّ الغمائم تنجدِ

يقال: فاض الماء فيضًا إذا كثر حتىٰ سال. والغروب: جمع غرب، ويطلق علىٰ الدلو العظيمة، وعلىٰ عرق في العين، وعلىٰ الدمع وعلىٰ سيلانه وانصبابه. والعرصة: الرحبة لا بناء فيها. والاستنجاد: الاستعانة. وغُرّ: جمع غرّاء وأغرّ وهو الأبيض والأشهر من كل شيء.

ومعنىٰ البيت: الأمر بإفاضة غروب الدمع، أي دلائه علىٰ الاستعارة أو عروقه التي تسقي، أو الدموع المنهلة علىٰ إضافة الصفة للموصوف في عرصات تلك الديار، أي ديار الأحبة المذكورة أولاً، وأن يستعين بالغمائم لتعينه علىٰ البكاء، وفيه أن دموعه وقطر الغمام سواء، ثم قال:

فلعلَّ عبرةَ ساعةٍ يشفىٰ بها أربـاب وجـدٍ في الجنان مخلّدِ

العَبرة: بفتح العين الدمعة. والأرباب: الإقامة، يقال: أرب بالمكان أربابًا أقام به. والوجد بالفتح: الحزن. والجنان بالفتح: القلب. والمخلد: المدام. يقول: أكثر من البكاء لعل البكاء يشفي ما بالفؤاد من الحزن الدائم، ثم قال:

ثـم اسقـهـا فلطالما أسقيتُها بـدل الحيا بمعين عينك تثأدِ

السقي معروف. تقول: سقيت فلانًا إذا أعطيته الماء، وكذا سقيت الأرض، وتقول: أسقيته إذا دعوت له بالسقي، فقلت: سقاه الله هذا الأفصح، وربما كان بمعنىٰ الأول. والحيا: المطر. والمعين: الجاري. والثأد: الندىٰ ومكان ثئد: ناد.

ومعنىٰ البيت: أنه يقول: اسق هذه المنازل بمعين عينك، أي بالدمع بدل

المطر تثأد بذلك فلطالما كنت تدعو لها بالسقي قبل أن تقف عليها، فالمجرور أعنىٰ بمعين متعلق باسقها، ومن الفرق بين سقي واسقي قولي:

سقىٰ الله جيرانًا بأكثبة الحمىٰ   من العارض الهتان صوب عهاد
بلاد بها حلت سليمي وأهلها   فحل فؤادي عندها ووادي
وإني متىٰ أسقيتها أو بكيتها   هيامًا فما أسقيت غير فؤادي(١)

ثم قال:

وطن عهدت به الشبيبة والصبىٰ   إلفين ليس أخوهما بمنكدِ

الوطن: محل الإقامة. والشبيبة: الشباب. والصبا بالكسر والقصر: ما يكون فيه من الجهل والفتوة، والصَباء أيضًا: بالفتح والمد اللعب، ويصحان معًا هنا. والمنكد: المضيق من نكد عيشه بالكسر ضاق.

ومعنىٰ البيت: إنه يصف الوطن الذي ولد فيه وقضىٰ فيه أيام الشباب والصبا، وهما ألذ شيء إلىٰ النفس، أي تلك المواطن السابقة هي وطني، ثم قال:

ورفلت في أثوابِ عيشٍ باسقٍ   عذباته أنق المحيا أرغدِ

يقال: رفلت أرفل إذا جرّ ثوبه وتبختر. والباسق: الطويل، بسقت النخلة بسوقًا طالت. وعَذَب كل شيء بفتحتين وعذبته طرفه. والأنق: السرور والفرح ومحبة الشيء والإعجاب به، وأنِق بالكسر فهو آنق. والمحيا: الوجه كله أو جزؤه. والأرغد: الواسع.

ومعنىٰ البيت: إنه يقول في ذلك الوطن كنت أتبختر في عيش واسع، غير أنه تارة يتخيل العيش كاللباس فينسب إليه الرفلان، وتارة كالحدائق المثمرة فيجعل

---

(١) الأبيات لليوسي، وهي من بحر الطويل.

أشجاره مرتفعة طويلة الأعالي، وتارة كالشخص المأنوس فيجعل وجهه معجبًا أو فرحًا مستبشرًا، وهذا كله تلون في الاستعارة التخييلية.

واعلم إنه افتتح القصيدة أولاً عربية غير مولدة علىٰ نفس أهل البدو لبسة العباء وحراشة اليرابيع ومضغة القيصوم ورعاة اليعضيد وحلبة الشول ونفسهم والله أولىٰ بالاشتغال وأحق بالقبول والإقبال؛ لأنهم فرسان البراعة وقادة الناس في هذه الصناعة، غير أن ألفاظهم اليوم عادت مستودعة ومذاهبهم أصبحت منكرة، وذلك لغلبة العجمة علىٰ أهل الزمان فاقتصروا علىٰ ألفاظ محلولة وتراكيب مصنوعة يتداولونها بينهم ويعدون ما سواها غريبًا وحشيًا ولم يعلموا أن الغريب إنما يستعمل بعد معرفة المستعمل من لغة العرب بالتبحُّر فيها والاطلاع علىٰ معظمها وإلا فالجهول المجتري بسقط الريح جميعها عنده غريب، فلذلك أراد أن يكثر من ذلك النفس في هذه الأبيات شيئًا ما تنفيسا عن الطالبين وإحماضًا للمتعالمين، وينحو منحىٰ نفس أهل الحضر لبسة السندس وقطفة النرجس مع التزام الفصيح المستحسن والتحرز عن المستبذل المستهجن، ثم قال:

وقطفت من زهرِ السرورِ نواضرًا وهـصـرتُ منه بالغصونِ الميّدِ

قطفت النور: جنيته. والناضر: الحسن الناعم. والهصر: الكسر. والميِّدِ: جمع مائد، وهو المتمايل من النعمة والري.

ومعنىٰ البيت: إنه يصف ما نال من السرور واللذات في ذلك الوطن، وجعل لذلك أزهارًا وغصونًا علىٰ سبيل التخييل، ثم قال:

أيـام كـنـت رخـي بـال في ذرىٰ خَــدِب علـىٰ مـوسـنٍ ومـوسّـد

الرخي البال: الناعم القلب الفارغة من الهم، وأصله من الرخاء، وهو سعة العيش، يقال: رخو بالضم ورخا يرخو ورخا يرخِي ورخىٰ يرخىٰ فهو رخي.

والذرىٰ بالفتح: الساحة والحما. والحَدِب: بفتح فكسر المدافع حَدِب عنه دافع عنه حدبا. والموسن: المنوم من السِّنة، وهي أول نوم. والموسد: جاعل الوساد.

ومعنىٰ البيت: أنه يقول: إن ذلك العيش وذلك السرور كان أيام رخي البال فارغًا من الهموم والأشغال لكونه كان في كنف والد يدافع عنه كل غم، ويوسده وينوّمه، وذلك أيام الصبا أيام الصحة والفراغ والعيش الهني والقلب الخلي، ثم قال:

ألهو بأحداثِ الزمانِ مراغما   لأنوفها عبث الوليد المستدي

اللهو معروف. وأحداث الزمان: ما ينزل بالإنسان، وهي في الأصل شاملة لما ينزل من خير وشر، ولكن إذا أطلقت في هذا المعنىٰ أريد بها خصوص حوادث الشر والهم. والمراغمة: المغالبة والمقاهرة من قولك رَغِم أنفه بالكسر إذا التصق بالرغام، أي التراب واستعمل فيما إذا هان وذل، وأرغم الله أنفه فعل به ذلك، وأرغمت فلانًا كذلك، ولم ترد به المفاعلة في نحو هذا، وإن كانت أصله. والعَبَث: بفتحتين هو اللعب بلا مبالاة. والوليد: الصبي. والمستدي: اللاعب بالجوز، يقال: سدىٰ الصبي بالجوز واستدىٰ بها، وزدىٰ وازتدىٰ إذا كان بها لاعبًا.

ومعنىٰ البيت: أنه كان في أيام الصبىٰ لا يبالي بنوائب الدهر وأحداثه أقبلت أو أدبرت فهو يضحك منها ويلعب بها كما يلعب الصبي بالجوزة في ذلك رغم أنوفها حيث لم تجد سبيلاً إلىٰ التأثير لا في بدنه لرفاهيته وقيام غيره عنه بما يحتاج إليه ولا في قلبه لغرّة الصبا وجهالة الفتوة، وعدم التهمم والتفكر لا في الحال ولا في المآل، ثم قال:

مرخي العنانِ بروضِ كل لبانةٍ   مرحًا بها مرح الفلوّ المخضدِ

إرخاء العنان: كناية عن الإطلاق وعدم الوازع والزاجر والآمر، وذلك في

الصبا موجود من جهة الشرع إذ القلم مرفوع عنه[١] إذ ذاك، ومن جهة العادة إذا كان مرفّها. واللبانة: الحاجة تُقضىٰ، ولكن من غير فاقة بل بحكم الشهوة واقتراح النهمة فقط، فهي أعلىٰ من مطلق الحاجة وأخص. والمرح: بفتحتين الأشر والبطر والتبختر والاختيال. والفلوّ علىٰ مثال عدو المهر هنا. ويقال: أخضد المهر إذا جاذب المرور نشاطًا ومرحًا.

ومعنىٰ البيت: أنه وصف وصفًا آخر من الانطلاق علىٰ اللذات مع غاية السرور والمرح، ثم قال:

لا أختشي ظفرًا ولا نابًا ولا أشجىٰ لبين مغوّر أو منجدِ

أصل الظفر والناب للمفترس كالأسد، وهما آلته المخوفة منه، ثم يقال: فلان أصابه ظفر الدهر ونابه أو هو بين الظفر والناب، وذلك علىٰ الاستعارة التخييلية بأن يجعل غير الأسد أسدًا، كما يقال: أنشبت المنية أظفارها بفلان[٢]. والشجىٰ: الحزن. والمغوّر: سالك الغور، وهو ما انخفض من البلاد. والمنجد: سالك النجد، وهو ما ارتفع، وكان ذلك في بلاد العرب معلومًا ويصح أن يطلق في غيره.

ومعنىٰ البيت: أنه وصف أيضًا نفسه بوصفين أحدهما: أنه آمن فلا يخشىٰ[٣] ناب الدهر ولا ظفره، وذلك لكونه مكفيًا، والثاني: أنه خلي الفؤاد من الحزن فلا يسأل عمن طلع ولا من هبط وذلك لعدم الهوىٰ والسلامة من نار الصبابة

---

(١) في ذلك إشارة إلىٰ الحديث الشريف: «رُفِعَ القلم عن ثلاث: الصبي حتىٰ يبلغ، والنائم حتىٰ يستيقظ، وعن المجنون حتىٰ يفيق» أخرجه الإمام أحمد: ٦/ ١٠٠، والدارمي: ٢/ ١٧١ (كتاب الحدود)، وأبو داود: ٤/ ٥٥٨، والنسائي: ٦/ ١٥٦ (كتاب الطلاق).

(٢) هو شطر بيت لأبي ذؤيب الهذلي في القصيدة العينية المشهورة في رثاء أولاده.
والبيت: وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع
وهو بديوان الهذليين: ١/ ٣، والأمالي: ٢/ ٢٥٩، والفوائد المحصورة: ١٦١.

(٣) في (م): يختشىٰ.

ولاجتماع الشمل وعدم عدوان البين، ثم قال:

والدهرُ سلمٌ والخطوبُ غوافلٌ والعيشُ غضٌّ والأماني حُفّدِ

السلم: مصدر سالم. يقال: فلان سلم لك، أي مسالم وحرب، أي محارب. والخطوب: الأمور والشئون. والغض: الناعم. والأماني: جمع أمنية، وهو ما يقنىٰ ويطلب. والحُفّد: جمع حافد، أي خادم، ويقال أيضًا: حفدة.

ومعنىٰ البيت: أنه يقول: إن ما تقدم من العيش الرخي في تلك الأيام السالفة كان، والحالة أن الدهر مسالم لا يرمي بمصائبه والخطوب غافلة لا تنتهش بأنيابها والعيش ناعم طري لم يتكدر بذبول نفاد ولا قلة، والمنىٰ داعية كلما دعيت أجابت، وهذه مبالغة وهي أن تكون المنىٰ طالبة غير مطلوبة وخادمة غير مخدومة، وهذا الأمر موجود للصبي؛ لأنه مكفي ما يرغب وممنوح ما طلب، ولذا يقال: أحكم حكم الصبي علىٰ أهله؟، ثم قال:

ما دوحة فينانة أو روضة بخميلةٍ أو في يفاع أنجدِ

الدوح العظيم من الشجر. والفينانة: الكثيرة الورق الطويلة، وأصله فين الشعر. يقال: امرأة فينانة كثيرة الشعر، ورجل فينان حسن العشر طويلة. والروضة: الموضع يستنقع فيه الماء وتكون من البقل والعشب. والخميلة: المنخفض من الأرض يكون مكرمة للنبات أو الرملة تنبت الشجر. واليفاع: التل من الأرض، وهو الرابية. والأنجد: المرتفع.

ومعنىٰ البيت: أنه ذكر شيئين يستحسنان في مرأىٰ العين وهما الأشجار الناضرة المهتدلة، والروضة[1]، ثم قيد الروضة بأن تكون إما في الخمائل أو في النجود وهما أبهج زهرًا، ثم قال:

---

(١) وفي (ط): بل روضة.

سحبت عليه ذيولها مُـزْن الحيا وسخت عليه بكفٍّ واكفها الندي

السحب: الجر. والذيول: جمع ذيل. والمزن: جمع مزنة، وهي السحابة والبيضاء منها وذات الماء. وسخت: جادت. تقول: سخا عليه يسخو سخوًا، أي جاد عليه. والواكف: المنهل من المطر.

ومعنىٰ البيت: أنه يصف المكان الذي يكون روضة وينبت الأزهار المونقة والأشجار المورقة بأن السحائب قد جرّت عليه ذيولها وجادت عليه بمائها، فأثبت للسحاب الذيول تخييلاً لانبساطها علىٰ الأرض، وأثبت لها الكف الذي يكون به الجود، وفي الندي تورية، ثم قال:

يُسقىٰ من الوسمي مترع كاسه ويُصان من نسجِ الولي ببرجدِ

الوسمي: مطر الربيع الأول. والمترع: المملوء. والصون: الستر. والولي: المطر بعد المطر. والبرجد: ثوب غليظ مخطط.

ومعنىٰ البيت: أنه يصف المكان أيضًا بأنه يسقي كئوس المطر الأول مترعة، وفي ذلك نهاية الري ويلبس من وشي الكلا والزهر بعد الثياب التي تعفيه وتستره، وفي ذلك نهاية الحسن، وهذا كله استعارات، ثم قال:

من كـلِّ سابغةِ الـذيـولِ كأنها عكر تسام علىٰ الربىٰ بالمرعدِ

سابغة الذيول: كاملتها، وهو وصف للغمامة. والعَكَر: بفتحتين، وقد تسكن الكاف: الكثير من الإبل فوق الخمسمائة. وسومها وإسامتها: رعايتها. والربىٰ: جمع ربوة وهو ما ارتفع من الأرض.

ومعنىٰ البيت: أنه يبين ما مرّ من مزن الحيا أو الوسمي أو الولي، وأنه كل سحابة سابغة الذيول، أي منتشرة علىٰ الأرض كأنها الإبل الكثيرة التي تجتمع

وترعىٰ فوق الربىٰ، وشبه صوت الرعد بصوت الراعي؛ لأنه يحثها ويحركها وجعله مرعدًا باعتبار أنه ملك يرعد، ثم قال:

نَشَر الجنوبُ جُمانَها فتقلدتْ   لَبَب الرياض بحلِّيها المتبدّدِ

النثر: التفريق. والجنوب: الريح التي تقابل الشمال قالوا ومهبها من مطلع الشمس إلىٰ مطلع الثريا[1]. والجمان: اللؤلؤ. والتقلد: التحلي بالقلادة. واللبب: بفتحتين اللبة وهي المنحر وموضع لقلادة من الصدر، وأنث فعله لاعتباره لبة أو لاكتساب التأنيث من المضاف إليه. والحلي: ما يتحلىٰ به من جواهر وعين مثلاً. والمتبدِّد: المتفرّق.

ومعنىٰ البيت: أنه يصف تلك السحاب بأن الرياح نثرت ماءها علىٰ الأرض فوقعت القطرات علىٰ الأرض كأنها اللؤلؤ في الأجياد، وهذا كله استعارة، ثم قال:

فتدفقتْ أنهارُها وتفتقتْ   أزهارُها في روضها المستأسدِ

استأسد الروض: إذا التف نباته وكثر.

ومعنىٰ البيت: أنه يصف البقعة بعد وقوع الغيث عليها بأنها تدفقت، أي تفجرت أنهارها وتفتقت أي: تفتحت أزهارها في روض كثير النبات أثيل[2] العشب، فناهيك بها مرتعًا ومنهلاً، ثم قال:

وتساجلت أطيارُها وتمايلت   أشجارُها كالمثمل المتميّدِ

---

(١) الثريا: هو النجم، وصورته ستة كواكب متقاربة حتىٰ كادت تتلاصق، وأكثر الناس يجعلها سبعة، وقد جاء الشعر بالقولين معًا، سميت بهذا لأن مطرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنىٰ، وهي تصغير «ثَروي» ولم ينطق بها إلا مصغرة. العمدة: ٢/ ٢٢٢، والأزمنة والأنواء: ١٢٤.

(٢) في (م): أثيث.

التساجل: التباهي في السقي بالسجال وهي الدلاء، ثم استعمل في المباراة في الغناء والشعر ونحو ذلك. والمثمل: الذي أثمله الشراب، أي أصاب عقله. والمتميد: المتميل سكرًا.

ومعنىٰ البيت: أنه يصف الروضة أيضًا بغناء الأطيار، وذلك دليل لأغصانها[1] إذ لا تنزل الأطيار إلا علىٰ ذلك، ولا تغني إلا معه وبتمايل الأشجار لريها ونضارتها، ثم قال:

وجرىٰ لطيفُ نسيمها برياضِها جري الزلالُ بغصنِها المتأيدِّ

النسيم: الريح إذا كان ضعيفًا فوصفه باللطيف كالكشف له. والزلال: الماء الصافي. والغصن المتأيد: المتمايل.

ومعنىٰ البيت: أنه يصفها أيضًا بأن النسيم يجري فيها وهواءها ترتاح إليه النفوس وهو في لطافته كالماء الجاري في الغصون، وهذا وصف آخر استتبعه وبالاستتباع يسمىٰ في البديع، ثم قال:

ما شئتَ من ثمرٍ يلذّ ومنظر أنق وصوت في الغصونِ مجسّدِ

الثمر: بفتحتين والثاء مثلثة حمل الشجر كائنًا ما كان. واللذة: ضد الألم تقول: لذذت الشيء ألذه إذا وجدته لذيذًا. والصوت المجسد: المحسن علىٰ ألوان.

ومعنىٰ البيت: أنه يقول في الروضة ما شئت من الثمار، وما شئت من منظر معجب، وما شئت من صوت حسن للأطيار ففيها متعة الأذواق والأبصار والأسماع، ثم قال:

وحباب جريال يخلخلُ ساقَ (م) أملود بها فحم الذوائب مائدِ

---

(١) في (م): لغصنها.

حَباب الماء بفتح الحاء: معظمه أو نفخاته التي تعلوه. والجِريال: بكسر الجيم الخمر. والخلخلة أريد بها التخلخل، أي تخلخل الماء لأصول الشجر، وهذه اللفظة تقع في كلام الأدباء المتأخرين يقصدون بها التورية بلبس الخلخال بقرينة الساق معه فوقعت في البيت علىٰ حسب ذلك، ولم يوجد فيما وقع إلينا من كتب اللغة خلخل بمعنىٰ تخلخل، نعم يقال: تخلخل الأمر والجيش إذا تفرَّق، وهو كالمطاوع له ولم يوجد أيضًا في لبس الخلخال، وإنما يقال تخلخلت المرأة إذا لبسته، ولكن إطلاق المخلخل علىٰ موضع الساق يؤذن بجواز أن يقال خلخله وخلخلها؛ فإن لم يجز الأول وجاز هذا كان استعارة لاتورية بأن شبه الماء في إحاطته بساق الشجرة بالخلخال المحيط بساق الجارية، وإن جازا معًا فهو تورية أو توجيه، وقد وجدت اللفظة في خلخلت العظم أخذت ما عليه من اللحم، وتصح الاستعارة منه أيضًا؛ لأنه في معنىٰ البحث والتفتيش والماء يفعل ذلك في الأرض، وتمام البيت جار علىٰ الأمرين معًا؛ فإن الأملود هو الناعم؛ إما من الشجرة أو من أشخاص الناس. والفحم: الشديد السواد. والذوائب: إما ذوائب الشعر وهو أصله، وإما الورق مجازًا. والمائد: الناعم الذي يميده الري، أي يميله ويعطفه لنعمته ونضارته، وإن أريد به الشخص فهو يتمايل شبابًا واختيالاً أو تميله اليد الجاذبة، وأطلق الجريال علىٰ الماء علىٰ التشبيه في الحلاوة والصفا.

ومعنىٰ البيت: ظاهر مما ذكر، والمراد حسن ذلك المنظر، ثم قال:

أو أمــن ذي فــرق خـلـيـع لـبّه   أو غـفـوة الإصبـاحِ بعد تهجّدِ

الأمن: ضد الخوف. والفرق بفتحتين: الفزع. يقال: فرق بالكسر فرقًا. والخليع: اللُّب هو المخلوع القلب. أي المنزوعة من الخوف. والغفوة: النعسة، يقال: غفا غفوة وغفوًا وإغفاء إذا نام. والتهجّد: السهر، وهو ترك الهجود، أي النوم.

ومعنىٰ البيت: أنه ذكر أمرين يُستَلذان أحدهما الأمن عقب الخوف والفزع، والآخر النوم في الصبح عقب السهر وهما أحلىٰ شيء، ثم قال:

أو عذب شارعة الفراتِ علىٰ ظما   أو وصل حبٍ بعد هجرٍ مبعدِ

العذب: من الماء الحلو. والمشرعة[1]: موضع الورود. أطلق علىٰ المكان أو علىٰ المصدر وهو الشروع مجازًا. والفرات: بالضم نهر معروف بالكوفة[2]. ويطلق الفرات علىٰ كل عذب من الماء جدًا. والظمأ: العطش الشديد. والوصل: ضد الهجر. والحب: بالكسر المحب. والمبعد: الذي طال زمانه، وهو أما اسم فاعل كما تقول أبعد فلان من سيره، وأما اسم مفعول كما تقول أبعدته فهو مبعد.

ومعنىٰ البيت: أنه ذكر أيضًا هنا أمرين آخرين يُستلذان أحدهما: الماء العذب بعد العطش، الثاني: وصل الحبيب لك بعد هجرانه الطويل، ثم قال:

بألذِّ من تلك الليالي لو محا   ما خطّه الدبرانُ سعد الأسعدِ

اللذة: نقيض الألم والألذ أقوىٰ لذة. والمحو: محو الكتاب. والخط: الكتب. والدبران[3]: بالتحريك من منازل القمر. وسعد الأسعد منزل آخر. ويقال له سعد السعود، والمجرور أوّل البيت خبر ما النافية في قوله ما دوحة فينانة أو روضة.

ومعنىٰ البيت: أنه يقول ما الدوحة والرياض الموصوفة بما مرّ وما عطف عليها من الأشياء المستحسنة بألذ من تلك الليالي، أي ليالي الصبا ألذ من ذلك كله لو كانت ترجع، وذلك بأن يبطل نحس الدبران الذي ذهب بها سعد السعود فتأتي، وهذا علىٰ ما اشتهر توهمه من كون الدبران نحيسا وكون سعد السعود سعيدًا، كما قال الشاعر:

---

(١) في (ط): الشارعة، وهو وصف الوارد.

(٢) الكوفة: من بلاد بابل بالعراق. يطلق عليها خد الغدراء. سميت بالكوفة لاستدارتها، وقيل: لاجتماع الناس بها، وقيل: غير ذلك. معجم البلدان: ٤/ ٤٩٠.

(٣) الدبران: كوكب وقّاد علىٰ أثر نجوم تسمىٰ القلاص، وقيل له: «دبران»؛ لأنه دبر الثريا، أي جاء خلفها، ويقال له أيضًا: «الراعي»، و«التالي» و«الحادي» العمدة: ٢/ ٢٢٢.

* سعد السعود: هما كوكبان أحدهما أنور من الآخر، ويسمىٰ بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كما الزرع. العمدة: ٢/ ٢٢١.

إذا دبــران منــك يــومًــا لقيته   أؤمــل أن ألــقــاكَ غــدوا بأسعدِ

فتوهم هنا أن الدبران أتىٰ علىٰ ليالي الصبا وأيام الشباب بالذهاب والإدبار فلو قام سعد السعود، فمحا ذلك المكتوب لرجعت، وكون ليالي الصبا وريعان الشباب ألذ شيء إلىٰ النفوس أمر لا يجهل، وناهيك بزمان العيش فيه هنيء، والقلب خلي، والقوىٰ في ازدياد، والمنىٰ طوع المراد، وما أحسن قول ابن حمديس[1] في هذا:

وإذا فــارقــت أيــام الـصـبـا   فـالـلـيـالـي بـأمـانـيـك شـحـاح

ومن استلذاذ أيام الصبا كان حب النفوس للوطن وحنينها للمولد، كما قال ابن الرومي:

وحـبـب أوطــان الـرجـال إليهمُ   مـآرب قـضَّـاهـا الـشـبـاب هنالكا

إذا ذكــروا أوطـانـهـم ذكَّـرتـهـمُ   عهود الصبا فيها فحنُّوا لذلكا[2]

---

(١) البيت من بحر الرمل، ابن حمديس: أبو محمد، عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي. شاعر. ولد في صقلية. وشارك في معارك المسلمين في إيطاليا في شبابه، وبعد سقوط صقلية عام ٤٦٤هـ تركها ورحل إلىٰ الأندلس عام ٤٧١هـ وأقام بها، ومدح المعتمد بن عباد وكان من شعراء بلاطه، وانتقل إلىٰ المغرب الأوسط وإفريقية حتىٰ توفي بجزيرة ميورقة عام ٥٢٧هـ. انظر: الأعلام: ٣/ ٢٧٤، و**معجم الأعلام**: ٣٨٦، والبيت بديوانه المطبوع: ٨٥ برواية: «فارقت ريعان الصبا».

(٢) البيتان من بحر الطويل، وهما بديوانه: ٥/ ١٨٢٦، وكذلك بزهر **الآداب**: ٢/ ٦٨٢، وغرر الخصائص: ٣٣.

* ابن الرومي: علي بن العباس بن جريج، كنيته أبو الحسن، أبوه من أصل رومي، وآل أمه من الفرس، ولد عام ٢٢١هـ في بغداد، ودرس علىٰ يد محمد بن حبيب، وكان شيعيًا، وهاجم العباسيين، وكان متطيرًا، وزاد في ذلك نكباته بأسرته من فقد أولاده وزوجته، توفي ببغداد عام ٢٨٣هـ، وقيل ٢٧٦هـ. انظر: ديوانه بتحقيق د. حسين نصار (القاهرة). معجم الشعراء العباسيين: ١٨٩، ومعجم الأدباء: ١/ ٢٢٤-٢٢٧، والأغاني: ١٠/ ٥٩، ٢٠/ ٧٢، وزهر الآداب (الفهارس).

وإن أردت الشفاء فيما ورد في هذا المعنىٰ من كلام الشعراء فعليك بكتابنا زهر الأكم، ثم قال:

فثنىٰ أعنتها الزمانُ وأسفرت طلعاتُها من بعد وجهٍ أربدِ

ثنيت العنان ونحوه: رددته، والعنان: عنان اللجام. والأسفار: الإضاءة والإطلاق. يقال: أسفر الصبح. والطلعة: الوجه. والأربد من الربدة وهو لون مائل إلىٰ الغبرة، والعرب تقول ظليم أربد، ونعامة ربداء والجمع رُبُد.

ومعنىٰ البيت: أن سعد السعود لو محا النحس عنا لرجعت إلينا ليالي الشباب فثنىٰ الزمان إلينا أعنتها، أي أعنة الليالي واستبشرت وجوهها مقبلة إلينا بعدما كانت عابسة معرضة، ثم قال:

واستبدلَ الأيام ذابل عيشها غضا وبالي وصلها بمجدّدِ

الذابل: ضد الغض.

ومعنىٰ البيت: أنه لو كان ذلك لاستبدلت الأيام عيشها الذابل بالعيش الغض الطري الناعم، واستبدلت وصلها البالي بوصل جديد، وهذا كله مجاز علىٰ طريق الاستعارة، ولما استعار لها نحو العنان والوجه صح للزمان التصرف فيها، ثم قال:

سقيا لأيامٍ وإخوان حدا حدث الزمان بهم لأنحىٰ ملحدِ

تقول: سقيا لزيد إذا دعوت له بالسقيا. وحدا الرجل بالإبل: إذا غنىٰ لها لتسير عند سوقها. وحدث الزمان ما يحدث فيه كالموت. وأنحىٰ الرجل علىٰ آخر ضربًا أقبل عليه بذلك. واللحد: الشق في القبر، وألحده جعل له لحدًا ودفنه.

ومعنىٰ البيت: أنه يقول سقىٰ الله أيامًا مضت، وهي أيام الشباب وإخوانًا ساقهم القضا إلىٰ تأثير المنايا فأنشب فيهم الظفر والناب ودفنهم تحت أطباق

التراب. وتنكير الحدث فيها لتعظيمه كما يقال شر أهرّ ذا ناب، ثم قال:

ومنازلٍ وظلال عيشٍ مورق (م) الأغصان ليس غرابه بمطرّدِ

يقال: أورق الشجر إذا كان له ورق. والمطرّد والمطرود بمعنىٰ، وهذا مثل يقال إذا كان في الخصب والخير الواسع «**هم في عيش لا يطار غرابه**»[1]، أو لا يطير غرابه. قال النابغة:

ولرهط حراب وقدٍ سورة والمجد ليس غرابه بمطار[2]

واستعمل في البيت مطرد في مكان مطار؛ لأنه في معناه، ووصف العيش بكونه مورق الأغصان مجاز، وذلك ظاهر، ثم قال:

ومعاهد ومحاضر طارت بها عنقاءُ مغربةٍ إلىٰ متصعّدِ

المعاهد: المواضع التي عهدت فيها الأحبة، والمحاضر: موضع حضورهم. وعنقاء مغربة، ويقال لها: عنقاء مغرب. قيل: اسم لا يعرف له مسمىٰ، وقيل: طائر عظيم كان يبعد في طيرانه، وكان في زمن بعض الأنبياء يختطف الصبيان فشكاه أهل البلد إلىٰ ذلك النبي فدعا عليه فقطع الله تعالىٰ نسله، يقول: وطارت العنقاء بتلك المعاهد والمحاضر إلىٰ مكان لا مطمع في بلوغه كما قيل: وطارت

---

(١) مجمع الأمثال: ٣/ ٤٨٠، وزهر الأكم: ١/ ٨١.

(٢) البيت من بحر الكامل، وهو بديوانه: ١٠٣.

النابغة: زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف، أحد شعراء السياسة القبلية في العصر الجاهلي لقب بالنابغة؛ لأنه قال الشعر بعد أن أربىٰ علىٰ الأربعين. وقيل: لأنه لم ينشأ في أسرة من الشعراء. أحد أصحاب المعلقات وقد عدّه ابن سلام من شعراء الطبقة الأولىٰ من الجاهليين. انظر: معجم الشعراء (عفيف): ٢٢٦. ديوانه بشرح ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل (بيروت)، ومعجم شعراء اللسان: ٤١٩، والأغاني: ١١/ ٣-٤١، و(الفهارس). والأمالي (الفهارس)، وسمط اللآلئ: ١/ ٧٩.

والبيت بديوانه: برواية .... في المجد ليس غرابهم بمطار

بذاك العيش «عنقاء مغرب»[١]، ثم قال:

هل من عشايا في غدايا مشر   مولية موشية من عوّدِ

العشايا: جمع عشية، والغدايا: جمع غدية، يقال: غدا البلد يغدو إذا طاب هواؤه، وأرض غداة وغدية طيبة بعيدة عن الماء. والمشر: جمع ماشرة وهي الأرض التي اهتز نباتها، وقد يقال: أرض ناشرة بمعناها، ويقال: مشرتُ الشيء مشرًا أظهرته. والمولية الأرض سقيت بالولي، وقد مرَّ. والموشية: التي وشيت بأنواع النبات وأصناف الأزهار. والعوّد: جمع عائدة، أي راجعة.

ومعنىٰ البيت: أنه يتمنىٰ ويقول: هل تلك العشيات التي كنا نتقاضىٰ فيها طرائف اللذات في الأرضين الطيبات المهتزة بأنواع النبات تعود إلينا، وأدخل من علىٰ الخبر كما دخلت علىٰ المبتدا توكيدًا للكلام، ويجوز أن يكون الثاني مبتدأ أيضًا علىٰ نية استفهام آخر، كما لو أردت أن تقول: هل من رجل قائم فقلت: هل من رجل؟ هل قائم؟ وتحذف الخبر فيهما، وفي ذلك من المبالغة والدلالة علىٰ قوة التلهف ما لا يخفىٰ علىٰ كل من رزق حظًا من الذوق في أساليب الكلام العربي، ثم قال:

وتجاذب الخلصاءُ كاسات بها   ملأنس أعذب من سلافةِ صرخدِ

التجاذب: التفاعل من الجذب، يقال: تجاذبنا الكلام والحديث ونحو ذلك. والخلصاء: جمع الخِلص بالكسر وهو الخِدن، وجمع الخالص أيضًا، أي الصافي المحبة وهو القياس. الكاسات جمع الكأس. والأنس: ضد الوحشة وحذف نون من وهو جائز كثير. والسلافة: الخمر. وصرخد: بلد بالشام[٢]

---

(١) انظر: ثمار القلوب: ٤٥٠، ومجمع الأمثال: ١/ ٣٥٧، ٢/ ٢٨٠.

(٢) صَرْخد: بالفتح ثم سكون، بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة، وولاية واسعة حسنة. معجم البلدان: ٣/ ٤٠١.

تنسب إليها الخمر. وتجاذب بالجرِّ عطفًا علىٰ العشايا.

ومعنىٰ البيت: أنه يقول: هل تعود تلك العشيات واجتذاب الأنس فيها بين الأحباب أحسن لذة وأطيب نشوة من تعاطي كئوس الخمر الصرخدية، واستملاح العشية مشهور كما قيل:

وعشيةٍ كم كنت أرقبُ وقتها   سمحتْ بها الأيامُ بعد تعذُّرِ[1]

وقال الحماسي:

فليست عشيات الحمىٰ برواجع   إليك ولكن خل عينيك تدمعا[2]

ثم قال:

ومطارفا ملودّ يلتحفونها   يرخي الحفي علىٰ الحفي بمحفد

ويشونها جرّا ببذلٍ فائضٍ   متكايلين ندىٰ بأوفىٰ محفدِ

وفرين فروتها بعزٍ تالدٍ   سمق أعاليه عريق المحفدِ

المطارف: جمع مطرف علىٰ مثال مكرم، وهو ثوب من خز مربع ذو أعلام. والود: الحب. والالتحاف: الاشتمال. والأرخاء: الإرسال. والحفي: الصديق النصوح. والمحفد: علىٰ مثال منفر طرف الثوب. والوشي: نقش الثوب من أي

---

(١) البيت من بحر الكامل:
وهو لابن مرج الكحل، بديوانه: ٢٦٥، وهو بالإحاطة: ٢/ ٣٤٣، ونفح الطيب: ٥/ ٥٠، والمغرب: ٢/ ٣٧٣، ومختارات ابن عزيم: ٦٨، رفع الحجب: ٢/ ٦٢٥.
وهو بالديوان: قد كنت أرقب   ....

(٢) البيت من بحر الطويل:
وهو للصمة بن عبد الله القشيري: انظر حماسة أبي تمام: ٢/ ٣٦٦.
وبرواية: ....   عليك ولكن خل عينيك تدمعا

لون. والجرّ: ثياب موشية عندهم. والبذل: العطاء جودًا. والتكايل: من الكيل تقول: كلت له وكال لي وتكايلنا. والندىٰ: السخاء. والمحفد: علىٰ وزن الأول: قدح يكال به. والوفر: التحصين والحفظ. والفروة: ثوب معروف، والفروة أيضًا الغنىٰ والثروة. والعز: التالد القديم الأصيل. والسمق: العالي يقال: سمق الشيء سموقًا إذا علا وطال. والعريق: المتمكن، يقال: أعرق الشجر إذا اشتدت عروقه في الأرض. والمحفد علىٰ مثال مجلس: الأصل.

ومعنىٰ **الأبيات الثلاثة** أنه يقول: إن هؤلاء الخلصاء كانوا يتجاذبون ملابس من المودّة يرخي الصديق علىٰ صديقه منها بطرف ثوبه حنانًا وشفقة وإحسانًا وفتوّة، وذكر الثوب والالتحاف والإرخاء مجازًا عن إهداء الخير والتعميم بالبر والتعامل بالصفح والستر والتعاون في القل والكثر، وذلك ثمرة الودّ كما ذكره بعده، وكانوا يشون هذه الثياب، أي يزينونها بالبذل الفائض الكثير، يكيل كل واحد لصديقه منه بأوفىٰ مكيال، فإن الندىٰ والإحسان هو زينة المحبة وآية المودة، وكانوا محصنين فروتها، أي حوزتها تعبيرًا بالثوب عن ذلك مجازًا وثروتها بعز تالد مرتفعة مبانيه، ثابتة قواعده؛ فإن العز هو حافظ النعمة، وكفيل العصمة، وهذه أيضًا مجازات، ثم قال:

هيهات يرتئب الزجاج إذا انفأىٰ ... ويعود شيخٌ في شبابِ الفوهَدِ

درجوا كما درجَ القرون وغالهم ... ما غالهم والمرء غير مخلّدِ

هيهات: اسم فعل بمعنىٰ بَعُد تقول: هيهات زيد وهيهات السفر وهيهات يخرج عمر، وأي هيهات أن يخرج. والارتآب: الانجبار، تقول: رأبت الشيء إذا أصلحته[1]، والانفئاء: الانقطاع تقول: فأيت الشيء فانفأىٰ. والفوهد: الغلام السمين التام الخلق المراهق. والدروج: المشي والانقراض تقول درج القوم إذا

(١) وفي (ط): ينجبر، وهي بمعناه.

انقرضوا. والقرون جمع قرن، وهو من الزمان مائة عام ونحوه، ومن الناس: كل أمة انقرضت فهي قرن، والغول: الإهلاك، غالة الشيء: أهلكه.

ومعنىٰ البيتين: أنه يقول: هيهات أن تعود ليالي الصبا، ويرجع عنفوان الشباب بعد ذهابه، وكذا كل ما ذكر معه، كما أن الزجاج إذا انكسر لا ينجبر، والشيخ لا يعود غلامًا، فالأحبة الذين مضوا لا يرجعون إلىٰ يوم الحشر فإنهم درجوا، أي انقرضوا كما انقرضت القرون قبلهم، وغالهم من المنون ما غال غيرهم، والمرء لا مطمع له في الخلود في الدنيا، فإن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[١]، وهذا الكلام تخلص إلىٰ فن آخر وهو الوعظ والتذكير وخروج عن النسيب والتشبيب. واعلم أن التشبيب عندهم في الأصل هو ذكر أيام الشباب واللهو والغزل، ويكون ذلك في ابتداء قصائد الشعر، ثم سمىٰ ابتداء الأمر تشبيبًا، وإن لم يكن في ذكر الشباب. وقال في لسان العرب: تشبيب الشعر: ترقيق أوّله بذكر النساء، وهو من تشبيب النار وتأثيرها، وشبب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب والتشبيب: النسيب[٢].اهـ.

وقال أبو الطيب: إذا كان مدح، فالنسيب المقدم[٣]، ثم قال:

فسقىٰ مرابعَهم شآبيبُ الرضا   دِيمًا من الملكِ الكريمِ الأجودِ

وسرىٰ المخاء الجرم عن سرواتِهم   عفو العفوّ المفضل المتغمّدِ

المرابع: جمع مربع وهو المنزل في الربيع أطلق هنا علىٰ القبر تفاؤلاً؛ لأن

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) لسان العرب: ٨/ ١٠، وللتفريق بين الغزل والنسيب والتشبيب. انظر العمدة: ٢/ ١٠٠.

(٣) هذا صدر بيت للمتنبي وتمامه:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم   أكل فصيح قال شعرًا متيم؟!

البيت بديوانه: ٣/ ٣٥٠، والعمدة: ١/ ١٩٢.

يكون محل تنعم. والشآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر. والديم: جمع ديمة وهي المطرة الدائمة. وسرىٰ الشيء عن الشيء ألقاه عنه. والمخا: الغيم. والجرم: الذنب. والسروات: الظهور جمع سراة.

ومعنىٰ البيتين: أنه يدعو للأحبة الذين درجوا أن يسقي الله تعالىٰ مرابعهم شآبيب الرضوان، وهو علىٰ أسلوب العرب في ذكر القبر يقولون: سقىٰ الله قبره، وسقىٰ الله ثراه. والمراد: الميت، وأن يزيل الله الخطايا عن ظهورهم، وعلق الأول باسمه تعالىٰ الكريم إذ المراد فيه الإحسان والإنعام، وهو متعلق الكرم والفضل والجود، وعلَّق الثاني باسمه تعالىٰ العفو؛ لأن القصد فيه الغفران وهو متعلق العفو والتغمد، ثم قال:

إن المنونَ هو السبيلُ فمن يكنْ ... لم ينتهجه برحله فكأن قدِ
والدهرُ مضمارُ الفتىٰ فإذا ردىٰ ... منه إلىٰ أمدٍ يعمره ردي
بينا جواد المرءِ يحضر نحوه ... ليحوزه إذ حلَّ هوّة ملحدِ

المنون: الموت. والسبيل: الطريق. والمضمار: المجرىٰ للخيل. وردَىٰ الأول بفتح الدال، أي جرىٰ. والرديان: جري الخيل معروف. وردِي الثاني: بكسر الدال بمعنىٰ هلك. الأمد: القدر من الزمان. وعمر الله فلانًا كذا تعميرًا، أي أبقاه الله تلك المدة من العمر. والجواد: الفرس السابق كأنه يجود بكل قوته. والإحضار: العدو. والهوّة: الحفرة. والملحد: القبر.

ومعنىٰ **الأبيات الثلاثة** أنه يقول: الموت هو طريق كل الناس فمن لم يسلكه فكأنه قد سلكه، والزمان لأعمار الناس كالمضمار للخيل، فإذا جرىٰ الإنسان المقدار الذي يعيشه في سابق علم الله تعالىٰ هلك ومات، والإنسان يؤمل أجلاً بعيدًا ثم تعتريه المنايا دونه كالفرس يجري للغاية، ثم يسقط في هوّة قبل أن يصل إلىٰ ما يريد، ثم قال:

سهمٌ لأغراضِ النفوس مسددٌ ... من يرم مِن مهج البرايا يقصدِ
أو رمحُ خطٍ سمهري مشرّع ... في كفِ أبصر بالمطاعن أيدِ
من تعتلقه شباته لا يجده ... قيل الخلائل خلفه لا تبعدِ
أو حوضُ إبْلٍ ما يشذ بظمِها ... منها أفيل عن عصا المستوردِ
أو سدة يدعىٰ إليها الأجفلي ... كل الورىٰ من مذعنين ومُرّدِ
وحبالة كل الأنامِ رهينها ... من عائلٍ متكفِّفٍ أو قشردِ
وممجَّد حشد الموالي واعتلىٰ ... في ملكهِ ومعبَّد لم يحشدِ

السهم: معروف. والغرض: ما ينصب ليرمىٰ. وأقصد السهم أصاب الشيء فقتله مكانه وأقصد زيد عمرًا طعنه فلم يخطه. والخط: موضع بالبحرين تنسب إليه الرماح[1]؛ لأنها تباع فيه فيقال: رمح خطي. والسمهري: الرمح الصلب، والسمهري أيضًا المنسوب إلىٰ سمهر وهو زوج ردينة، وكانا معًا يثقفان الرماح، ولذلك تنسب إليهما فيقال: سمهرية ردينية. واشرعت الرمح إلىٰ الرجل: سددته إليه. فالرمح شارع والرماح شوارع وشُرُع. والمطاعن: موضع الطعن. والأيد: بالياء المكسورة المشددة القوي من الأيد وهو القوة. والاعتلاق: التعلق شباة الرمح طرفه. والأجداء: النفع. ولا يجديك هذا: لا يفيدك ولا ينفعك. والخلائل: جمع خليلة وهي الصاحبة زوجة أو غيرها لا يبعد دعاء يدعىٰ به، يقال: لا تبعُد يا فلان ولا أبعدك الله تعالىٰ، فمن جعله من بَعُد بضم العين يبعد فهو خلاف القرب، ومن جعله من بَعِد بكسر العين فمعناه: الهلاك، وكلاهما يدعىٰ به. والحوض: مجتمع الماء. والإبل: يقال بكسرتين وبكسرة فسكون كما هنا، وكلاهما فصيح. شذ الرجل علىٰ الناس ذهب عنهم. والظمأ بكسر الظاء ما

---

(١) الخَطّ: بفتح الأول وتشديد الطاء، وتنسب إليها الرماح الخطية، ومن قرىٰ الخط: القطيف، والعقير، وقطر، وجميع هذا في سيف البحرين وعُمان. معجم البلدان: ٢/ ٣٧٨.

بين الشربتين وما بين الوردين وأطلق هنا علىٰ آخره وهو أوان الورود. والأفيل: ابن المخاض ونحوه. والمتورد المورد يقال: أورد الإبل الماء واستوردها. والسُّدة بضم السين: باب الدار. دعوة الجفلا والأجفلىٰ: الدعوة العامة، وضدها النقرىٰ، وهي التي يخص فيها فلان وفلان وقال طرفة:

نحن في المشتاةِ ندعو الجفلا لا ترىٰ الآدب منا ينتقر(١)

الآدب: صانع المأدبة فهو عندهم لا ينتقر، بل يعم الناس كرمًا وسعة والمذعن: المستسلم. والمارد ضده جمعه مرد. والحبالة بكسر الحاء والأحبولة التي يصطاد بها. ورهينها: المحبوس فيها. العائل: المفتقر عال يعيل عيلة فهو عائل وهم عالة. والمتكفف: السائل يمد كفه للناس. والقثرد بالمثلثة وقيل بالمثناة: الكثير الغنم والسخال. والممجد: المعظم. والحشد: الجمع. والموالي: العبيد، والأنصار، والمعبد: المذلل.

ومعنىٰ **الأبيات السبعة**: أنه لما ذكر المنون وأنها سبيل الناس أجمعين لا ينجو منها والد ولا ولد شبهها بأشياء فضرب لها خمسة أمثال:

فكأنها سهم مسدد إلىٰ نفوس الأحياء، وهي له كالأغراض فأي مهجة رماها أقصدها، أي أصابها فقتلها مكانها.

أو كأنها رمح من الرماح السمهرية الخطية في كف رجل قوي معتاد للطعان بصير بالمقاتل إذا طعن أصاب المقتل، فإذا تعلق رأس رمحه بأحد مات وذهب

---

(١) البيت من بحر الرمل، وهو بديوانه: ١٦٩.

طرفة: عمرو بن عبد سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس. وقيل: عبيد، كان مولده بالبحرين، نشأ يتيمًا وكفله أعمامه. وقيل: إنهم اضطهدوه. تقرب من بلاط المناذرة حتىٰ قتل علىٰ يد عاملهم. انظر: المؤتلف: ٢١٦، طبقات ابن سلام (الفهارس) معجم الشعراء (عفيف) ١٣٤. ديوانه بتحقيق د. علي إبراهيم أبو زيد.

البيت بديوانه: برواية: لا ترىٰ الآدب فينا ينتقر

ولم ينجه قول الناس لا تبعد وقد بعد.

أو كأنها حوض مورود والناس كالإبل، فإذا حان ورودها حشرها راعيها إليه بعصاه فلا يشرد منها صغير، فضلاً عن كبير بل ترد كلها.

أو كأنها سدة، أي باب يدعىٰ الناس كلهم للدخول منه دعوة الجفلا فلا يبقىٰ شريف ولا مشروف ولا نبيه ولا خامل ولا منقاد ولا متمرد.

أو كأنها حبالة كل الناس مقنوص فيها لا ينجو منها فقير ولا ذو مال ولا ملك ذو أعوان وجنود ولا ذليل مقهور، ثم قال:

عرضتْ بني ساسانِ في غُلوائِها   قدما علىٰ غربِ الحسام المجددِ

تقول: عرضت فلانًا علىٰ السيف إذا قتلته. وبنو ساسان: الفرس المتأخرون ينسبون إلىٰ ساسان الأصغر ابن بابك بن ساسان بن بابك بن ساسان الأكبر، وكانوا نحو ثلاثين ملكًا منهم امرأتان وباقيهم رجال، أولهم أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر[1]، وهو الذي قام بجمع ملك فارس بعد تفرقه أيام ملوك الطوائف، وآخرهم يزدجرد بن شهريار بن كسرىٰ[2] المقتول في خلافة سيدنا عثمان رضي الله تعالىٰ عنه، ولولا خوف الطول لذكرناهم ملكًا ملكًا. وأما الفرس الأولون

---

(١) هو أرد شير الجامع بن بابك بن شاه ساسان بنُ بها فريد بن زراره بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار لُقِّب بالجامع؛ لأنه جمع كل علماء فارس وأمرهم أن يجمعوا كتب المغان التي فقدت، وقد بنىٰ مدينة الري وغيرها من المدن. وله مصنف في السياسة.
انظر: زين الأخبار: ٣٣، وسرح العيون: ٣٧.

(٢) يزدجرد بن شهريار كان آخر الملوك. تسلم العرش وهو ابن الخامسة عشرة. اقتعد علىٰ سرير الملك ولم تمض علىٰ خلافة أبي بكر الصديق سوىٰ اثنين وعشرين يومًا.. وهُزمت جيوشه في موقعة القادسية في عهد عمر بن الخطاب.. قُتل وألقي جسده في الماء. وبه اختتم مملكه فارس، واستولىٰ المسلمون عليها.
انظر: زين الأخبار: ٥٩.

فسنشير إليهم بعد إن شاء الله تعالىٰ. والغُلواء: بضم الغين وفتح اللام، وقد تسكن الغلو وهو مجاوزة الحد. وغرب السيف: حده القاطع. والحسام: القاطع من السيوف. والمجدد مفعل من الجد وهو القطع وصف بعد وصف.

ومعنىٰ البيت: أن المنون قد أهلكت الملوك الساسانية قديمًا وأفنتهم كما لو عرضتهم علىٰ السيف القاطع، وهو تمثيل، وهذا شروع منه في ذكر وقائع لمن مضىٰ من القرون تحمل العاقل علىٰ الحذر والانكماش علىٰ الدنيا لعدم بقائها وسرعة تقلبها، والرغبة فيما عند الله تعالىٰ.

والوقائع عند العرب: أيام حروبها، والمراد هنا وقائع الدهر؛ لأنه المحارب الأعظم وحربه أفظع، ثم قال:

وكستهم ثوبَ الصغارِ وغادرتْ تلك الحدائق كالبراحِ المصلد

الصغار بفتح الصاد: الذل. والمغادرة: الترك. والحدائق جمع حديقة وهي الروضة ذات شجر أو بستان أحدق به الحائط. والبراح: بفتح الباء المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر. والصلد: الصلب، صلدت الأرض وأصلدت صلبت.

ومعنىٰ البيت: أن المنية قد كست بني ساسان الذل[1] بعد العز، وأجلت مساكنهم، ثم قال:

ورمتْ مقاصير القياصرةِ الألىٰ عظموا بسهمٍ من رزايا مصرّدِ

المقاصير: جمع مقصورة وهي الدار المحصنة الواسعة، والقياصرة جمع قيصر، وهو لقب لملك الروم، كما أن كسرىٰ سمة لملك فارس، وخاقان لملك الترك، وتبع لحمير، والنجاشي للحبشة، والقياصرة ملوك كثير من الروم.

---

(١) وفي (ط): ثوب العفاء.

والروم أولاد روم بن العيص بن إسحق بن إبراهيم - عليهما السلام - ويقال: إنه ولد ثلاثين ولدًا منهم الروم، وكان أصفر اللون فقيل لولده بنو الأصفر. وأول من سمي منهم قيصر بن انطرطس وكانت أمه حاملاً به فتعسرت ولادتها فشق بطنها وخرج فسمي قيشر، ثم قيل قيصر. وكان يفتخر علىٰ الناس بأن النساء لم تلده فصار هذا اللفظ سمة لملوك الروم بعده. والألىٰ: بمعنىٰ الذين. والسهم معروف. وأصرد الرامي سهمه: أنفذه. ويقال أيضًا سهم مصرد: أي مخطي علىٰ الضد. والرزايا: جمع رزية وهي المصيبة وأصله الهمز، كما يقال في خطايا يقال: رزأه أي نقصه رزأ.

ومعنىٰ البيت: أن المنون رمت أيضًا ملوك الروم الذين عظموا وعتوا بسهم من رزايا منفذ فذهبوا، أي من انقرض منهم، ثم قال:

ونحتْ إلىٰ دارا العظيمِ لحاظها فاحتل دار العنقفير المويّدِ

نحت: صرفت. دارا المذكور هو: دارا بن دارا الملك المشهور أحد ملوك فارس[1] وهو آخر الفرس الأقدمين الجامعين المملكة، واختلف في نسب فارس.

فقيل هم ولد فارس بن ناسور بن سام بن نوح.

وقيل: هم من ولد هدرام بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وقيل: من ولد يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

وقيل: من ولد لوط عليه السلام لبنته.

---

(١) دارا بن دارا. كان شديد التكبر، ولكنه كان رحيمًا علىٰ الرعية. حاربه الإسكندر وهزمه. وجحده أتباعه وقتلوه وحملوا رأسه للإسكندر، ولما عرف أنهم من خاصته، فأحدهما وزيره، والآخر أمير حرسه، أمر الإسكندر فسلخوا جلودهما وشنقوهما ونادوا أن هذا جزاء من يخون سيده. انظر: زين الأخبار: ٢٨، وسرح العيون: ٣٢.

وقيل غير ذلك، قيل: ولا خلاف أنهم من ولد كيومرت وإليه يرجعون، واختلف النسابون في أيامهم ودولتهم فمن الناس من جعلهم أربعة أصناف لكل صنف دولة. ومنهم من جعلهم صنفين.

الصنف الأول: من كيومرت إلىٰ دارا الذي قتله الإسكندر كما يأتي قريبًا إن شاء الله تعالىٰ. والصنف الثاني: من أردشير بن بابك إلىٰ يزدجرد بن شهريار وهم الساسانية وتقدم ذكرهم واختلف في كيومرت فقيل: إنه ولد لاود بن أرفي ابن سام بن نوح.

وقيل: إنه من ولد آدم لصلبه، وإنه أوّل من تولىٰ الملك من بني آدم، وذلك أنه لما كثر البغي في الناس والظلم اجتمعوا فرأوا أنه لا ينتظم أمر الناس إلا بإمام يسوسهم فتقدموا إلىٰ كيومرت، وقالوا: أنت أكبر أهل زمانك وبقية أبينا آدم، وقد فسد أمر الناس فقم بأمرهم فملكوه ووضعوا التاج علىٰ رأسه، وهو أوّل من وضع التاج علىٰ رأسه فقام بالناس، وكان حسن السيرة أربعين سنة، وكان ينزل إصطخر[1]، واختلف في عمره فقيل: ألف سنة، وقيل غير ذلك، ثم مات فملك ابنه وهلم جرا إلىٰ دارا، وكانوا فيما ذكر النسابون عشرين ملكًا فيهم امرأة وكانت مدتهم ثلاثة آلاف سنة وستًا وعشرين سنة. وقيل: وثلثمائة سنة، والله تعالىٰ أعلم بذلك، ولولا قصد الاختصار لذكرناهم ملكًا ملكًا وسنذكر ملوك الطوائف منهم بعد دارا في البيت بعده.

واللحاظ: جمع لحظ. والاحتلال: النزول. والعنقفير: علىٰ وزن زنجبيل والقاف قبل الفاء الداهية. والمويد: الأمر العظيم والداهية أيضًا فهو تأكيد، وهو بضم الميم ثم واو مقلوبة عن همزة ثم ياء مكسورة مثناة من تحت من

---

(١) إصطخر: بالكسر وسكون الخاء، بلد بفارس ومن أعيان حصونها ومدنها، أول من أنشأها إصطخر بن طهمورث ملك الفرس، وهو عند الفرس بمنزلة آدم، وهي من أقدم مدن فارس. معجم البلدان: ١/ ٢١١.

الأيد وهو القوة.

ومعنىٰ البيت: قد قلبت لحظها إلىٰ دارا العظيم الملك فأنزلته منازل البلاء والفناء، وسنذكر قصة هلاك دارا عند ذكر قاتله بعد، ثم قال:

وثنتْ بغائلهِ الحكيمِ فلم يذدْ عنه الردىٰ ما صانَه من عسجدِ

ثنت: أي ثنت دارا بغائله، وهذا علىٰ مذهب من يقول: ثنيت زيدًا، أي ضربته ثانيًا، وهذا واحد فائته، والأشهر أن يقال: فعلت كذا وثنيت بكذا، وأبعد عن التكلف. والغائل: المهلك غاله غولاً أهلكه والضمير لدارا. والحكيم: وصف للغائل. والذود: الطرد. والردىٰ: الهلاك. والصون: الحفظ والخزن. والعسجد: الذهب.

ومعنىٰ البيت: أن المنية قد وفت بعد دارا بغائله وهو الحكيم فأهلكته، ولم يدفعها عنه ما خزنه من الذهب ولا غير ذلك.

والحكيم المذكور هنا أنه قاتل دارا هو الإسكندر بن الفيلسوف اليوناني[1]، ويقال له: ذو القرنين. قيل: لأنه بلغ قرني الأرض.

وقيل: لأن له قرنين ضفيرتين في رأسه.

وقيل غير ذلك، والكلام فيه مشهور وقصة إهلاكه لدارا أن دارا كانت تؤدي إليه ملوك زمانه الإتاوة، وكان ذلك للفرس من زمان يستأسف الملك؛ لأن بخت نصر كان مرزبانا له فدوّخ البلاد واستولىٰ علىٰ الممالك، فكانت ملوك الأقطار تؤدي الإتاوة لملوك فارس حتىٰ كان زمان دارا فكان أبو الإسكندر يؤدي إليه

---

(١) الإسكندر بن فيلقوس، استولىٰ علىٰ الملك بعد دارا، وقتل الكثير من الإيرانيين وخرب ديارهم وهدم قلاعهم وحصونهم، وقتل جميع علمائهم. وأحرق الكتب التي كانت في دين المغان وزرادشت. أما ما كان في الطب والنجوم والحساب وغيرها من العلوم فترجمها وأرسلها إلىٰ بلاد الروم. زين الأخبار: ٢٩، وسرح العيون: ٣١.

ذلك. فقيل: كان يؤدي إليه كل حول ألف بيضة من الذهب في كل بيضة ألف مثقال، فلما نشأ الإسكندر دفعه أبوه إلىٰ أرسطاطاليس الحكيم المشهور يعلمه الأدب والحكمة فمكث عنده نحو خمس سنين، ونال منه ما لم ينل أحد من تلامذته، ثم مرض أبوه فبعث إليه فعهد إليه، فلما ملك الإسكندر بعد أبيه لم يدفع الإتاوة لدارا فكتب إليه يتهدده وأجابه بمثل ذلك في كلام كثير جرىٰ بينهما فخرج كل بمجموعه فالتقيا في بلاد الجزيرة، فكانت بينهما الحرب وجرت أمور وحاصلها قتل دارا وفساد ملكه، فقيل: قتله حاجباه، وقيل: صاحب شرطته، وقيل: حمل إلىٰ الإسكندر فأمر بقتله فاستولىٰ الإسكندر علىٰ ملك دارا وخزائنه وبلاده، فلما استولىٰ عرض جيشه وجيش الفرس، فقيل: كان ألف ألف أو أكثر وهَمَّ باستئصال عظماء الفرس، ثم بدا له أن يشاور فكتب إلىٰ معلمه أرسطاطاليس يستشيره في ذلك فكتب إليه لا تفعل فإن لكل بلد وزمان رجالاً[1]، وإن أنت أهلكت الأشراف شرفت السفلة، وهم أضر شيء للملك، ولكن فرّقهم في المملكة وول كل واحد منهم ناحية وضع التاج علىٰ رأسه، فإنهم بذلك يتنافسون الملك وتعود أحقادهم بينهم ولا يجتمعون علىٰ حربك أبدًا، ومن تعاصىٰ منهم وحده كنت قادرًا عليه، ففعل الإسكندر ذلك ومزقهم، وهم ملوك الطوائف وبقوا علىٰ ذلك إلىٰ أن قام أردشير بابك كبير الساسانية فجمع المملكة كلها كما مر، ورجع الملك فيهم إلىٰ حاله حتىٰ أذهبه الله تعالىٰ بالإسلام وأورثها الله من شاء من عباده، ثم تقدّم الإسكندر بعد فراغه من فارس إلىٰ أرض الصين والهند فدوّخ تلك البلاد كلها، واستولىٰ علىٰ الممالك في حروب وغرائب أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة فلما رجع من تلك النواحي وبلغ شهرزور[2] أقام بها أيامًا فاحتضر بها ومات. قيل: وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة وعمره ست وثلاثون سنة.

---

(١) في (ط): رجلًا.

(٢) شهرزور: بالفتح ثم السكون - كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، أحدثها زور بن الضحاك، ومعنىٰ شهر بالفارسية المدينة، وأهلها كلها أكراد. معجم البلدان: ٣/ ٣٧٥.

قيل: وكان بين وفاته وبين الهجرة ستمائة سنة.

وقيل: أكثر ولما مات جعل في تابوت من ذهب وطلي بالأطلية الممسكة وحمل إلىٰ أمه بالإسكندرية.

قيل: فجمع أرسطاطاليس[1] عليه الحكماء وأمرهم أن يتكلم كل منهم بكلام وكانوا عشرة[2].

فقال الأول: أصبح آسر الأسراء أسيرًا، وقيل: أشار إلىٰ التابوت فقال كان يخبئ الذهب فصار الذهب يخبؤه.

وقال الثاني: هذا الإسكندر طوىٰ الأرض العريضة وهو اليوم يطوىٰ منها في ذراعين.

وقال الثالث: العجب، القوي قد غُلِب، والضعفاء لاهون.

وقال الرابع: ما سافر الإسكندر سفرًا بلا آلة سوىٰ سفره هذا.

وقال الخامس: سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته.

وقال السادس: كان يحكم علىٰ الرعية، فصارت الرعية تحكم عليه.

وقال السابع: كنت تأمر بالحركة فما بالك ساكنًا.

وقال الثامن: رب حريص علىٰ سكوتك، وهو اليوم حريص علىٰ كلامك.

وقال التاسع: كم أمات هذا الصندوق لئلا يموت فمات.

وقال العاشر: كان الإسكندر يعظنا بنطقه، وهو اليوم يعظنا بسكوته.

---

(١) أرسطاطاليس: ابن نيقوماخس المعروف بالمعلم الأول، وسُمي بذلك لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية وأخرجها من القوة إلىٰ الفعل.. وأحد حكماء اليونان. سرح العيون:١١٦.

(٢) الرواية بسرح العيون: ٣٦.

وقالت أمه: مما يسلي عنه المعرفة باللحاق به.

وقالت ابنة دارا: ما كنت أظن أن غالب دارا يُغْلَب. وأخبار الإسكندر كثيرة وهي طرائف ونوادر واقتصرنا علىٰ ما ذكرنا خشية السآمة.

وفي البيت التوجيه لأن ما صانه من العسجد يحتمل ما صانه في بيوت الأموال ويحتمل ما صان الإسكندر، وهو التابوث المذكور وتكون الإشارة إلىٰ القصة والكلام متوجه لهما معًا، ثم قال:

وسفتْ علىٰ الأقيالِ هوجُ رياحِها وزوتْ مدىٰ عبد المدانِ الأقمدِ

سفت الرياح التراب: ذرته أو حملته. والأقيال: جمع قيِّل يقال: اقتال عليهم أي: ملك، وهو قيِّل بتشديد الياء المكسورة أصله قيول من القول كأنه إذا ملك كان له القول عما يشاء أو أنه يكثر قوله فقلبت الواو، ووقع الإدغام كنظائره، وقد يخفف كميت، ثم إذا جمع قد يراعىٰ أصله فيقال أقوال، وقد يراعىٰ الحال فيقال: أقيال واشتهر ذلك الاسم علىٰ ملوك حمير، كما قال امرؤ القيس:

لعمرك ما إن ضرني وسط حمير وأقوالها إلا المخيلة والسكر[1]

وقيل القيل: دون الملك. والهوج: جمع هوجاء الريح الشديدة التي تقلع البيوت. وزوت: قصرت أو أجمعت أو قبضت أو طوت. المدىٰ: الغاية، وعبد المدان رجل

---

(١) البيت من بحر الطويل، وهو بديوانه: ١١١.
امرؤ القيس: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو، يقال له ذو القروح. أمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب ومهلهل، عده ابن سلام من شعراء الطبقة الأولىٰ من الجاهليين. من شعراء المعلقات. يعده الرواة شيخ الشعراء وأميرهم. انظر: ديوانه بتحقيق أبو الفضل إبراهيم (القاهرة)، طبقات ابن سلام: ٥١، وسمط اللآلي: ١/ ٣٨، والشعر والشعراء: ١٠٥، ١٣٥، ومعجم عفيف: ٢٩، ومعجم شعراء اللسان: ٦٤، وسرح العيون: ١٩٦، والأغاني: ٩/ ٧٧-١٠٥.
البيت بديوانه. برواية: .... وأقيالها إلا المخيلة والسكر

من العرب وبنو عبد المدان كان لهم ذكر وشرف، ولذلك قال القائل:

ولو أني بليت بهاشمي خؤلته بنو عبد المدان
لهان علي ما ألقىٰ ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني[1]

وكانت لهم أجسام كمل وألسن فصاح، ولذا وصف بالأقمد، وهو الضخم العنق الطويلة، وكان هجاهم الشاعر، ويقال: إنه حسان فقال:

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ جسم البغال وأحلام العصافير[2]

فقالوا: قد تركتنا نستحي بذكر أجسامنا بعدما كنا نفتخر بها ما لنا علىٰ هذا بقاء، فقال: سأغسل عنكم ما أرىٰ بكم وأنشد:

وكنا قائلين إذا رأينا لذي جسم يعد وذي بيان
كأنك أيها المعطي بيانا وجسمًا من بني عبد المدان[3]

---

(١) البيتان من بحر الوافر.
اختلف في نسبة البيتين، فقيل: هما لدعبل الخزاعي، وقيل: هما لداود بن علي بن خلف المعروف بالأصفهاني، وقيل: هما لزياد بن عبيد الله بن عبد المدان خال أبي العباس السفاح، وللأخير نسبهما الثعالبي في كتابه الشكوىٰ والعتاب. وهما بخزانة الأدب للحموي بلا عزو: ١٠٠، وكذا بالمنتحل: ١٣٦.

(٢) البيت من بحر البسيط وهو بديوانه: ١٢٩.
حسان: حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري. كان أبوه وجده من أشراف قومهم. ولد في يثرب عام ٥٦٣م، وأدرك الإسلام وأسلم وحسن إسلامه. وأسن كثيرًا، وعُمي في أواخر أيامه وتوفي ٥٤هـ، وعده ابن سلام من طبقة شعراء المدينة. انظر: ديوانه بتحقيق سيد حنفي (القاهرة)، والأعلام: ٢/ ١٧٥، ومعجم شعراء اللسان: ١٢١، والمؤتلف: ١٢٣، وسمط اللآلي: ١/ ١٧١، ومعجم الشعراء (عقيف): ٧١، وخزانة الأدب: ١/ ١١١.
البيت بديوانه. برواية: .... ومن عظم

(٣) البيتان من بحر الوافر، وهما لحسان بن ثابت، وبالكامل: ١/ ٦٩، والعقد الفريد: ٦/ ١٧٧، والمدان: اسم لصنم.

وهذا من اقتدار الشعراء علىٰ المدح والذم.

ومعنىٰ البيت: أن رياح المنون قد جرت عواصفها علىٰ أقيال حمير فأبادتهم، وطوت بني عبد المدان تحت أطباق الثرىٰ، ثم قال:

وتــرتْ علـىٰ سبـأ وعــادٍ تـروة فـغـدوا أحـاديـثَ السميرِ السهّدِ

ترت: وثبت ترا عليه تروًا وتروانا. سبأ: اسم لبلد بلقيس ولقب لعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإليه ترجع قبائل اليمن وفي الخبر سئل صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم عن سبأ، فقال: كان رجلاً ولد عشرة من الولد تيامن منهم ستة، وتشاءم أربعة، وقصة سبأ وهلاكها كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز كان لهم واد عظيم جنبتاه الفواكه والزرع(١)، وبنوا سدًا غلق ما بين الصفتين، قيل: بنته بلقيس، وقيل: حمير فوقف الماء، وصار بحيرة عظيمة فكان يرتفع الماء برفق، ويسقي الجنان في جنبتي الوادي، ثم عتوا وطغوا وبعث الله تعالىٰ إليهم فيما يقال ثلاثة عشر نبيًا فكذبوهم، فبعث الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك السد جرذًا أعمىٰ توالد فيه فجعل يخرقه ويقلعه شيئًا فشيًا حتىٰ أفسده فسال عليهم الماء وأغرق الجنات والأموال وأهلك الناس ومن بقي تفرّق شذر مذر وذهبوا في كل وجه. وعاد: قبيلة وهم قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ المذكورون في القرآن العزيز وأخبار عاد وسبأ لا تفي بهذا التعليق والقدر المحتاج إليه من ذلك مشروح في القرآن الكريم، والأحاديث: جمع أحدوثة بمعنىٰ الحديث. والسمير: السامر من السمر وهو التحدث بالليل. والسهد: الساهدون.

ومعنىٰ البيت: أن المنون أيضًا وثبت علىٰ سبأ وعاد فغدوا أي صاروا حديثًا، أي يتحدث بهم في الأسمار وتطرز بهم الأخبار، قال تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ

---

(١) انظر سورة سبأ الآيات ١٥ وما بعدها.

أَحَادِيثَ ﴾(١)، ثم قال:

وحدت بني مروان بعد إلىٰ الردىٰ فخدتْ مبارية الظليم الموفدِ

حدت: ساقت. وبنو مروان هم عبد الملك وعبد العزيز وبشر بنو مروان، ومن بعدهم من الملوك كالوليد وهشام وسليمان وعمر وغيرهم، وهم مشهورون أوّلهم: مروان بن الحكم وكان واليًا، وآخرهم مروان الحمار(٢)،

---

(١) سورة سبأ: ١٩.

(٢) مروان بن الحكم ولد سنة ٢هـ، وتوفي عام ٦٥هـ، وبقي في الملك ٩ أشهر وثمانية عشر يومًا.

* عبد الملك بن مروان ولد عام ٢٦هـ، وتوفي عام ٨٦هـ كان حازمًا جبارًا قوي الهيبة شديد السياسة، أول من سلك الدنانير وعرَّب الدواوين.

* وعبد العزيز بن مروان زوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب والد عمر بن العزيز الخليفة العادل.

* الوليد بن عبد الملك ولد سنة ٤٨هـ، وتوفي عام ٩٦هـ أبو العباس امتدت البلاد في عهده إلىٰ الهند، وجبال إلبيرة علىٰ الحدود الأندلس وفرنسا كان مولعًا بالبناء والعمران، امتدت خلافته نحو ٩ سنين وثمانية أشهر.

* سليمان بن عبد الملك ولد سنة ٥٤هـ، وتوفي ٩٩هـ، لم تكن له أعمال تذكر غير فتح جرجان وطبرستان من بلاد الترك، ولم تكن أمصارًا، بل كانت جبال.. دامت خلافته نحو سنتين وثمانية أشهر.

* هشام بن عبد الملك ولد عام ٧١هـ، وتوفي ١٢٥هـ، امتاز برجاحة العقل وضبط الأمور بالحزم.. امتدت خلافته نحو تسع عشرة سنة وتسعة أشهر.

* عمر بن عبد العزيز ولد عام ٦٢هـ، وتوفي ١٠١هـ، يلقب بخامس الخلفاء الراشدين، سلك طريق الراشدين واهتدىٰ بهديهم. خليفة صالح وإمام عابد عادل، وُلِدَ بالقاهرة وشب بها ثم استوزه سليمان، وولي الخلافة في عهده.

* مروان الحمار: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ولد عام ٧٣هـ وقتل عام ١٣٢هـ، ضعفت الدولة في عهده حتىٰ انتهت، لهذه التراجم، انظر: الأخبار الطوال: ٢٨٥- ٣٣٥، والمعارف: ٣٥٣- ٣٦٩، وتراجم الأوائل والخلفاء: ١٤٢- ١٦٤، وبلغة الظرفاء: ١٤٦-١٦٠.

وخدت: أسرعت يقال: خدىٰ يخدي أسرع. المباراة: المعارضة والمقابلة. والظليم: الذكر من النعام. والموفد: المسرع.

ومعنىٰ البيت: أن المنون ساقت بني مروان إلىٰ الهلاك فخدوا أسرع من الظليم في إسراعه، ثم قال:

وغدتْ دساكر جِلّق صفرًا كأن ... لم تغش قط بحفَّدٍ أو وفَّدِ

غدت: صارت. والدساكر هنا بيوت يتخذها الأعاجم للشرب واللهو جمع دسكرة. وجلق: بكسر الجيم مع تشديد اللام مكسورة ومفتوحة هي دمشق[1]، وقيل: غوطتها. والصفر: الخالي. والحفد: جمع حافد وهو الخادم. والوفد: جمع وافد وهو القادم.

والمعنىٰ أن المنون لما أهلكت الملوك المروانية صارت دساكرهم في دمشق خالية كأن لم تكن تغشاها قبل ذلك وفود الناس، ولم تحفها الحفدة أيام حياتهم وملكهم، ثم قال:

وحصتْ بني العباسِ أملاكَ الورىٰ ... بجمارِها فغدوا حصيد العُبْرُدِ

حصت: رمت، وحصاه بالحصىٰ رما بها. وبنو العباس الملوك الإسلاميون، والعباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم[2] عم رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه

---

(١) دمشق: بكسر الأول وفتح الثاني، والكسر لغة فيه. البلد المشهورة بالشام، سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا، وسميت بذلك نسبة لدماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح. وقيل غير ذلك. معجم البلدان: ٢/ ٤٦٣.

(٢) العباس بن عبد المطلب، يكنىٰ بأبي الفضل. كانت له السقاية وزمزم دفعهما إليه النبي (ﷺ) يوم فتح مكة، وكان يوم العقبة مع النبي. مات في خلافة عثمان، وقد كف بصره وهو ابن تسع وثمانين سنة. انظر: المعارف: ١٢١.

وسلم ورضي الله تعالىٰ عنه، والملوك من ولده أوّلهم: أبو العباس السفاح[1]. والأملاك: جمع ملك. والورىٰ: الخلق، ووصفهم بذلك تفخيمًا؛ لأنهم بيت الخلافة الإسلامية، وفيه إشارة إلىٰ ما ورد في التاريخ أن ابن العباس لما ولد له ولده عبيد الله[2]، وهو جد الملوك أتىٰ به عليًّا - كرم الله وجهه - فقال له علي ما سميته فقال له: أو يحل لي أن أسميه حتىٰ[3] تسميه فأخذه علي وسماه، فقال لأبيه: خذ إليك أبا الأملاك. والجمار: جمع جمرة وهي الحصاة. والحصيد: المحصود. العبرد: علىٰ مثال قنفذ من العشب الرقيق الردي.

ومعنىٰ البيت: أن المنون رمت بجمارها ملوك بني العباس فصاروا كأنهم الحشيش المحصود، ثم قال:

فلقد سقتْ في الدهرِ كل مملك ... شريا وهدتْ ركن كل ممرّدِ

واستأصلتْ في الجوِّ أعقبة وفي الـ ... ـبيداءِ كل مغوّر ومطوّدِ

هل أقصرتْ عن ذي دهاءٍ حوّل ... لحويلهِ أو عن همامٍ صندذِ

أو في البسيطةِ غير صيدٍ معرضٍ ... لسهامِها وخلائِها مستحصدِ

الشرىٰ: الحنظل. والممرّد من البناء: المطوّل والتمريد التمليس والتسوية. الأعقب: جمع عقاب الطائر المعروف. والبيداء: الفلاة. والمغوّر: سالك الغور. والمطوّد: سالك الأطواد، أي الجبال. الدهاء: المكر وجودة الرأي. والحويل

---

(١) أبو العباس السفاح: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد عام ١٠٤هـ، وتوفي عام ١٣٦هـ، وكان شديد العقوبة حازمًا مفكرًا، لُقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء بني أمية، وهو أول من أحدث الوزارة في الإسلام ومات وهو شاب. انظر: المعارف: ٣٧٢، والأخبار الطوال: ٣٧٠، وتراجم الأوائل: ١٧٠، وبلغة الظرفاء: ٢٠٧.

(٢) عبيد الله بن العباس كان سخيًا جوادًا. وكان عامل علي في اليمن، وكان له عبيد كثير، وكان يقول لهم: من أتاني منكم بضيف فهو حر. المعارف: ١٢١.

(٣) في (م): حتىٰ تكون أنت تسميه.

والاحتيال: الحذق وجودة التصرف في الأمور، ورجل حُوّل بضم الحاء وتشديد الواو المفتوحة شديد الاحتيال. والهمام: الملك العظيم، والهمام أيضًا الشجاع. والصندد: علىٰ مثال زبرج السيد الشجاع. ويقال: هو الحليم أو هو الجواد، ويقال أيضًا: صنديد. والبسيطة: الأرض. المعرض: من الصيد الذي سنح للرامي فأمكنه من نفسه. والخلا: العشب الرطب. والمستحصد: الذي بلغ أن يحصد.

ومعنىٰ **الأبيات الأربعة** أن المنية قد سقت علىٰ مرور الدهر كل مملك من الناس الحنظل كما سقت ذلك كل مملوك فلم ينج من مرارتها شريف ولا مشروف وهدت، أي هدمت أركان كل قصر ممرّد، وقد استأصلت أيضًا في الهواء أعقبة، أي أخذتها جميعها والمراد الطير كله، وإنما ذُكِرَ العقاب لأنه كان يضرب به المثل فيقال: «**أعز وأمنع من عقاب الجوّ**»[1] فغيره أحرىٰ، أما حقيقة في هذا؛ لأن الموت عام في النفوس، وأما كناية عن كونها لا ينجو منها أحد من الناس ولو كان في عز العقاب، وكذا استأصلت وحش البيداء سواء منه ساكن الجبال كالأوعال، وساكن السهول كالنعام، وساكنهما معًا كالذئاب، وهذا أيضًا إما حقيقة وإما كناية. والمنية هل أقصرت، أي ما أقصرت، أي ما عجزت عن صاحبها العقل والدهاء، فينجو بحيلته، ولا عن الهمام الصنديد فينجو منها بشجاعته وقوَّته وليس النجاة في عادات الناس من الأعداء وكل من يتقي شره إلا بأحد هذين من الاحتيال والصيال، وقد بطلا معًا ههنا فلم ينج واحد منهما من الموت وليس في الأرض إلا صيد مستهدف لسهام المنية وخلاء قد آن أن يحصد بها، يريد أن النفوس كلها بمنزلة الصيد أو الكلأ للموت، ثم قال:

---

(١) المستقصىٰ: ١/ ٢٤٦، والمثلين: ٣/ ١٥٢، ومجمع الأمثال: ٣/ ٣٥٢، ٣/ ٣٥٥، وتمامه «أعز من عقاب الجو».

ما المرءُ إلا ابن التوىٰ ولو ارتقىٰ أفقَ السماءِ بسلمٍ لم يخلدِ
شخصُ تكنفه الثريا والثرىٰ فالجسمُ كون من خسيسِ الحرمدِ
والروحُ كان نشوء ونزوعه من ذلك الملا العلي الأمجدِ
فيحنُّ ذاك لأرضه بتسفلٍ ويحنُّ ذا لسمائِه بتصعّدِ
والمرءُ بينهما مخافة فرقةٍ ونوىٰ قذوف في المقيمِ المقعدِ

التوىٰ[1]: بالمثناة من فوق الهلاك. والتكنف: الاشتمال والإحاطة. والثريا النجم المعروف. والخسيس: الدني. والحرمد: الطين الأسود المتغير اللون والرائحة. والنوىٰ: القذوف البعيدة من القذف وهو الرمي كأنها ترمي بصاحبها إلىٰ بعد. والمقيم: المقعد مثل للأمر الهائل. يقال: وقع فلان في المقيم المقعد، أي هول عظيم كأنه يقيمه تارة ويقعد أخرىٰ.

ومعنىٰ **الأبيات الخمسة** أن الإنسان ما هو إلا ابن الهلاك لكونه لا ينفك عنه فكأنه ابنه كما قيل ابن السبيل وابن غبراء وابن الهالكين؛ فإن له نسب الهالكين عريقا، كما قال أبو نواس[2]، وأيضًا ابن الثرىٰ، ويقال له عرق الثرىٰ، وأعراق

---

(١) في (ط): الثرىٰ، وهو التراب.

(٢) أبو نواس: الحسن بن هانئ، ولد بالأهواز عام ١٤٠هـ، وعاش شابًا بالبصرة وانتقل إلىٰ الكوفة وتتلمذ علىٰ يد والبة بن الحباب، وكان علىٰ علم بالحديث والقرآن وأشعار القدماء. اتصل بالبرامكة ثم رحل إلىٰ مصر. ونادم الخليفة الأمين وتوفي عام ٢٠٠هـ تقريبًا. انظر: ديوانه بتحقيق (أحمد عبد المجيد الغزالي (مصر)، والأغاني: ٢٠/ ٦١ - ٧٤، ومعاهد التنصيص: ١/ ٣٠، وشذرات الذهب: ١/ ٣٤٥، والأعلام: ٢/ ٢٤٠، ومعجم الشعراء (عفيف) ٥٦٥، والكلام إشارة إلىٰ قول أبي نواس:

وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق

ديوانه (ط. بيروت): ١٩٠.

الثرىٰ، كما قال امرؤ القيس:

إلىٰ عرق الثرىٰ وشجت عروقي   وهـذا المـوت يسلبني ثيابا[١]

وإذا كان أصله منه فيوشك أن يرجع إلىٰ أصله، قال تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾[٢]، والمرء شخص أحاط به شيئان أحدهما: في غاية الرفعة كالثريا وهو الروح، والآخر: في غاية الانحطاط وهو الجسد. فأما الجسد فمخلوق من الطين من حمأ مسنون، كما قال الله تعالىٰ[٣]، وأما الروح فمخلوق من العالم العلوي الرفيع حسا ومعنىٰ لكونه محلاً للملأ الأعلىٰ من الأرواح المقدسة العارفة من الملائكة والأنبياء، ثم أهبط وأودع في هذا الهيكل يستحصل فيه سعادته بالفعل أو شقاوته علىٰ ما سبق له في علم خالقه جل اسمه وتعالت كلمته، وقد جعل الله تعالىٰ في طباع الأشياء الميل إلىٰ الأصل والحنين إلىٰ المنشأ، فلذا كان الجسد يميل إلىٰ الأرض ويتجاذبه طباعها، والروح تميل[٤] إلىٰ التجرّد والعلو، وذلك أصله وشتان ما بين الخبث والصفا، والأرض والسماء كما قيل:

راحـت مشـرّقة ورحـت مغربا   شـتّان بيـن مشـرِّق ومـغـرّب[٥]

فكأن الإنسان من هذا الأمر في حيرة عظيمة، وهول كبير وإنما مثاله في ذلك مثال الولد الصغير يفترق والداه، ويتقاطعان ويتباعدان فهما يتجاذبان قلبه ويطيلان حيرته وغمه أو مثال الطير المقفوص فبطبعه يميل إلىٰ الطيران وفيه

---

(١) البيت من بحر الوافر، وليس بديوانه.

(٢) سورة طه: ٥٥.

(٣) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦).

(٤) في (م): يميل وهو خطأ. فالروح: مؤنثة. لسان العرب: ٦/ ٢٥٣.

(٥) البيت من بحر الكامل، وهو بلا عزو في زهر الأكم: ١/ ٢٢٢.

روحه وأنسه والقفص يمنعه ويجذبه.

وفي هذه الأبيات الإشارة إلىٰ شرح المملكة الإنسانية وسيفصح بذلك بعد، وهنالك يقع شرحها إن شاء الله تعالىٰ. وفي المقيم المقعد التورية؛ لأنه مثل كما مرّ وأشير به إلىٰ أن الجسم يقعد، والروح تقيم، ثم قال:

والـروحُ كلف أن يـزوّد للنوىٰ بـرًا فـهـا هـو بـان غـير مـزوّدِ

ويـحـطُّ عـنه عـبأه ويـفـكُّ عنه (م) قـيـدَه فـمشىٰ رسـيـف مقـيَّـدِ

ويـمـاطُ عـنـه بـتـوبـةٍ أدرانـهِ حتىٰ يعودَ إلىٰ الصفاءِ كما بدي

ويشالُ من وهد الحظوظِ إلىٰ العلىٰ بـتـعـلُّـقٍ وتـخـلُّـقٍ وتـجـرّدِ

ويـفـصُّ ملحما الـذي قـد شابه بـتـأنُّـسٍ وتـوحُّـشٍ وتـفـرّدِ

ويـمـدّ ضـبـعـاه ويـكـحـل جفنه بـتـذكُّـرٍ وتـفـكُّـرٍ وتـفـقّـدِ

بان: الرجل عن منزله خرج عنه مرتحلاً أو مسافرًا. والعبء: بكسر العين الحمل الثقيل. والرسيف: مشية المقيد يقال: رسف في قيوده يرسف رسفًا ورسيفًا مشىٰ كذلك. وماط الشيء وأماطه عنك: أبعده وأزاله. والأدران: الأوساخ وحظوظ النفس. كل ما لها فيه متعة ولذة حسا، ومعنىٰ كالأكل والنكاح والرياسة وبُعْد الصيت. والفص: الفصل، تقول: فصصت الشيء من الشيء إذا فصلته عنه وانتزعته منه. والحما والحماة: الطين الأسود المنتن الرائحة، وحمىٰ الماء: خالطه ذلك. والشوب: الخلط. والمد: البسط. والضبع: العضد ومددت ضبع فلان قوّيته وأعنته ونصرته.

ومعنىٰ **الأبيات الستة**: أن الإنسان لما أودع هذه[1] الروح كلفه الله تعالىٰ أن يزوّده زادًا يسعد به؛ فإن الروح غريبة[2] في البدن خليفة فيه، كما سنشرح ذلك

---

(١) في (م): هذا.

(٢) في (م): غريب.

وهو بصدد السفر والانقلاب إلىٰ مولاه تعالىٰ، وذلك بالموت وليس يصحبه البدن؛ لأن البدن راجع إلىٰ التراب حتىٰ يلتقيا في الموعد، ولا تصحبه الدنيا لأنها فانية، وإنما يصحبه ما علم وعمل؛ فإن كان معرفة وطاعة ارتفع بها وسعد وبلغ بها عليين، وهذا هو الزاد المطلوب، وإن كان جهلاً ومعصية انتكس بها وشقي وحُجب نعوذ بالله تعالىٰ من الخذلان. والبر هو الطاعة والخير، وهو الذي طلب من الإنسان أن يشتغل به ليتزوّد به روحه إذا ارتحل، وها هو الإنسان غافل مشتغل بالدنيا والشهوات حتىٰ ترتحل[1] روحه عنه بلا زاد فتقع الحسرة ولا تنفع الندامة، نسأل الله تعالىٰ التوفيق.

وطلب منه أيضًا أن يسعىٰ في حط أعباء الشهوات والمعاصي والذنوب والغفلات عن روحه، وهذه كلها أحمال ينزل بها في حضيض النقصان، وقيود تعوقه عن الارتحال إلىٰ حضرة مولاه عَزَّوَجَلَّ فلو فك عنه هذا القيد لوصل، ولكنه اشتغل عنه فجعل يرسف في قيوده، وأنىٰ يصل بالرسيف.

وطلب منه أيضًا أن يزيل عنه أدرانه أي أوساخه التي أوجبتها المعاصي والغفلات حتىٰ يعود صافيًا كما بدئ أي كما خلق فإنه قد انتشأ صافيًا عالمًا بالطبع، وإنما يحدث له التدنس والعمىٰ في هذا البدن لارتكاب الذنب وكثافة الحُجُب.

وطلب أيضًا أن يرفع من مقام الحظوظ التي هي الحضيض السافل إلىٰ المقام العالي وهو مقام النزاهة والطهارة والمعرفة، وذلك مقام الملائكة وخواص بني آدم، وإنما يكون بالتعلق بالله سبحانه وتعالىٰ والتخلق بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا والتجرّد عن أوصاف البهائم وأوصاف السباع وأوصاف الشياطين بعد التجرّد عن العلائق والشواغل الحسية كلها.

---

(١) في (م): يرتحل.

وطلب أيضًا أن يفصل الروح عن طينة الجسم الأرضية والمراد الانفصال عن طبائعها والتطهر من لوثها، وذلك عند التأنس بالله تعالىٰ والتوحش من غيره والتفرد قلبًا وقالبًا حسا، ومعنىٰ أو معنىٰ فقط، وهو أقوىٰ وأكمل ولكن مبدأ التفرد الحسي، والله تعالىٰ ولي التوفيق.

وطلب أيضًا أن يمد ضبعيه أي يقوىٰ وينصر ويكحل جفنه، أي تفتح بصيرته[1]، وذلك بالتذكر للعهد المأخوذ يوم ألست بربكم أولًا، والمأخوذ علىٰ لسان الرسول (ﷺ)،[2] ثانيًا: التفكر[3] فيما له وما عليه، وفي حكمة الله تعالىٰ وصنعته وأحكامه وأيامه والتفقد لأحواله وأقواله وحضراته وغير ذلك.

واعلم أنه ما من لفظ في هذه الأبيات إلا وهو قابل لغير ما فسرنا به، ومحتمل لأزيد من ذلك وأكثر مما يتسع به مجال الناظر البصير للعبر، وإنما قصدنا تمشية الكلام بأقل ما يمكن وإلا فهي محتوية لمن تأمل علىٰ جميع ما يشرحه أرباب القلوب في السلوك والرياضة والتخلي، وفيها مع ذلك إطناب ما حمل عليه الشغف بالبيان والمبالغة في هذا الباب، ولو تعرضنا لشرحها احتجنا إلىٰ مجلدين أو أكثر، ثم قال:

والمرءُ مشغوفٌ بأتراف الذي ... من ذاتهِ هو عن قريبٍ مرتدِ
ومضيَّعٌ ما ليس يبرح دائمًا ... معه علىٰ مرّ الوجودِ السرمدي
كالعيرِ ليس له بشيء همة ... إلا اقتضام القضب حول المذودِ

الأتراف: التنعيم. والمرتدي: الهالك من الردىٰ وهو الهلاك. والعير: بالفتح

---

(١) في (م): بصريته.

(٢) إشارة إلىٰ الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ (الأعراف: ١٧١).

(٣) في (م): والتفكر.

الحمار. والاقتضام: الأكل بمقدم الفم. والقضب: الكلأ الرطب. والمذود: علىٰ وزن منبر والذال الأولىٰ معجمة: معلف الدابة.

ومعنىٰ الأبيات الثلاثة: أن الروح مطلوب تخليتها[١] كما مر، والمرء متغافل عن ذلك المطلوب، مشغوف مولع بتكميل ما هو من ذاته، هالك قريبًا في التراب وهو الجسد ومهتبل بتنعيمه وترفيهه، ومضيع ما هو باق معه ولا يفارقه في الدنيا والآخرة هي روحه التي هي[٢] محل الخطاب ومهبط الأنوار، وإنما مثاله في القيام بجسمه وتضييع روحه مثل الحمار؛ فإن الحمار لا همة له إلا في أكل الحشيش واقفًا حول المذود، إذ لا أرب له ولا مطلب وراء شهوات بدنه، ولو كان الإنسان حمارًا لم يكن عليه بأس؛ فإن الحمار لم يلزم التكليفات ولا استودع الأمانات، فلو كان للمرء بصيرة وتوفيق لاعتنىٰ بروحه التي يشهد بها المواطن، ثم قال:

ويحُ المشرف للخسيسِ مجلّه ... ومذيل ذي الشرف الأثيل الأقعدِ

وحفيظ من هو للصداقةِ خائن ... وخؤن ذي الودّ الصفي الأتلَدِ

ويح: كلمة تقال رحمة، تقول: ويح زيد وويحًا لزيد. والإذالة: الإهانة أذاله فهو مذيل له. والأثيل: الأصيل. والأقعد: الأثبت. والأتلد: الأقدم الأصيل.

والمعنىٰ: أن المرء مطلوب بالسعي فيما يبقىٰ من طهارة نفسه وتحليه بالمعارف والاعتناء بأشرف الجزءين، وهي الروح التي هي[٣] محل العلم والمعرفة فويحًا لمن اشتغل بتشريف الخسيس وهو الجسد الظلماني وإجلاله

(١) في (م): تخليته.

(٢) في (م): هو روحه الذي هو.

(٣) في (م): وهو الروح الذي هو.

بترفيهه والسعي في مصالحه وإهانة ذي الشرف الأصيل وهي الروح التي هي[1] أقعد في الشرف وأعرق في المجد، وحفظ من هو خائن لا يدوم علىٰ الصداقة، بل يفارق بالموت وهو الجسم وخيانة الودود الصفي التليد وهي الروح[2] وحفظ الأول بما ذكر من الاعتناء بمصالحه وحراسته عما لا يلايمه ومراعاة غذائه من غير تفريط ولا غفلة، وخيانة الثاني بإهماله عما يصلح به من الغذاء وحراسته عما يضره من الداء. وغذاء الجسم الطعام والشراب، وغذاء الروح العلم والمعرفة والأنوار المستجلبة بالطاعات والموافقات، ويصح أن يراد بالأول الشيطان الموسوس، وبالثاني الملك الملهم، ثم قال:

ولبائعٍ حورًا حسانًا خرّدا عَربًا بعظم في التراب مدوّدِ

البيع: الإبدال، فمن باع شيئًا بشيء فقد أبدله به. والحور: جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين الشديدة بياض بياضها. والحسان: جمع حسنة وحسناء. والخرد: جمع خريدة وهي الحبيبة. والعرب: جمع عروب وهي المتحببة إلىٰ زوجها. والمدود: الذي داخله الدود يقال: دَوَّد اللحم فهو مدوَّد.

أي: ويحًا لمن يبيع حور الجنة الحسان الخرد العرب بعظم يدود في التراب.

والمعنىٰ: إنه يشتغل باللذات ومآلها إلىٰ جسمه وجسمه يدوَّد ويفنىٰ ويترك الطاعات التي يستوجب بها الحور فقد باعها، ثم قال:

ولراضعٍ ثِدي الهوىٰ وسنان في ليلِ الضلالةِ خابط متردِّدِ

الوسنان: من أصابته السِّنة. والخابط: من أتىٰ ليلاً علىٰ طريق لا يعرفه. والتردُّد: التحير.

---

(١) في (م): وهو الروح الذي هو.

(٢) في (م): الصفي الود التليد الحب وهو.

أي: ويح لمن يرضع ثدي الهوىٰ بأن يلتزم ما تحب نفسه ويسعىٰ فيه من غير موجب من الشرع. ورضاع الثدي إما كناية عن التزامه والعكوف عليه، كما أن الرضيع لا يغفل عن ثديه ولا يستطيع الصبر عنه، وإما كناية عن حبه والشغف به، كما أن الصبي يحب مرضعته ويولع بها. وسنان، أي غافل في الضلال الذي هو كالليل المظلم ساع فيه بلا تبصر ولا نظر فيما يحسن ولا يقبح شرعًا، ثم قال:

متخمطٌ في تيهِهِ متصلفٌ ومذبذبٌ في نُوكِهِ متلدّدِ

المتخمط: الشديد الغضب. والتيه: بكسر التاء الصلف. والكبر والتيه أيضًا الضلالة، تاه يتيه فهو تائه وتيهان. والمتصلف: من يتكلف الصلف وهو الخروج عن الظرف ومجاوزة الحد تكبرًا. والمذبذب: الحائر. والنُوك: بالضم والفتح الحمق، نوك بالكسر نوكا ونوكه فهو أنوك، أي أحمق. والمتلدد: بدالين مهملتين المتحير فهو توكيد.

أي ويح المتصف بهذه الأوصاف، ثم قال:

فطنٌ بدنياه بصيرنا قد متغافلٌ في دينهِ متبلِّدِ

حرد إذا ما سيم خسفًا جاهه وإذا يسامُ إلهه لم يحردِ

الفطن: الحاذق. والناقد: المميز للأشياء معرفة وخبرة. والمتبلد: المتحير، والمتبلد أيضًا الخاضع غير المتجلد. والحرد: الغضبان. والخسف: الذل، سامه خسفًا أراده به وعرصه.

والمعنىٰ أنه ذو فطنة في أمور الدنيا وبصيرة وانتقاد فلا يفوته شيء منها دقيقًا ولا جليلاً وذو تغافل في أمور الدين وتبلد فلا يكاد يدرك منها شيئًا وهو مع ذلك إذا سامه أحد خسفًا ينقص جاهه، أو أذيته غضب وانتصر، وإذا انتقص جناب

الرب عَزَّوَجَلَّ أو ضيع حقّه لم يبال، ثم قال:

يسدي ويلحمُ في الغرور مزاولا ... ما عنه بُدّ من لعاعِ القثردِ

ويضيعُ ما استكفاه رب العرشِ من ... سعي لأمرِ معادِه وتزوّدِ

السدي واللحمة: للثياب وأسدىٰ الثوب يسديه جعل له السدي. وألحمه: نسجه، ثم صار ذلك مثلاً في الاشتغال بالشيء يقال هو في هذا الأمر «**يسدي ويلحم**»[1]. والغرور: كل ما لا بقاء له ولا حاصل من أمور الدنيا. البدّ: العوض والمثل. واللعاع: الجرعة من الماء، واللعاع أيضًا نبت يخرج ناضرًا أول ما يظهر، ومنه قيل للدنيا اللعاع، واللعاعة؛ لأنها زهرة لا بقاء لها. والقثرد: قماش البيت. واستكفيت الأمر فلانًا: استحفظته.

والمعنىٰ: أنه أيضًا يسعىٰ ويجتهد في الغرور الدنيوي مزاولاً أي معالجًا ومتكلفًا لما عنه خلف من لعاعة الدنيا وقماشها، والإضافة فيه للبيان كشجر أراك، ويضيع ما كلَّفه الله تعالىٰ بحفظه ومراعاته من السعي لآخرته والتزوّد من العمل الصالح لعقباه، والمغبون من اشتغل بما ضُمِنَ له عما طُلِبَ منه، ومن باع الباقي بالفاني، ثم قال:

ذي خلَّتينِ عروبة حُسّانةٍ ... روض الخليلِ وحيزبون علكدِ

ومق لهذي وهي خب فارك ... فرك لتلك علىٰ هوىٰ لم يخضدِ

الخلة: الحبيبة والحبيب أيضًا يكون للذكر والأنثىٰ. والعروبة: المتحببة. والحسانة بضم الحاء وتشديد السين: الحسناء. والحيزبون: العجوز. والعلكد: العجوز الداهية. ومقه يمقه الخب بكسر الخاء: الخبث والخديعة وصف به المرأة مبالغة، كما يقال: رجل عدل امرأة عدل. والفارك: المبغضة لزوجها تقول: فركت زوجها بالكسر، وقد يفتح فهي فارك وفركها هو أيضًا أبغضها.

---

(١) زهر الأكم: ٣/ ١٦٢.

والهوىٰ: المحبة والميل. الخضد: كسر الغصن وغيره من غير إبانة.

والمعنىٰ: أن الغافل المؤثر لدنياه علىٰ آخرته شبيه برجل له خلتان حبيبتان إحداهما حسناء تحبه وهي روض الخليل، أي فيها لخليلها الأنس وكل ما يشتهي كالرياض، والأخرىٰ عجوز فانية شريرة متكرهة وتبغضه، وهو مع ذلك يحب هذه العجوز الخدَّاعة الخبيثة الفارك، ويبغض تلك الحسناء علىٰ هوىٰ منها فيه وميل منها إليه لم يبتذل كالغصن لم يقع منه شيء فضلاً عن الإبانة، ثم قال:

متكاسل عن كلِّ حقٍ عاجزٍ ... متشمر في كلِّ ما بطل أدي

التكاسل: تعاطي الكسل. والحق: الثابت. والمتشمر: ضد الكسلان. والبطل: مصدر بطل الشيء يبطل بطلاً وبطولاً إذا ذهب ضياعًا وخسورًا. والأدي: بتشديد الياء علىٰ وزن غني الخفيف من الناس. المشمر: وهو وصف لمتشمر لا لبطل، كما أن عاجز وصف لمتكاسل لا لحق.

والمعنىٰ: أنه يتكاسل عما يدوم ويبقىٰ، ويعجز عنه ويشمر إلىٰ ما يذهب ويفنىٰ ويهب إليه، ثم قال:

لو كان ذا لبٍ لأيقن أنه ... ما كان أنشئ باطلاً أو عن ددِ

كلا ولا للخلد في الدنيا ولا ... ليكون أقصىٰ عيشه العيش الردي

بل منشأ في الأرض لا مستوطنا ... لكن ليعبر نحو ذاك الموعدِ

اللب: العقل. والدد: اللعب. والعبور: المجاوزة.

والمعنىٰ: أن الإنسان لو كان له عقل يتأمل به لعلم أنه لم يخلقه الله تعالىٰ باطلاً لغير غاية تراد ولا عبثًا في خلقه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ﴾(١)، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا

---

(١) سورة ص: ٢٧.

تُرْجَعُونَ ﴾[1] كلا ليس الأمر كذلك فليس بمخلوق عبثًا ولا ليخلد في الدنيا ولا ليكون العيش الدنيوي الردي منتهىٰ عيشه بحيث لا يبعث ولا تكون له جنة ولا نار كما يتوهم منكرُ البعث، وهذا حصر للأحوال المتوهمة، وهو أنِ الإنسان ما خُلِقَ باطلاً لغير حكمة ولا غاية، وإن جاز ذلك عقلاً، ولا خُلِق ليبقىٰ في الدنيا مخلّدًا ولا ليفنىٰ بالموت فناء لا حياة بعده، فإذا بطلت هذه كلها لم يبق إلا أنه مُنْشَأ في الأرض راحلاً مسافرًا لا مستوطنًا فيها، ولكن ليعبر نحو ذلك الموعد، وهو موعد الأوّلين والآخرين، فيه يستبين مآل أمره ويجني ثمرة غرسه، ثم قال:

وخليفة ليسير فيها سيرة الـ	ـمستخلفِ المستحفظِ المستعمدِ
ملك يوازره الحجا ويمد من	جند بأنوارِ الغيوبِ مجنّدِ
والكائناتُ رعيةٌ تجبىٰ إلىٰ	تصريف فكرٍ عنده متسدّدِ
وهوىٰ بربةِ بيتهِ خدع الهوىٰ	وسطًا بجمعٍ مِلْحظوظِ محشّدِ
فتكنف الملك البغاة متىٰ يرم	نحبًا يعاد علىٰ السدادِ ويحسدِ
وتلظتِ الحربُ العوان فإن يكن	حضر المليك وزير صدقٍ يعضدِ
مستنصر بالرشدِ والتوفيقِ في	غمراتِها وقراعِها الجمع العدي
فثنىٰ جموعهم وفلَّ غربهم	بغرار سيفٍ في حجاه مهنَّدِ

المستخلف: هو المجعول خليفة. والمستحفظ: المستوكل بحفظ الشيء. والاستعهاد: استفعال من العهد وهو الوصية، ويقال أيضًا استعهد من صاحبه إذا اشترط عليه وكتب عليه العهدة، واستعهد فلانًا من نفسه إذا ضمنه حوادث نفسه. والجند بالضم: العسكر، والمجند المجموع. وسطًا عليه سطوة: صال عليه. والمحشد: المجموع. والبغاة: جمع باغ وهو الظالم الخارج عن الطاعة.

---

(١) سورة المؤمنون: ١١٥.

والنحب: الحاجة والنذر. والسداد بفتح السين: الصواب. الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرىٰ. استعارة من عوان النساء وهي التي تقدم لها زوج. والغمرات: مواطن التحام الحرب وباستعارة من غمرات الماء. والقراع والمقارعة: المقاتلة والمدافعة. والعدي: علىٰ وزن غني جماعة القوم يعدون للقتال. والتفليل: الكسر. والغرب: الحد من السيف، والحد القوة والشوكة، فيقال: فل غربهم أي كسر شوكتهم. والغِرار: بكسر الغين: حد السيف ونحوه.

ومعنىٰ الأبيات الثمانية: أن الإنسان من حيث روحه خليفة في هذه الجثة استخلفه الله تعالىٰ فيها واستحفظه إياها وأوصاه عليها، وذلك ليسير فيها سيرة المستخلف بتصريف كل جارحة ظاهرة أو باطنة فيما خلقت له مما يعود عليه نفع وصلاح في العاجل والآجل وحراسته من كل ما يؤذيه والوقوع فيما يرديه، وهذه[1] الروح كالملك في البدن، والعقل كالوزير، والأنوار التي يمده الله تعالىٰ بها من الغيب كالجنود له، ثم إن الهوىٰ كالقائم عليه يريد أن يفسد عليه ملكه، وقد استمال بخدعة ربة البيت، وهي النفس فتبعته، وصال علىٰ الروح والعقل بجند من الحظوظ، أي الشهوات والشيطان معينه فتكنف لهذا الملك وهي[2] الروح البغاة، أي أحاطوا به من كل جانب، فمتىٰ يحاول أمرًا يقضيه من الخير والصلاح عادوه وحسدوه ونازعوه، وعند ذلك تلظت أي اشتعلت الحرب بين الروح والهوىٰ، هذا يدعو إلىٰ الخير، وهذا يدعو إلىٰ الشر؛ فإن كان مع الروح وزير صالح وهو العقل الكامل السالم فإنه يعضدها، أي ينصرها ويعينها علىٰ عدوّها حالة كونها مستنصرة[3] علىٰ العدو بالرشد من الله تعالىٰ والتوفيق منه؛ فإن العقل غير نافع بلا توفيق، وذلك في غمرات هذا الحرب وفي قراعه هذا

---

(١) في (م): وهذا.

(٢) في (م): وهو.

(٣) في (م): فإنه يعضد أي ينصر ويعان علىٰ عدوه حال كونه مستنصرًا.

الجمع العدي؛ فإن فعل ذلك ثنىٰ جموع الهوىٰ والشهوات وحسم شوكتهم بسيوف العقل المهمدة القاطعة.

وأشار في هذه الأبيات إلىٰ ما ذكر أرباب القلوب في المملكة الإنسانية وفيها كلام كثير وتدقيق لا يسعه هذا التقييد وحاصل ما وقعت الإشارة إليه باختصار أن الله تبارك وتعالىٰ أودع الروح في هذا الهيكل كالخليفة فيه لتصرفه(١) واعتبر أرباب الحقائق هذا المعنىٰ بطريق التمثيل والمقايسة، فقالوا: إن الإنسان هو العالم الأصغر، وقد بينا وجه ذلك في غير هذا المحل. وكما أن الله تعالىٰ استخلف آدم في الأرض من العالم الأكبر، فكذا استخلف الروح في الجسم من العالم الأصغر، ولما استخلفها جعل لها مدينة(٢) هي مملكته وموضع سياسته ونظره وهي الجسم وجعل له منها محلاً هو قصر الملك يحل فيه أو يقوم به أو يراعيه علىٰ الأقوال الثلاثة في أن الروح جوهر متحيز أو جوهر أو عرض مجرّد، وهذا القصر هو القلب، وقيل الدماغ علىٰ الخلاف المشهور، وكل ما احتوت عليه هذه المدينة هي حضرة الملك، وما خرج عنها هو باديته، وجعل له الحواس كالسمع والبصر والشم واللمس جباة يجبون له صور المكنونات ومعانيها، وجعل له متنزهًا في أعلىٰ هذه المدينة يشرف منه علىٰ رعيته وهو الدماغ، وجعل في مقدمه خزانة تجتمع فيها جبايات الجباة وهي(٣) المسموعات والمبصرات والمشمومات والمذوقات والملموسات، ويقال لهذه الخزانة: الحس المشترك، ومنها تنقل إلىٰ خزانة الخيال بعد تمام العمل، ومنها تنقل إلىٰ خزانة الفكر في وسط الدماغ فيأخذ ما صح منها، ويرد ما لم يصح فهو الضابط الحافظ القيم علىٰ الخيال، كما أن الخيال هو القيم علىٰ الحواس، وجعل آخر

---

(١) في (م): ليصرفه.

(٢) في (م): استخلفه جعل له مدينة.

(٣) في (م): هو.

هذا المنتزه خزانة أخرىٰ للحفظ، وأوجد تبارك وتعالىٰ في هذه المملكة النفس وهو محل التطهير والتغيير، وهي حرة هذا الملك وربة بيته وأوجد الله تعالىٰ العقل فجعله وزيرًا لهذا الملك عنه يقع الإيراد والإصدار، فإذا وردت الجبايات علىٰ الفكر رفعها إلىٰ العقل(١)، ثم رفعها العقل إلىٰ الملك وهي الروح، ثم رفعتها الروح(٢) إلىٰ الملك الحق لا إله إلا هو رب العالمين، وتسمىٰ في الرتبة الأولىٰ محسوسات، وفي الثانية متخيلات، وفي الثالثة والرابعة معقولات؛ لأن(٣) الفكر خادم العقل، وفي الخامسة أسرار، ثم إن الله تبارك وتعالىٰ خلق في هذه المدينة رئيسًا آخر ثائرًا قويًا ينازع الروح في المملكة الإنسانية، ويقال له الهوىٰ، وكما أنه قد أمد الله تبارك وتعالىٰ الملك الأول وهي(٤) الروح بالملائكة والروح والمعارف وهي جنوده، كذلك قد أمد الله تعالىٰ هذا الثائر بالشياطين وأصناف اللذات والشهوات وهي جنوده قالوا علىٰ طريقة التمثيل، ثم إن هذا الثائر وهو الهوىٰ قد اطلع يومًا مع وزيره وهو الشهوة وجنوده فرأته النفس ورآها فلما تراءيا عشقته وعشقها فرام أن يستمكن منها وجعل يخادعها ويهاديها ويمنيها، فلما رأت نعمته عاجلة ولذته حاضرة مالت إليه، والروح لم تشعر(٥) بشيء من هذا، والعقل الذي هو الوزير قد علم به، غير أنه كان يلاطف الأمر عسىٰ أن ترجع، ثم إن الروح استدعتها فتعاصت عليها ولم تدر سبب تعاصيها، فسألت الوزير(٦) عن سبب نشوزها وتمرّدها، فقال لها الوزير: إنها قد مالت إلىٰ غيرك؛ فإن هنا رئيسًا نعمته عاجلة مشهودة، ونعمتك غائبة آجلة، ومساعيه لذيذة سهلة،

---

(١) في (م): رفعها الروح أي الملك إلىٰ العقل.

(٢) في (م): وهو ثم الروح ثم رفعها الروح.

(٣) في (م): لكن.

(٤) في (م): وهو.

(٥) في (م): يشعر.

(٦) في (م): الروح استدعاها فتعاصت عليه ولم يدر سبب تعاصيها، فسأل.. فقال له الوزير.

ومساعيك شاقة كريهة، وقد أعجبها فاستهواها. فحينئذ عظم الأمر علىٰ هذا الملك وهي الروح فلم تر مغيثًا ولا ناصرًا إلا الرجوع إلىٰ ربها ومالكها الحق الذي استخلفها، وهو الله تعالىٰ اسمه لينصرها، وهذه حكمة خلق هذا الثائر؛ فإن الروح مخلوق في غاية الطهارة والمعرفة والكمال فلو تركت نفسها لكانت ربما دخلها طيغان وغفلة عن مالكها الحق وجهلت بأقدار النعم فابتلاها الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الثائر الغشوم لتعرف عجز نفسها وعظيم افتقارها إلىٰ مولاها تعالىٰ ولترجع إليه وتتعرف كفايته وحمايته وعنايته بها، فإذا رجعت إلىٰ مولاها في شأن هذه الناشزة الخائنة كفاها تعالىٰ بفضله أمرها، وناب عنها فيها فخاطبها تعالىٰ فقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[١]، وفي هذا الخطاب متسع لفهوم أهل الإشارات ولا غرض لنا في التعرّض لذلك، فإذا سمعت نداء الحق أجابت وأذعنت؛ لأنها وغيرها في قبضته تعالىٰ فدخلت تحت سلطان الروح وجرت حركاتها علىٰ إشارته وبرئت من الهوىٰ، ثم كلما هم هذا الثائر بالاستيلاء علىٰ المملكة نهض الوزير يريد دفعه ولا تزال الحرب بينهما؛ لأن كلاً منهما يريد أن يكون تصرف المملكة علىٰ يديه لما يرىٰ من أن ما ينحو إليه هو صلاحها وفوزها، غير أن الروح مجتهد مصيب، والهوىٰ مخطئ ضال؛ فإن كان الوزير متيقظًا كامل التمييز متحفظًا موفقًا قام بحراسة المملكة وسد كل ثلمة يخاف منها العدو ونصب فيها قاضي العدل ومفتي العلم وسور الورع إلىٰ غير ذلك فقوىٰ الملك واستقامت السياسة، وإن كان الوزير ناقصًا غافلاً أخلد إلىٰ الدعة والنوم وجعل يغتر ويحسب كل بيضاء شحمة[٢] فلا يشعر إلا والهوىٰ الثائر وجنوده قد أحدقوا بالمدينة ثم لا يشعر إلا وهم دخلوها من كل باب، فإذا هو به أسير، وإذا بالملك وهو الروح مقبوضًا

---

(١) سورة الفجر: ٢٧ – ٣٠.

(٢) تمامه: «ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء تمرة» مجمع الأمثال: ٣/ ٢٧٥.

عليه مسجونًا، وإذا بالعمال وأرباب الجبايات من السمع والبصر والفكر ونحوها مذعنة للهوىٰ داخلة تحت سلطانه تتصرف علىٰ إشارته. نسأل الله تعالىٰ العصمة من كل وصمة، وعند ذلك ترىٰ المرء يقني الخير ولا يفعله لكون الروح مسجونة تتمنىٰ أن تتصرف في المملكة ولا تستطيع فإن سبقت له من الله تعالىٰ عناية رجع إليه بالتضرع وغاية الاضطرار فتأتيه النصرة من ربه القوي المتين فلا يشعر الثوّار إلا وقد أصبحت عليهم الجنود الربانية ﴿نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٌ قَرِيبٌۗ﴾[1] فاجتاحوهم وأخرجوا الروح من سجنها وأجلسوها علىٰ كرسيها تأمر وتنهي، وعند ذلك ترىٰ المرء يبيت عاصيًا متهتكًا، ويصبح تائبًا مخلصًا: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[2].

فائدتان:

الأولىٰ: اعلم أنه جرىٰ في هذا الكلام ذكر الروح، والنفس، والعقل، وليست بمعانٍ متباينة، وإنما هي شيء واحد اختلف بالاعتبار، وتعدد بتعدد الصفات. والمعنىٰ بالجميع في الجملة هي اللطيفة المدركة المودعة في الإنسان وهي التي يميز بها الإنسان عن الحيوانات العجماوات، ويقال لها في لسان الحكيم: النفس الناطقة وليست هي الحياة المصححة للحس والحركة؛ لأن الحياة لجميع الحيوانات فهي قوة زائدة في الإنسان، وليست هي أيضًا مجرّد الإلهام الوهمي والخيالي المتعلق بالجزئيات؛ فإن هذا أيضًا موجود لغير الإنسان وبه نفرت الشاة من الذئب، وميز[3] الحمار معلفه، وإنما هي قوة عنها يكون التمييز بين الحقائق الكليات، غير أنها من حيث التعلق بالمدارك كائنة ما كانت تسمىٰ

---

(١) سورة الصف: ١٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٠.

(٣) في (م): فميز.

عقلاً، ومن حيث الجنوح إلىٰ القذرات تسمىٰ نفسًا، ومن حيث الجنوح إلىٰ الصفاء والقدس تسمىٰ روحًا.

وقال الإمام الساحلي رضي الله تعالىٰ عنه في بغيته[1]: قد يجري لنا أثناء كلامنا في هذا المجموع ذكر النفس والقلب والروح والسر، فقد يظن الظان أن اختلاف هذه الأسامي لاختلاف مسمياتها، ولست أريد بها إلا مسمىٰ واحدًا واختلفت أساميه لاختلاف صفاته وهو الروح الجوهر اللطيف الصافي الشريف الذاكر العارف مهبط الأنوار الإلهية الصادر من أمر الله تعالىٰ، فمتىٰ دام مائلاً إلىٰ جنبة النقص في أغلب الأحوال أعبر عنه بالنفس، ولا يزال مع قيامه بوظائف مقام الإسلام تضعف فيه جنبة النقص وتقوىٰ فيه جنبة الكمال حتىٰ إذا تخلص من مقام الإسلام تساوت عنده الجنبتان فيتقلب عندهما؛ فعند ذلك أعبر عنه بالقلب ولا يزال مع قيامه بوظائف مقام الإيمان اتحدت فيه جنبة الكمال، لكن يبقىٰ معها أثر من ذلك النقص، كما يبقىٰ أثر الجراحات بعد البرء؛ فعند ذلك أعبر عنه بالروح ولا يزال مع قيامه بوظائف الإحسان حتىٰ تذهب تلك الآثار وتتخلص تصفيته؛ فعند ذلك أعبر عنه بالسر. اهـ.

وقد اعتبر هو القلب ونحن اعتبرنا العقل وكل صحيح في محله باعتباره، والله تعالىٰ أعلم.

---

(١) الإمام الساحلي: محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم المالقي الساحلي، الأنصاري الأندلسي، أبو عبد الله، الزاهد، المتصوف، أحد علماء القرن الثامن الهجري، المتوفىٰ عام ٧٥٣هـ، وله الكثير من المصنفات، وأشهرها «بغية السالك في أشرف المسالك»، وهو من أمهات الكتب التي ألفت بقصد تجسيد اللحمة بين علمي الظاهر والباطن، وذلك من خلال منهج تربوي صوفي ويحرص الحرص الشديد علىٰ أن يكون السالك المريد ملتزمًا في كل أحواله بظاهر الشرع، وكذلك صحح فيه الإمام الساحلي المفاهيم الخاطئة حول التصوف الحقيقي والسلوكي. معجم الأعلام: ٧٨١.

(الفائدة الثانية): أنه قد جرىٰ أيضًا في الكلام ذكر المدد الملكي والشيطاني، فاعلم أنه قد أيد الله تعالىٰ العقل بالملك، وأيد النفس بالشيطان، ومن غلب كان الحكم له كما سبق في مشيئة الله تعالىٰ، ويسمىٰ ألقاء الملك في القلب إلهامًا، وألقاء الشيطان وسوسة. وهما خاطران يتواردان الأول بالخير، والثاني بالشر.

وجميع الخواطر أربعة:

رباني: وهو ما يرد من الله تعالىٰ علىٰ القلب كفاحًا.

وملكي: وهو ما يرد من الله تعالىٰ علىٰ يد الملك.

وشيطاني: وهو ما يرد من تلقاء الشيطان.

ونفساني: وهو ما يخطر من جهة النفس.

والأولان نافعان، والأخيران مضرّان.

في الجملة والكلام فيهما علىٰ التحقيق يخرجنا عن الغرض، ثم قال:

وأعد إعدادًا ليومٍ هائلٍ وصحيفة سطرت وعرض مرصدِ

أعد الشيء: هيأه لوقت الحاجة الأعداد بفتح الهمزة جمع عِد بكسر العين وهو القرن والند أيضًا. واليوم الهائل: يوم القيامة؛ لأنه يهول الناس. والصحيفة: ما يكتب فيها. والمسطورة: المكتوبة والمراد بها هنا صحيفة الحفظة علىٰ الإنسان من حسنات أو سيئات. والعرض مصدر وهو العرض بين يدي الله تعالىٰ يوم القيامة. والمرصد: المعد.

ومعنىٰ البيت: أن الإنسان إذا دفع جنود الهوىٰ وغلبهم فحينئذ تستقيم حالته فيعد الزاد ليوم القيامة ويسعىٰ في الطاعة واكتساب الحسنات ليأخذ صحيفته بيمينه ولينجو عند العرض الذي أعد الله له، فجعل ما يلقىٰ به ربه وميزانه من الأعمال الصالحة كأنها أقران تعد للقاء وتدخر ليوم الكفاح، ويجوز أن يكون

جمع عدد، أي أعداد من الحسنات يثقل بها الميزان، ثم قال:

يوم يشيب به الوليدُ ويستوي فيه المسودُ من الورىٰ بمسوّدِ

المسود: هو المغلوب. والمسوّد: هو المشرف، تقول: ساد فلان قومه إذا فاقهم فهو سيد وهم مسودون، وسوّده قومه عليهم فهو مسوّد. أي يوم يشيب فيه الصبي إما لطوله، وإما لهوله، ويستوي فيه الشريف والوضيع إلا من أكرمه الله تعالىٰ، ثم قال:

ويداس هادي كل مارٍ ماردٍ من تحت أخمص كل ألكنِ ألكدِ

الدوس: الوطء بالرجل. والهادي: العنق. والماري: الجاحد يقال: مراه حقه إذا جحده. والمارد: العاتي البالغ الغاية في العتوّ. والأخمص: باطن القدم. الألكن: من لا يبين منطقه. الألكد: اللئيم الملصق بالقوم.

أي: يوم توطأ رقاب الجبابرة الظلمة بأقدام الضعفاء وهو إشارة إلىٰ ما ورد من أن الجبابرة يكونون كالذر فيوطئون[1]، ثم قال:

ويوّد أن لو كان في العجماءِ من ما ليس موعود أو ليس بموعدِ

اليوم يمرحُ بالمراحِ ويرتعي وغدًا يصيرُ إلىٰ الترابِ الرمدِ

العجماء: غير الإنسان من الحيوانات. والوعد: في الخير، والإيعاد في الشر، وهما مخصوصان بالمكلفين. والمرح: الأشر والبطر. والمراح: موضع بيت الشاء مثلاً. والارتعاء: افتعال من الرعي. والرمدد: علىٰ وزن زبرج الدقيق من التراب جدًا.

(١) الحديث بسنن الترمذي برقم ٢٤٩٢، ومسند أحمد بإسناد حسن: ٢/ ٢٧٨ برواية أخرىٰ، وهي: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال».

والمعنىٰ: أن الإنسان في ذلك اليوم إذا عاين العذاب ورأىٰ البهائم قد صيرت ترابًا فنجت، يتمنىٰ أن لو كان بهيمة في الدنيا لا يتعلق به خطاب، ولا وعد بالجنة ولا وعيد بالنار، يرعىٰ اليوم في الدنيا الأعشاب ويلعب بالمراح وغدًا يرجع إلىٰ التراب ويسلم من العذاب، ثم قال:

يوم يهابُ له بعمَّارِ الثرىٰ وتساقُ عنفًا كالوسينِ المطردِ
ونجيب مُهطعة نداء مسيطر بالحقِّ من كتب سميع فُدفُدِ

يقال: هاب الراعي بغنمه إذا صاح بها لتجتمع أو ترجع. وعمَّار الثرىٰ: عمَّار المقابر أو عمَّار الأرض. والعنف: ضد الرفق. والوسين: من الإبل ما جمع في الغارة مثلاً. والمطرد: المأمور بطرده يقال: طردت الإبل إذا سقتها وجمعتها[1] من نواحيها، وأطردت الشيء أمرت بطرده. والمهطع: المسرع. والمسيطر: المتسلط. والكتب: القرب. والسميع: المسمع، كما قال عمرو بن [معد يكرب في][2] ريحانة[3]، الداعي: السميع. والفدفد: كهدهد الصيت الجافي الكلام.

---

(١) في (م): ساقها أو جمعها.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) بالأصل: عمرو بن ريحانة. والمقصود بعمرو: عمرو بن معد يكرب وستأتي ترجمته لاحقًا. وريحانة بنت معد يكرب أخت عمرو، وهي أم دريد بن الصمة، كان الصمة غزا بني زبيد فسباها فغزا عمرو مرارًا فلم يقدر علىٰ أن يطلقها، وللأصفهاني في ريحانة روايتان.. إحداهما: إنها أخته، وقيل لما سباها الصمة تبعه عمرو وعبدالله، ثم رجع عبد الله، ولم يستطع عمرو وأخذ يناشده أن يطلقها فلم يفعل، فلما يئس منه ولي، وهي تناديه بأعلىٰ صوتها يا عمرو!! فقال قصيدته المشهورة:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع
سباها الصمة الجشمي غصبا كأن بياض غرتها صديع

وهناك رواية أن ريحانة امرأته المطلقة. انظر الأغاني: ١٥/ ٢٠٨-٢٢٩، وسمط اللآلي: ١/ ٦٣. وسرح العيون: ٢٧١.

أي يوم يصاح له أي لأجله أو إليه بمن كان في المقابر أو بمن كان في الدنيا ويساقون إليه عنفًا كالإبل الموسقة ويجيبون نداء الملك يوم ينادي من مكان قريب مسرعين إليه، وقوله بالحق احتراس، أي أن الملك، وإن تسلط فهو بحق لا جور، والحق أيضًا من أسمائه تعالىٰ ففيه تورية، ثم قال:

ويــذادُ مـن بين الـوفـودِ معاشرٌ   نفي الـزيـوف من النضارِ الجيّدِ
ويـرىٰ المسيءُ به مـجـازاة الألىٰ   عـمـلـوا فـيـقـرعُ سنـه مـن معبدِ

الذود: الطرد. الزيوف هنا الزائفة من الدراهم وهي المردودة لغشها. النضار: الذهب أو الفضة. قرع السن نقرها ويكون عند الندم. المعبد: مفعل من قولك عَبِدَ الرجل بالكسر عبدًا إذا ندم.

أي يوم يطرد فيه عن الحوض أقوام من بين الوفود الواردين علىٰ الحوض كما ترمي الزيوف من بين الجيد، وهم الذين بدلوا وغيروا، فيقول النبي (ﷺ): «سحقًا سحقًا»، وهذا في حديث الحوض[1]. ويرىٰ في هذا اليوم أيضًا المسيء في الدنيا ما يعطاه العاملون من الثواب فيقرع سنه ندمًا، ثم قال:

والـنـاسُ بـيـن مـفـضّـلٍ ومجللٍ   عـفـوًا وشـلـوًا في الجحيمِ مهرّد

الشِلو: بالكسر العضو والجسد كله. والمهرّد: المنضج تقول: هردت اللحم هردا وهرّدته تهريدًا إذا أنعمت نضجه.

أي الناس في ذلك اليوم ثلاثة أصناف:

* صنف فضلهم الله تعالىٰ وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الحوض برقم ٧٠٥١، ومسلم كتاب الفضائل برقم ٢٢٩٠، وهو بمشكاة المصابيح برقم: ٥٥٧١ (باب الحوض والشفاعة) وهو حديث متفق عليه.

* وصنف جلَّلهم الله، أي غطَّاهم بعفوه فغفر لهم من المؤمنين.

* وصنف تنضجهم النار وهم الفجَّار، نسأل الله تعالىٰ العافية، ثم قال:

والبِرُّ يغمرُ كل برٍ مخبت والحزنُ يغشىٰ كل حزنٍ سُجدِدِ

البر: بكسر الباء الخير. والغمر: التغطية غمره الماء وغمره العطاء. والبر بفتح الباء المطيع. والمخبت: الخاشع الخاضع. والحزن بالضم: ضد الفرح، والحزن بالفتح: الصعب. والسُجدد: كقنفذ الشديد المارد.

أي الخير في ذلك اليوم يعم كل مطيع لله تعالىٰ خاشع له، والحزن والغم يغشىٰ كل عاص ممتنع عن الشريعة متمرّد علىٰ الأمر والنهي، ثم قال:

ولحفرةٍ يدلىٰ إليها عاريا من كلِّ شيءٍ غير سعي معتدِ

ومقاولاً من لا يقاوم غلظة ومهابة وأذىٰ وليس بمعتدِ

الحفرة: القبر. وإدلاء الميت إليها إنزاله فيها كالدلو في البئر. المعتد: المعد، يقال: اعتد الشيء اعتدادًا، المعتد في القافية الثانية من الاعتداء المجرور أوّل البيتين عطف علىٰ قوله ليوم هائل: أي وأعد الزاد لحفرة سينزل إليها حال كونه عاريًا من ماله وجاهه وعشيرته وأنصاره، ومن كل شيء إلا من السعي أي العمل الذي أعده صالحًا أو سيئًا وحال كونه عند نزوله في القبر مقاولاً، أي مخاطبًا للملك الفتان الذي لا يستطيع بشر أن يقاومه من غلظته ومهابته وإذايته، مع أنه غير معتد ولا ظالم لأحد، بل بإذن ربه عَزَّوَجَلَّ ، ثم قال:

وليومِ بَيْنٍ وانتباذٍ بالعرا بفجئ مستقضٍ عليه مهكّدِ

وتململٍ وتضاءلٍ وتقصّفٍ رغمًا له ولرهطهِ والعوّدِ

عن وائلٍ راثٍ ووالٍ رائثٍ وحزينة ثكلىٰ وجذلان عدي

وفـراق أوطـانٍ وإخـوان الهوىٰ ونفائس وحلـول بطن الجلجدِ

يوم البين: هو يوم الموت؛ لأن الروح تبين من الجسد. والانتباذ: افتعال من النبذ وهو الرمي تقول: نبذته فانتبذ. والعراء في الأصل الأرض العارية التي لا شجر فيها ولا نبات، والمراد هنا المقابر؛ لأنها تكون في ذلك غالبًا. والفجئ: الفاجي وهو الآتي بغتة. والسمتقضي: الطالب لقضاء الدين. المهكد: المشدد في التقاضي. التململ: التقلب، وتململ الرجل في فراشه تقلب لمرض أو هم. التضاءل: التصاغر والشيء الضئيل الصغير الدقيق، وتضاءل تصاغر أو أخفىٰ شخصه. والتقصف: التكسر، والقصف الكسر. والوائل: الراجع. وأل إليه: رجع، والمراد هنا من يرجع إليك بصداقة أو خدمة. ورثىٰ له: رحمه ورق له فهو راث. والوالي: القريب. والرائث: المبطئ، راث الشيء يريث أبطأ به. والثكلىٰ: الفاقدة ولدًا. والجذلان: الفرح. والعدي: المبغض، يقال: عدي له بالكسر أبغضه. والنفائس: جمع نفيسة، ونفيس المتاع: أجوده. والجلجد: الأرض الصلبة.

والمعنىٰ: أنه يعد أيضًا الزاد ليوم البين، أي يوم الموت يوم يرتمي خارج البلد مدفونًا في المقابر، وهو اليوم الذي يأتيه صاحب الدين المشدد في التقاضي، وهو ملك الموت؛ فإن الروح كأنها دين عند الإنسان يؤدّيه إذا حلَّ الأجل ولا يأتي إلا فجأة، وذلك اليوم أيضًا يوم تململ[1]، أي تقلب في الفراش وتضاءل، أي تصاغر من عظيم ما حلَّ وتكسر فإنه عند نزع الروح تكون الأعضاء كأنها كلها تقصف، ولا سيما الصدر عند الحشرجة، وذلك كله يكون رغمًا لأنف الميت، ورغمًا لرهطه ولمن يعوده فإنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا يستطيعون، ويكون بينه عن أصناف من الناس منهم الصديق الذي يؤل إليه بمخالة أو إحسان وهو يرثي

---

(١) في (م): تملل.

له ويرق أو يرثيه أي يبكيه بالشعر وذكر محاسنه، ومنهم الوالي أي القريب الوارث وهو يكون قد أبطأ عن أخذ الميراث بموته فهو يتربص به الموت، ومنهم[1] الحزينة الثكلىٰ كأمه، ومنهم منافسه ومناوئه فهو فرح بموته؛ لأنه مبغض له وقديمًا قيل:

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور[2]

وهو أيضًا يوم فراق وطنه وخليله ونفائسه المدخرة ونزول بطن الأرض، ثم قال:

يـا غـمـة لـنـفـوسِـنـا مـن فـرقـةٍ أبـديـةٍ لـلـمـألـفِ الـمـتـعـوّدِ
إن الـفـراقَ يـشـوقُـنـا ويـروعُـنـا في هـذه الـدنـيـا فـكـيـف بـأبـعـدِ

الغمة والغم: الكرب. الشوق: نزوع النفس وحركة الهوىٰ، شاقه الشيء: هاجه.

أي: ما أشد الغم علىٰ نفوسنا من الفرقة الأبدية التي لا رجوع عنها، وذلك بالموت إذ لا رجوع إلىٰ الدنيا أبدًا، والدنيا هي المألف المتعوّد، أي الشيء الذي ألفناه وتعوّدناه، والآخرة لم تألفها النفوس ولم تعتدها؛ فلذا كانت مشقتها أعظم المشقات وكربتها أشد الكربات، فإن الفراق يشوقنا ويفزعنا في هذه الدنيا مع قرب المسافة وانتظار الأوبة وكون المفارق منفصلاً فكيف بفراق الروح وبينونته عن الجسم بينونة عن الدنيا والمألوفات لا آخر لها وإضافة ذلك كله إلىٰ النفس لكونها هي الآلفة للدنيا وزهراتها وهي المتألمة بفراقها، مع أن الروح أيضًا تتألم بفراق الجار وما يتوقع من هول ذلك المطلع في تلك الدار، فلذا عظم

(١) في (م): هي.
(٢) البيت من بحر البسيط.
وهو لجبلة العذري عبد المسيح بن بقيلة الغساني، وهو بالحماسة البصرية: ٢/ ٤٠٢.

أمر الموت، ثم قال:

والنفسُ آلفةٌ تـذوبُ علىٰ النوىٰ ذوبَ اللُّجين علىٰ لهيبِ الموقدِ

اللجين بضم اللام: الفضة. والموقد بفتح الميم: موضع اشتعال النار، وبضم الميم مشعلها.

أي: النفس ألوفة[1] بالطبع فالفراق يذيبها كما يذيب الفضة لهيب النار في الموقد أو اللهيب الذي يؤججه الموقد للنار، وهذا تخلص لذكر الترحل والسفر، ثم قال:

ولـقـد رأتْ هِـنـدٌ وكـانـت غِـرّة من قبـلِ أن نـوىٰ الأحـبـةُ في غدِ
فتوسَّدتْ شـوكَ القتادِ وأبطنتْ جمرَ الغضا وتململتْ في المرقدِ

الغِرّة: بكسر الغين التي لا تجربة لها. والقتاد شجر له شوك كالإبر يضرب بخرطه المثل في الأمر الصعب. والغضا: شجر عظام جمره أشد الجمر وأبقاه.

أي: ولقد رأت هند، أي ظهر لها أن نوىٰ الأحبة في غد، وكانت قبل ذلك غرة لم تر صروف الدهر ولا ذاقت مرارات الفراق، فلما رأت ذلك جعلت تتململ[2] في مرقدها، أي تتقلب حزنًا وغمًّا كأنها توسدت الشوك وأبطنت الجمر، فما يدعها أن تنام، ثم قال:

وتـوسّـنَ الـوجـدُ العميدُ شغافَها فـاسـتـعـلـنـتْ بـتـلـهـفٍ وتـوجّـدِ

توسنه: أتاه عند الوسن. الوجد: الحزن. والعميد: العامد، أي المضني، يقال: عمده إذا أضناه. والشغاف: داخل القلب وشغف الرجل فهو مشغوف.

---

(١) في (م): ألوف.
(٢) في (م): تململ.

واستعلنت: أعلنت. والتلهف: هو التحسر. والتوجد[1] هو التشكي، يقال: توجد السهر إذا شكاه. وأطلقه علىٰ التنفس الصعدا وأصله نهود الثدي، أي ارتفاعه ونهود الرجل إلىٰ الأمر أي نهوضه.

أي: جاء الوجد إلىٰ المذكورة مع اليأس فجعلت تتلهف ألم الفراق وتعلن إذا غلبها ما تجد، ثم قال:

ورنــتْ بمقلةِ مطفلٍ محروبةٍ   خلفَ القنوصِ لما لها من فرقدِ

رنت: نظرت فأدامت. والمقلة: شحمة العين، وقيل: هي السواد والبياض، وقيل: هي الحدقة وهو المراد. والمطفل: من البقر ما لها ولد. والمحروبة: المسلوبة ولدها. والقنوص: هو القانص. والفرقد: ولد البقرة.

أي: نظرت المذكورة بمقلة كأنها مقلة البقرة الوحشية ذات الولد إلىٰ القانص لولدها الذي ليس لها غيره، وفي تلك الحالة تظهر سعة العين مع الكآبة والحزن، ثم قال:

وتصوّبتْ عبراتُها وتصعدتْ   زفراتُها تشدُّ وبقولةِ منشدِ

لا مرحبًا بغدًا ولا أهلًا به   والدمعُ يكحلها مكان الأثمدِ

التصوّب: النزول من فوق إلىٰ أسفل. والعبرات: الدموع. والتصعد: التعلي. والزفرة: إخراج النفس بعد مدة فعل المهموم. وشدا يشدو: رفع صوته بالشعر.

أي: جعلت دموع هذه المذكورة تنزل وزفراتها تعلو وهي تغني بقول المنشد وهو النابغة:

لا مرحبًا بغد ولا أهلًا به[2]

---

(١) في (ط): التنهد.

(٢) البيت من بحر الكامل، وهو بديوانه: ٦٨ وتمامه:

لا مرحبًا بغد ولا أهلاً به   إن كان تفريق الأحبة في غد

والدمع في ذلك يكحلها، أي يملأ عينيها بدل الأثمد: وهو الحجر الذي يكتحل به، ثم قال:

ويطلُّ روضة وجنتيها والحيا في الروضِ ينبتُ كلَّ زهرٍ أغيدِ

طُلَّت: الأرض بالضم وطلها الندىٰ فهي مطلولة. والطلُّ: أضعف المطر. الحيا بالقصر: المطر، وبالمد معروف. والأغيد: من النبات الناعم المتثنىٰ.

أي: جعل الدمع يقطر علىٰ وجنتها كأنه الطل وكأن الوجنة الروضة من بهائها ونضرتها، والحيا، أي المطر متىٰ نزل في الروض أنبت فيه كل زهر ناعم، وكذا وجنتها الآن تتلوّن كأن فيها أزهارًا أحمر وأصفر كما سيبينه بعد.

ويجوز أن يراد بالحياء الممدود، بالروض الوجنة المعهودة فهو تورية، ثم قال:

فَرِقتْ فأنبتتْ البهار منوّرا وعذلتها فصبغته بتورُّدِ

فرقت: بكسر الراء فزعت. والبهار: نبت قال في الصحاح: هو العرار الذي يقال له: عين البقر، وهو بهار البر وهو نبت جعد له نفاخة صفراء ينبت أيام الربيع.اهـ. نوّر النبت تنويرًا: خرج نوره. والعذل: اللوم. وردت الشجرة توريدًا نوّرت. ووردت المرأة: حمرت خدها فنوّر الخد.

أي: جزعت هذه المرأة وخافت من الفراق فاصفرّ[٣] خدها فكأنها أنبتت فيه البهار عندما تفتح نوره الأصفر وعذلتها علىٰ ذلك الجزع فخجلت من كلامي فاحمرّ[٤] خدها فكأن ذلك الأحمر قد صبغ أحمر، أو كأن البهار صار وردًا، ثم قال:

---

(٣) في (م): فاصفار.

(٤) في (م): فاحمار.

وتبيتُ تلسنني الملام لعلها   تثني عناني أو تمسكُ مقودي

يقال: لسن زيد عمرًا إذا تسلط عليه بلسانه، وألسنه أيضًا غلبه في الملاسنة ولسنته العقرب: لدغته. وثنىٰ عنان الدابة: مرّ بها إلىٰ ناحية أخرىٰ. المقود: ما تقاد به الدابة.

أي: تبيت هذه المرأة تأخذني بلسانها ملامًا أو تلدغني لدغ العقرب علىٰ ما أروم من البين والرحلة لعلها تصرفني عن رأيي إلىٰ رأيها أو تجعل زمامي بيدها فأطيعها، ثم قال:

وتظنُّ تفتلُ باللحاءِ ذوائبي   وتلين مني متن رمحٍ عصلدِ

اللحاء: اللوم لحاه يلحوه. والذؤابة: ذؤابة الشعر. ومتن الرمح: عوده. والعصلد: الشديد الصعب.

أي: تظن هذه المرأة أنها ستفتل ذؤابتي، أي تتمكن مني كما يتمكن[1] الرجل من الدابة إذا أخذ بناصيتها، ومن الإنسان إذا أخذ بشعر رأسه وتخدعني كما يخدع الممسوح عليه من بعير أو دابة، وفي المثل ما زال يفتل منه في الذروة والغارب حتىٰ فعل، وتظن أيضًا أن تصرف رأيي وتوهن عزمي وتعطف قناتي ولم تدر أنها صلبة لا تنثني، ثم قال:

وتخالُ تمحضني النصيحةَ برة   والنصحُ آونة مقالة مؤتدِ

تخال: تظن. ومحضته النصح: أخلصته له. والبرة: ضد الفاجرة. والآونة: جمع أوان وهو الوقت من الزمان. والمؤتد: مفتعل من قولك أدوت له وأديت إذا ختلته.

---

(١) في (م): تستمكن مني كما يستمكن الرجل من الدابة.

أي: تظن أنها بعذلها تمحض النصيحة محسنة، أي صادقة والنصح أحيانًا كلام ختال مخادع، ثم قال:

فتسرّ حسوًا في ارتغاءٍ تارةً وتقولُ أخرىٰ خامري وتلبدي

الإسرار: ضد الجهر. والحسو: حسو اللبن والماء مثلاً، وارتغىٰ اللبن أخذ رغوته فكان الرجل إذا أراد أن يحسو اللبن، ولا يُفْطَن له أرىٰ الناس أنه يرتغي أي يزيل الرغوة من فوق فيضرب ذلك مثلاً لمن يظهر الإحسان أو الإعانة أو الإصلاح وهو يريد الغائلة أو الحاجة، فيقال: «**يسر حسوا في ارتغاء**»[1]، ويقال: «**خامري أم عامر**»[2] وهو الضبع ومعنىٰ خامري: تستري. والتبلد الانكماش إلىٰ الأرض، والعرب تقول ذلك للضبع عند اصطيادها فضرب مثلاً لمن يخادع.

أي أن هذه المرأة في الظاهر تخب في النصيحة وتضع، وفي الحقيقة تخدع وتمكر، ثم قال:

كُفِّي خبالكِ لا أبا لكِ إنني عوص المرامِ علىٰ نبالِ المفندِ

الكف: الصرف والمنع. والخبال: النقصان في العقل أو غيره، ويقال: لا أبا لك وهو لفظ خبر، ومعناه الدعاء. وعَوِص الأمر: بالكسر اشتد، وعَوِص الكلام صعب. وأفنده: كذبه وخطاه.

أي: قلت لها: كفىٰ عني ما تأمرين منا هو ناشئ عن خبال عقلك ونقصان ميزك فإني عوص، أي صعب المرمىٰ، فمن رام تخطيتي وتعجيزي وجدني صعبًا لا تصل إلىٰ نبال قوله وعذله، ثم قال:

لا أرأم البوَّ النفوخ ولا أرىٰ وأبيك قعقعة الشنانِ مهيّدِ

---

(١) يقال: يُسرُّ حسوًا في ارتغاء ويرمي بأمثال القطا فؤاده. مجمع الأمثال: ٣/ ٥٢٥.

(٢) بزهر الأكم: ٢/ ٢٠٠، والمثلين: ٣/ ١٤٣، ومجمع الأمثال: ١/ ٤٢٢.

رئم فلان كذا بكسر الهمزة: أحبه، ورئمت الناقة ولدها مثلاً: عطفت عليه ولزمته. والبوّ هنا: جلد الحيوان يُسْلخ إذا مات فيحشىٰ بشيء كالتبن أو الثمام فيضرب من أمه لتعطف عليه فتدرّ. والنفوخ: المنفوخ، والشنان بالكسر: جمع شن وهي القربة البالية. والقعقعة: حكاية صوتها. والتهييد: التحريك والإفراغ وكان اللص من العرب إذا أراد أن يختلس من إبل أحد أتىٰ بشنة فعلقها إلىٰ واحد من الإبل، بحيث تسقط فإذا سقطت نفرت الإبل من قعقعتها فتبعها أو بعضها، وذهب بها. قال النابغة:

كأنك من جمال أبي أقيس يقعقع بين رجليها بشن[1]

فيقال: فلان «لا يقعقع له بالشنان»[2]، أي لا يخضع لحوادث الدهر ولا يروعه ما لا حقيقة له.

ومعنىٰ البيت: أني لا أكون بترهاتك معروفًا كالناقة تخدع بالبوّ فتعطي لبنها ولا أرجع بتهييدك كالإبل يرمىٰ الشن بين أرجلها. ولفظ مهيد إما اسم فاعل خبر عن قعقعة؛ لأنه بمعنىٰ متحرك أو اسم مصدر، أي التهييد مبالغة، ثم قال:

وافني حياءك إنني أنف اللفا أمما وأرمي للجليل الأقمدِ
وأحث بين مهجرٍ ومعرسٍ عنسىٰ وبين مصوّبٍ ومصعّدِ
فإن انثنت بالغنم فهي حريةٌ أو أخفقتْ يومًا فلستُ بأوحدِ

يقال: فنا الحياء إذا لزمه. وانفت من الشيء ترفعت عنه. واللفا: الشيء

(١) البيت من بحر الوافر.
وهو بديوانه: ١٩٤ برواية: كأنك من جمال بني أقيش....
وجمال بني أقيش: جمال غير عتاق، تنفر من كل شيء.
(٢) انظر: مجمع الأمثال: ٣/ ٢٣٨.

الخسيس الحقير اليسير. والأمم: القرب. والجليل: العظيم. والأقمد: المتمنع. الحث على الشيء: التحضيض عليه. والتهجير: المشي في الهاجرة. والتعريس: النزول من آخر الليل للاستراحة. والتضويب: النزول. والتصعيد عكسه. والانثناء: الرجوع. والغنم: الغنيمة والظفر. والحري بالشيء: الحقيق به. والإخفاق: الرجوع بخيبة، يقال: غزوا فاخفقوا، أي لم يغنموا. لست في هذا الأمر بأوحد، أي لا أخص به.

والمعنىٰ: أنه يخاطب تلك المذكورة فيقول: أفني. أي: الزمي حياءك واسكتي ولا تشطيني عن مطالب المعالي فإني لا أرضىٰ بالدون، والنصيب الخسيس، ولو كان ينال عن قُرب بلا مشقة وأرمي بهمتي للحظ العظيم، ولو كان في غاية التمنع والإبانة عن الانقياد، ولا أزال أرتحل قلبًا وقالبًا حسًا ومعنىٰ مع المترحلين بالليل والنهار نازلين أو طالعين. وذلك كناية عن الجد في أي زمان وأي مكان فإن رجعت غنمي ظافرة غانمة فهي حقيقة بذلك؛ لأن الجد مع الصيد مظنة الظفر، وإن خافت فلي أسوة بغيري ومبلغ نفسي منجح، ثم قال:

ولقد تخذتُ وداعَ إخوان أخا   خلصًا وليتَ وفاءه لم يلكدِ
ومقتُ وصلهمُ فأعرضَ جافيا   أبدًا علي وليته لم يأبدِ

تخذت الشيء: واتخذته بمعنىٰ. والخِلص بكسر الخاء: الخالص. واللكد: اللزوم هنا وأصله قولهم لكد عليه الوسخ بكسر الكاف، أي لصق. ومقت الشيء بكسر الميم: أمقه مقة أحببته. وأبد بكسر الباء أبدًا: غضب.

أي: جعلت وداع الإخوان وفراقهم أخًا خالصًا وافيًا لا يغدر ولا يفارق وليته فارقني وغدرني وأحببت وصلهم فلم يحبني، بل أعرض عني وجفاني وغضب علي واستوحش مني ولم يألفني. وهذا كله مجاز، والمراد الإخبار بكثرة الترحال والانتقال، وفي ذلك كثرة التوديع والفراق وقلة الوصل وعدم

دوام التلاق، وفي جعل الوداع لكدًا إشارة إلىٰ تكرهه كالوسخ، ثم قال:

كم بلدةٍ فارقتُها وأحبةٍ ودّعتُ عن ودّ صفا وتودّدِ

وأليف صدقٍ لم أبالِ فراقَه ونحيبه خلفَ المطايا الوخّدِ

ومضيتُ قدْمًا والأسىٰ وَقْد الجِذىٰ ففثأتُ فورتَه بفضلِ تجلّدِ

حتىٰ كأني ما وجدتُ بموقفي ألم النوىٰ وحسامها في الأكمدِ

والبينُ يعلمُ والصبابةُ ما أرىٰ منه وإن تسل المدامعَ تشهدِ

الودّ: الحب وتودّدت إلىٰ فلان أظهرت الحب له وتودّدته: اجتلبت ودّه. والنحيب: أشد البكاء. والوخد: جمع واخدة، أي مسرعة، تقول: وخدت الناقة فهي واخدة. ومضىٰ فلان قُدُمًا بضم القاف والدال لم يعرّج وسكنت في البيت تخفيفًا كعنق وعنق. والأسىٰ بفتح الهمزة: الحزن. والوقد: المتوقد. والجذىٰ: جمع جذوة من النار. وفثأه بالمثناة والمثلثة: كسره. والفورة: فعلة من فار الشيء يفور إذا هاج وفاض. والتجلد: تكلف الجلد، أي القوة.

أي: كم بلدة فارقتها طالبًا للمعالي، وارتحالاً فيما يكسب المراتب العوالي والذخائر الغوالي، وكم من أحباب ودّعتهم لذلك لا عن بغض ولا عن قلىٰ، بل عن ودّ صاف وتودّد كاف، وكم من أليف صدق، أي صحيح الألفة والمحبة لم يملني فراقه ولا بكاؤه خلف مطاياي، بل مضيت لوجهي فما ألويت عليه ولا التفت إليه والحزن عليه مع ذلك متوقد الجمرات، ولكن إذا فارت علىٰ نار الحزن كسرتها بتجلد وأخمدتها بصبر حتىٰ كأني ما وجدت في ذلك الموقف، - أي موقف الوداع والفراق - ألم النوىٰ ولا ذقت مرارتها التي هي كمرارة الحسام، أي السيف القاطع في الأكباد، وكان صورتي من قوة الصبر صورة من خلىٰ من الحب أو الجاحد الطبع، ولست كذلك فإن البين والصبابة الواقعة

لأجله يعلمان ما ألاقي منهما من الألم وأنت أيها الشاكي[١] لو سألت المدامع الجارية عند ذلك لشهدت لك شهادة بينة، ثم قال:

والصدقُ مني والوفاءُ سجيةٌ ... لأخي ولستُ بذي الودادِ المثمِدِ
إن راغَ ذو ودٍّ فلستُ برائغٍ ... أوجدّ حبل إخائه لم أجددِ
وإذا أعاقدُ لم تكنْ أُنشوطة ... عقدي ولا عُشَرًا على مستوقِدِ
وحفظتُ ظَهرَ الودِّ حيثُ نأتْ به ... دارٌ وأستبقي الثرىٰ بتعهّدِ

السجية: الطبيعة والخلق. أثمد الماء يثمده اتخذه ثمدًا، والثمد: هو الماء القليل أو الذي لا بقاء له يظهر في الشتاء، ويذهب في الصيف. وراغ روغانًا: تقلَّب. والجد: القطع. والأُنشوطة: بضم الهمزة عقدة يسهل انحلالها كعقد التكة مثلاً. والعُشَر: بضم العين وفتح الشين شجر عندهم معروف له صمغ حلو، يقال له: سكر العشر وله حراف يقدح فيه النار، وهو أجود شيء في ذلك. والمستوقد: موضع الإيقاد. والوِد بكسر الواو: الودود. والثرىٰ في الأرض ما يستخرج من باطن التراب يبقىٰ فيه الندىٰ، ويطلق علىٰ الودّ، كما قال الأول:

فلا توبسوا بيني وبينكم الثرىٰ ... فإن الذي بيني وبينكم ثمر[٢]

أي: لا تقطعوا المودّة كالتراب تحفره فيخرج إلىٰ الشمس فييبس. والتعهد: التفقد.

والمعنىٰ: أن ما ذكر من كثرة توديع الإخوان وفراقهم لم يكن عن سوء أخلاق

---

(١) في (م): شاك.

(٢) البيت من بحر الطويل.

وهو لجرير بالأمالي: ٩٤، وهو بنوادر المخطوطات: ١/ ١٦٨، وسمط اللآلي: ١/ ٢٩٣، برواية: «فإن الذي بيني وبينكم مثرىٰ».

وقلة وفاء وعدم ثبات فإن الصدق في القول وفي العقد والوفاء لإخواني سجية فيَّ لا تتحوّل، وهذا أبلغ من مجرّد الثبوت، وودّي لإخواني ليس ودًّا ضعيفًا ولا زائلاً كالثمد من الماء، بل قوي راسخ إن راغ ذو ود عني وانحرف فلست برائغ عنه أنا، وإن قطع حبل الإخاء لم أقطعه أنا، ومتىٰ عاقدت أحدًا علىٰ محبة أو أخوة كانت عقدتي محكمة ولم تكن نشوطة بأدنىٰ شيء تنحل وتفسد، ولا كالحراف يطرح علىٰ النار فيحترق بسرعة ويضمحل، فالمراد من العُشَر حرافها، ومن شأني أن أحفظ أخي بظهر الغيب، حيث بعدت داره وأستبقي المحبة بيني وبينه بالتفقد بالإحسان والمواصلة، ثم قال:

ولــــربَّ مـــذاقٍ أبـــان فـــراؤه ... طـولَ الليالي عـن ضَـبَـابٍ لبّدِ

فطردتُ سائمةَ الهوىٰ عن مرتعٍ ... مـن ودِّه مـسـتـوبـلٍ مـسـتـوبـدِ

وطـويـتُـه جنحا وإغـضـاء علىٰ ... بـلـلاتـه طـي الـسـقـاءِ المـنـفـدِ

إن الـزجـاجَ إذا تـنـاولـه الفتىٰ ... عـنفًا تـصـدّعَ صـدعـةً لـم تكلدِ

وإن ابتذىٰ أغضيتَ عن عورائِه ... مـا للكريمِ علىٰ الـبـذاءةِ مـن يدِ

المذق: شرب اللبن بالماء مثلاً، فاستعمل ذلك عند عدم صفاء المحبة، فيقال: مذق وده، أي لم يخلصه، وهو مذاق. وفر الدابة يفرها فراء وفرارًا مثلث الفاء: كشف عن أسنانها لينظر ما سنها. والضباب: جمع ضب وهو الحقد والغيظ. واللبد: جمع لابد مقيم لاصق. والسائمة: الراعية من الماشية. والأرض الوبيلة: الوخمة. واستوبلها لم توافقه فهي: مستوبلة. والمستوبد: السيئ الحال. يقال: رجل وَبْد ومستوبد، أي سيئ الحال. والوَبْد: في الأصل مصدر معناه ضيق العيش وسوء الحال، ويوصف به مبالغة، كما تقول رجل عدل. وطويت السقاء علي: بلته وبللته وبللاته، أي طويته حين نفد ماؤه علىٰ ما فيه من بقية بلل، وكانوا يطوونه كذلك لئلا يتكسر. والصدع: الكسر، والتصدع

الانكسار. والكلد: جمع الشيء بعضه إلىٰ بعض. والابتذاء: الافتعال من البذاءة وهي الفحش، يقال بَذُوَ الرجل بالضم بذاء وبذاءة[1]. والعوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة. واليد: القدرة والطاعة.

أي: رب امرئ يدَّعي المحبة وهو مذاق غير مخلص، فأظهرت منه التجربة بعد طول أنه ذو أحقاد وضغائن مستكنة في قلبه لا تبرح، ووصفها باللبود تخييل كأنها الضباب الحيوانية التي تلبد في حجرتها، فلما تبين ذلك من حاله رددت هواي ومحبتي عنه وصرفت قلبي عن محبته كما تصرف السائمة من المواشي عن المرعىٰ الوخيم السيئ لئلا يهلكها، ومع ذلك لم أعامله معاملة اللئام الفجار فلم أفضحه ولا تكشفت عن سوء حاله، بل قابلته بالحلم والإغضاء عن عيوبه وتركته علىٰ ما فيه وسايرته علىٰ ما ظهر منه من الوداد الممذوق حذرًا أن يضمحل كما يطوي السقاء علىٰ بقية البلل لئلا ينكسر، وما أسرع مثل هذا المذاق إلىٰ العداوة والشنئان لو عومل بالانقياد كالزجاج متىٰ لم يمسك برفق كان أسرع شيء إلىٰ الانصداع ولم يجبر أبدًا، وإن وقع منه بذاء أغضيت عنه إذ لا طاقة لي بمقابلته ومكافأته؛ فإن البذاء إنما يقابل بالبذاء، وليس ذلك من وصف الكريم، وإنما هو شأن كل فاحش لئيم كما قيل:

وأغفر عوراء الكريم ادّخاره وأُعرض عن شتم اللئيم تكرما[2]

واعلم أن ما وقع في هذه الأبيات وما يقع بعدها يعدّ من شبه الافتخار والتظاهر

(١) قال في اللسان: «وقد بَذُوَ الرجل يبذو بذاءً، وأصله بذاءة فحذفت الهاء لأن مصادر المضموم إنما هي بالهاء مثل خَطُبَ خَطابة، وصَلُب صلابة... وقال ابن بري: صوابه بذاوة، بالواو لأنه من بذو، فأما بذاءة بالهمز فإنها مصدر بَذُؤَ بالهمز، وهما لغتان.» لسان العرب: ٢/ ٤٦.

(٢) البيت من بحر الطويل.

وهو لحاتم الطائي، بالحماسة البصرية: ٢/ ٢٤٧، وبديوانه: ١٣٢.

برواية: واغفر .... وأصفح عن شتم اللئيم تكرما

بمحاسن الأخلاق والأفعال هو شيء مستباح في الشعر لا يُعاب فيه على أحد، ومجازه مجاز النسيب أصلاً وثمرة[١]، وفيه لطف ليس هذا محل بسطه، ثم قال:

ولقد حلبتُ الدهرَ شطريه وقد   مرّتْ عليَّ جميعُ أصنافِ الثُّدي

فعرفتُ ما لم تعرفي وسمعتُ ما   لم تسمعي وشهدتُ ما لم تشهدي

يقال: «**حلب فلان الدهر أشطره**»[٢] أو شطريه، أي نال خيره وشره، وأصله في الناقة لها خلفان قادمان وخلفان آخران، وكل خلفين شطر فلها شطران، وربما يحلب الشطر فإذا حلبهما معًا فقد استوفى. ودرت الناقة تدر: جاءت باللبن. والثدي: جمع ثدي، ونسب الدرور إليها؛ لأنها محل اللبن.

والمعنى: أني خبرت الزمان وعرفت ما شأنه[٣] ونلت مطايبه وعرفت مصائبه، فلا تعذليني يا هند فعندي من العلم ما ليس عندك، ثم قال:

وعلمتُ نظمَ الشملِ عزَّ مناله   إلا بشملٍ في البلادِ مبدّدِ

والجفنُ لم يكحل بنومٍ هادئٍ   إلا بنومٍ قبله لم يهتدِ

المبدد: المفرّق. والهادي: الساكن يقال: هدأ هدوًّا سكن، والاهتداء الافتعال منه.

أي: علمت أن انتظام الشمل للإنسان عزيز المنال ما لم يتسبب لذلك بتفريق الشمل بأن يغترب في الطلب، وبهذه الغربة التي يتشتت فيها شمله يحصل له من الكمال ما يكون به مستقيم الأمر صالح الحال فينتظم شمله بسبب تفرّقه، وكذا جفنه لا يكتحل بالنوم ويحصل له الاطمئنان إلا بعد أن يطير نومه في الجولان

---

(١) في (م): وثمرته.

(٢) المستقصى: ٢/ ٦٥، ومجمع الأمثال: ١/ ٣٤٧، وهو بالفوائد المحصورة: ٣٥٧.

(٣) في (م): ما شأن وزان.

والمجاهدات، ونسبة السكون إلىٰ النوم مجاز، ثم قال:

والبينُ عزٌّ للفتىٰ ومكانةٌ　　يوم المآبِ وحظوةٍ لم تعهدِ
فالعيدُ لو عمَّ الليالي ما احتظىٰ　　والغيمُ لو لم يصح لم يتفقد

المآب: الإياب وهو الرجوع. الحظوة: المنزلة، والحظ من الرزق.

أي: علمت البين عزًا، أي موجبًا لاعتزاز الفتىٰ، وينال به يوم المآب مكانة عند الناس لم تكن له قبل ذلك، إما لما اتصف به من الكمال واجتلب من الخير الذي اقتضىٰ تبجيله وتوقيره، وإما مجرّد ارتياح إليه لتوحشه كما هو العادة في ملاقاة الغائب، وعلىٰ هذا فالكلام مما خرج مخرج التمليح، أي لو لم يحصل للغائب إلا حظوته يوم القدوم لكان ذلك كافيًا في فضل السفر والرحلة، وضرب لما ذكر من الاعتزاز بالبين والاحتظاء بالغيبة مثلين: **أحدهما**: العيد فإنه لو عم الليالي بأن كانت كلها عيدًا لم تكن له منزلة فلما كان لا يأتي إلا مرة ومرتين حظىٰ. **الثاني**: الغيث لو دام لم يُطْلَب، ثم قال:

والنجحُ في دركِ المعالي والمنىٰ　　في ضمنِ إرقالِ المطايا الخفَّدِ
من كلِّ مسفنةِ اللبانِ شِمِلّة　　وجناء ناجيةٍ أمور ميخدِ
ترنو بناظرتي طريد فارد　　وتزفُّ لا غبة نجاء خفيددِ
[وكأن صاديها[١] حباب ساجمٌ[٢]　　في الروض أو مهزور غصن أخضدِ][٣]
وكأن كلكلها صدورُ بنيةٍ　　مسموكةٍ نحو السماءِ بقرمدِ

---

(١) صاديها: من الصدىٰ: وهو شدة العطش، والصدىٰ أيضًا: هو جسد الإنسان بعد موته، وهو الدماغ نفسه، وحشو الرأس، وهو موضع السمع من الرأس (لسان العرب: ٨/ ٢١٨).

(٢) في (ط): جاسم، وهو يتنافىٰ مع شرحه لاحقًا للبيت، إضافة إلىٰ عدم استقامة المعنىٰ.

(٣) البيت ساقط من (م).

تمطو بساعدِ مخسٍ ذي هجمةٍ نائي المحلةِ ماتح متجرّدِ
وكأنما أخفافها في لاحبٍ راحَ النوائح أو لوائح مِجْلَدِ

الإرقال: الإسراع. والخفد: جمع خافدة يقال: خفد خفدًا وخفدانًا إذا أسرع في مشيه. والمسفنة: الضامرة المجعول لها أسناف وهو حبل يشد في الحزام، ثم يقدم حتىٰ يكون في الصدر وهو اللبان، وإنما يفعلون ذلك إذا خمص بطن البعير فاضطرب الحزام فيه فيشدونه ليثبت الحزام في موضعه، ويقال لذلك الحبل: السِناف بكسر السين، وأسنفت الناقة: وهي مسنفة وسنفتها أيضًا شددته لها، ووصفها بذلك كناية عن دؤوب السفر عليها. والشملة: بكسرتين مشددة اللام السريعة. والوجناء: العظيمة الوجنتين. والناجية: السريعة. والأمور: الآمنة من العثار. والميخد: الكثيرة الوخد. والرنوّ: إدامة النظر إلىٰ شيء، رَنا يرنو. والناظرة: العين. والطريد: المطرود من الوحش مثلاً. والفارد: المنفرد. والزفيف: الإسراع. واللغوب: الاعياء. والنجاء: الإسراع والسبق تقول: نجا ينجو نجاء أسرع وسبق. والخفيدد: الظليم، والخفيدد أيضًا السريع الهادي العنق. والحباب: معظم الماء أو نفاخاته، كما مرَّ. الساجم: السائل، تقول: سجم الدمع سجوما إذا سال. ومهزور الغصن: إضافة صفة إلىٰ موصوف، أي غصن مهزور. والأخضد: المتثني من الغصن مثلاً. والكلكل: الصدر والصدور جمع صدر وهو مقدم الشيء. والبنية: المبنية كالصومعة والغرفة، ونحو ذلك. المسموكة: المرفوعة. والقرمد: معروف، ويقال: قُرمود بضم القاف أيضًا. والمطو: المدّ. والساعد: ساعد اليد وهو محل السوار. والمخس: الذي أورد إبله لخمس. والهجمة: من الإبل الأربعون فما فوق، وقيل من السبعين إلىٰ نحو المائة. والنائي: البعيد. محلة القوم: منزلهم. والماتح: المستقي وهو النازع للدلو من البئر ويتجرّد من ثيابه لذلك. والإخفاف للإبل: كالحوافر للخيل. واللاحب: الطريق الواضح. والراح: جمع راحة وهي الكف. والنوائح: جمع

نائحة. واللوائح: جمع لائح وهو ما يتراءىٰ إليك. والمجلد: علىٰ مثال منبر قطعة من جلد تمسكها النائحة تلدم بها وجهها.

ومعنىٰ **الأبيات السبعة**: أن النجح أي الظَفَر بالحاجة في إدراك المعالي وإدراك جميع المنىٰ، أي ما يتمناه الإنسان إنما هو في ضمن سير المطايا مرقلة خافدة، أي مسرعة، والمراد أن المنىٰ تُدرك بالتحرّك والأسفار والاغتراب، وفي الحكمة الأولىٰ «**الحركة بركة**»[1]، ثم بين المطايا ووصفها:

بأنها كل ضامر جعل لها السناف، وذلك لدؤب السير عليها، وذلك دليل عتقها وجودتها موصوفة بما ذكر من الأوصاف.

وأنها[2] تنظر بعيني مطرود، وذلك نظر الفزع بحدة، وهو دليل النشاط.

وتسرع إسراع الظليم، وذلك بعد لغوبها، وهذه مبالغة.

وكأن عنقها في حقيقته وسلاسته الماء الجاري في الروض وهو فيه سلس أو غصن مهزور وهو ناعم يتثنىٰ.

وكأن صدرها في عظمه وضخامته مقدم البيت المرفوع بالقرمد.

وفي الألفاظ كلها مبالغة أكثر مما شرحنا، وهي أيضًا تمطو، أي تسرع في سيرها وتمد بذراعين كأنهما في خفتهما ساعدا رجل ينزع الدلو من البئر موصوفًا بما ذكر من التجرد للعمل، وكونه يسقي الكثير من الإبل، وكونه نائي المحلة فهو يبادر بسرعة وقوة، وكأن إخفافها في سرعة انقلابها علىٰ الأرض في الطريق أكف النساء النائحات اللادمات لوجوههن أو كأنها من المجالد التي يلد من بها.

وهذه التشبيهات لائقة بأرباب الإبل حاضرة في خيالاتهم يفهمونها، ثم قال:

---

(١) مجمع الأمثال: ١/ ٤٠٩.

(٢) في (م): ومنها.

فالماءُ يكسىٰ بالركودِ كدورة ويروقُ رونقه إذا لم يركدِ
والبدرُ لو لم ينتقل لم يستنر والطفلُ لو لم ينم لم يسترشدِ
والسوكُ لو لبثتْ بنعمان لما رشفتْ بأقصىٰ الغربِ ثغر منهدِ
ولو استقرَّ الدرُّ في أصدافهِ ما حلَّ حليا للغزالِ الأجيدِ
والليثُ لو وجدَ الفريسةَ رابضًا في الغيلِ لم يقتل حضيرة موصدِ
ولو الفتىٰ يلقىٰ بمأواهُ المنىٰ ما جاوزَ الدربَ امرؤ القيسِ الردي
حتىٰ استقىٰ من آل قيصر شربةً نقعتْ حشاه فباتَ غيرَ موسّدِ
ولما تجشَّمَ في البحارِ شدائدًا سيفٌ ليقطعَ هامةَ المتمرّدِ
حتىٰ قرىٰ الغربان غرب مهندٍ وأناخَ في عرصاتِهم بالنّهدِ
ولما خدتْ من كلِّ فجٍ ضُمّر خوص بخيرِ العالمينَ محمدِ
صلىٰ عليه اللهُ ما نمَّ الصبا ببهارِ مطلولِ الرياضِ مورّدِ

الركود: الثوب والإقامة. والكدورة: ضد الصفا. وراقه: الشيء أعجبه. والرونق: الحسن. والاسترشاد: الاهتداء تقول: رشد فلان واسترشد لأمره إذا اهتدىٰ له. والمسوك: جمع سواك وهو العود يُستاك به. منهد: التي نهد ثديها من الجواري، أي كعب. والحلي: ما يتحلا به. والأجيد: الطويل. الجيد: أي العنق. والرابض: مثل البارك، والربوض في الكلاب، وفي البقر والغنم، والبروك في الإبل، والجشوم في الطير. والغيل: كنّ الأسد. والاغتيال: الاقتحام والإهلاك. والحظيرة: ما يحتظر للغنم ونحوها. والموصد: المغلق، يقال: أوصد الباب إذا أطبقه وأغلقه. والمأوىٰ: المنزل. وامرؤ القيس هو: ابن حجر

الكندي الشاعر[1]. والردئ: الهلاك حسًا أو معنىٰ. والنقع: إزالة العطش، يقال: نقع الماء عطش فلان، أي سكنه، وشرب حتىٰ نقع، أي رُوِي. وسيف هو: ابن ذي يزن الحميري[2]. والهامة: الرأس. والقرئ: ما يقدم للضيف، وقراه يقريه. والغربان: جمع غراب، وأريد به هنا الحبشة لسوادهم، فهو استعارة. والغرب: الحد [من][3] المهند وصف للسيف. والإناخة: إناخة الناقة مثلًا، وهي إبراكها، ثم يقال: أناخ، أي نزل. والنهد: جمع ناهد وهو الناهض للحرب وطلب اللقاء. والضُمّر: جمع ضامر. والخوص: جمع خوصاء وهي الغائرة العينين من الضمر وكثرة السير.

نم: نقل الحديث واستعمل هنا في نقل ريح الصبا رائحة البهار إذا كان في مطلول الرياض، أي الروض المطلول، وهو الذي أصابه الطل. والمورد: الذي كان له ورد.

ومعنىٰ هذه الأبيات: أنه احتج علىٰ ما ذكر من الحض علىٰ الحركة والترغيب في النقلة بأمثال ضربها شوهد فيها أداء الحركة إلىٰ الفائدة، وأن الإقامة لا ينال معها الأرب، ولذلك احتيج إلىٰ الحركة وهي في هذه الأمثال.

إما الحركة العرفية وهي الانتقال من حيز إلىٰ حيز.

وإما الحكمية وهي الخروج من القوة إلىٰ الفعل علىٰ سبيل التدريج، كما في نحو الطفل وزيادة الهلال، فقال: فالماء إذا ركد بأن أقام، ولم يجر تعلوه الكدرة، وإذا جرىٰ صفا وظهر رونقه، وكذا البدر لو لم ينتقل بالزيادة إذا كان هلالاً لم

(١) قد سبق التعريف به.

(٢) سيف بن ذي يزن: معد يكرب، يكنىٰ بأبي مرة الحميري أحد ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم المذكورين، ولد ونشأ في صنعاء. مات عام ٤٩ ق.هـ. انظر ترجمته في المعارف: ٦٣٨، وتراجم الأوائل: ٩٧.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

يصر له النور التام بصيرورته بدرًا، والطفل لو بقي طفلاً ولم يتحرك بالزيادة لم يصر رشيدًا عارفًا بالمصالح مالكًا أمر نفسه، وكذا المساويك لو بقيت في وادي نعمان الأراك[١]، وهو واد حول الحرم ولم تنتقل في أيدي الآخذين لها لم تصل إلىٰ أرض المغرب، ولا وصلت إلىٰ أفواه العذارىٰ النواهد فاستكن بها، وكذا الدر ولو بقي في أصدافه وهي أوعيته التي يكون فيها في البحر ولم ينتقل في أيدي الآخذين له لما صار في القلائد ولا حل في رقاب الولائد، وكذا الليث أي الأسد لو وجد ما يأكله في غيله لم يحتج إلىٰ تجشم الحظائر المغلقة الأبواب وتعسف الغيضان والروابي، ولو كان المرء يجد مأربه وما يتمناه في منزله لما تكلف الناس مشاق الفراق واعتساف الآفاق وركوب الأخطار في جوف الأقطار، ولما تجاوز امرؤ القيس الدرب ذاهبًا إلىٰ قيصر، والدرب: كل مدخل إلىٰ بلاد الروم من بلاد العرب حتىٰ آل أمره إلىٰ أن سم ومات وجعل السم ناقعًا لقلبه[٢]، أي يعطش قلبه؛ لأنه تخيله ماء علىٰ طريق الاستعارة التهكمية والتمليحية نحو ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٣]، وقوله:[٤] وميتته غير موسد كناية عن موته في الفلوات، أو عن ضجعته في لحده، إذ ليس هنالك الوساد المعتاد، ولو كانت المنىٰ تُصاب بلا رحلة أيضًا لما تجشَّم سيف ابن ذي يزن الشدائد والأهوال في البحار التي ركبها مقفلة من كسرىٰ طالبًا أن يقطع رءوس الحبشة المتمرّدين

---

(١) بلد غزاه النبي (ﷺ)، وهو بين مكة والطائف، وقيل: هو واد هذيل علىٰ ليلتين من عرفات. وقال الأصمعي: هو واد يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، بين أدناه ومكة نصف ليلة. معجم البلدان: ٥/ ٢٩٣.

(٢) قصة امرئ القيس واستنجاده بقيصر الروم لإدراك ثأر أبيه، ثم موته بحلة مسمومة، قصة معروفة ومشهورة. انظرها: بالأغاني للأصبهاني: ٩/ ٧٧- ١٠٥.

(٣) سورة آل عمران: ٢١.

(٤) في (م): تحية بينهم ضرب وجيع.

في بلاد اليمن[١]، وقطع الهام إما حقيقة أو كناية عن حسم الشوكة، وفي ذكر القطع مع سيف مناسبة لطيفة حتىٰ أطعم الأغربة حد السيف ونزل في منازلهم بالقوم الناهدين من أبناء فارس، وإطعام السيف أيضًا استعارة تمليحية، كما قال الآخر:

نقريهم لهذميات نقدّبها ما كان خاط عليهم كل زراد[٢]

وسنذكر قصة هذين الرجلين، ولو كانت أيضًا المنىٰ تلقىٰ في المنازل لما خدت أي أسرعت من كل ناحية وكل فج من فجاج الأرض المطايا الضُمَّر الخوص من كثرة التسيار إلىٰ زيارة خير العالمين (محمد) النبي المصطفىٰ (ﷺ) تسليمًا ما حملت رياح الصبا عرف البهار في الرياض المطلولة وهو مورد أي منوّر، وذلك أطيب وأفوح، وإنما كان مورد وهو نكرة وصفًا لبهار وهو مضاف؛ لأن إضافتها لا تفيد تعريفًا يمنعه عن ذلك؛ فإن المضاف إليه إما الوصف نفسه ولا يتعرف بإضافته، وإما الموصوف اعتبارًا لكون الصفة في نية التأخير، وأل فيه جنسية وهو في المعنىٰ كالنكرة فيعامل معاملة المعارف، نظرًا إلىٰ اللفظ كثيرًا، ويجوز أن يعامل معاملة النكرة نظرًا إلىٰ المعنىٰ، ولذا يوصف بالجملة كقوله:

ولقد أمرّ علىٰ اللئيم يسبني[٣].

---

(١) انظر القصة في: تراجم الأوائل: ٩٧، والتيجان في ملوك حمير: ٣١٧ وما بعدها.

(٢) البيت من بحر البسيط وهو بنهاية الأرب بلا عزو.

(٣) من بحر الكامل، الصدر من بيت وتمامه: فمضيت ثمت قلت: لا يعنيني.

والبيت منسوب لرجل من بني سلول. انظر: شعر بني سلول: ٢١١، والخزانة: ٧/ ٢٢، والكامل: ٢/ ٥٣٠، والكتاب: ١/ ٤٣٤، وبلا نسبة في الضرورة للقزاز.

وجوّز في قول النابغة:

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع[١]

أن يكون ناقع صفة للسم، وهذا معلوم في محله.

وخبر امرئ القيس إنه لما قتل أبوه قام في أخذ الثار وطلب الملك فجال في بلاد العرب، ثم بدا له أن يستمد من الروم فخرج إلىٰ قيصر، وفي ذلك يقول:

بكىٰ صاحبي لما رأىٰ الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عيناك إنما نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا

وقال أيضًا:

وإني زعيم إن رجعت مملكا بسير ترىٰ منه الفُرانق أزورا[٢]

وقصته في ذلك مشهورة فلا نطيل بها وحاصلها أنه رجع من عند قيصر فأتبعه سمًّا، ويقال: ثوب أو قميص مسموم، فلما لبسه جعل لحمه يتقطع فمات، وذلك بموضع من بلاد الروم، يقال له: أنقره، ويقال: هي عمورية[٣] التي غزاها المعتصم[٤]، وسبب السم أنه وشىٰ به رجل من بني أسد يقال له: الطماح إلىٰ

(١) البيت من بحر الطويل وهو بديوانه: ١٢٢.

(٢) الأبيات من بحر الطويل وهي لامرئ القيس بديوانه: ٦٦. برواية: «**لا تبك عينك**». والفرانق: المائل إلىٰ جهته من شدته.

(٣) عمورية: بلد من بلاد الروم، قيل: سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح. معجم البلدان: ٤/ ١٥٨، وجني الأزهار: ١٦٠.

* وأنقره: بكسر القاف. وهي اسم للمدينة المسماة أنكورية. معجم البلدان: ١/ ٢٧١، وجني الأزهار: ١٦٠.

(٤) المعتصم: محمد بن هارون الرشيد،، ويكنىٰ بأبي إسحاق ولد عام ١٧٩هـ، وتوفي عام ٢٢٧هـ. اشتهر بقوة البأس والشجاعة والإقدام. بني مدينة سامراء، فتح مدينة عمورية بالشام. لترجمته انظر: المعارف: ٣٩٢، وتراجم الأوائل: ١٨١، والأخبار الطوال: ٤٠١، وزين الأخبار: ١١٩، وبلغة الظرفاء: ٢٢٩.

قيصر، وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دأبه ما تلبسا[١]

(وأما خبر سيف) وهو سيف ابن ذي يزن الحميري فإنه كانت الحبشة تقلبت علىٰ بلاد اليمن من ذي نواس الحميري، وذلك أن ذا نواس لما أوقع بأهل نجران أفلت منهم رجل فالتحق بقيصر يستنصره علىٰ ذي نواس وجنوده فكتب له قيصر إلىٰ ملك الحبشة ينصره فجهز ملك الحبشة جيشًا في سبعين ألفًا فصاروا حتىٰ نزلوا بساحل اليمن فخرج إليهم ذو نواس فهزموه ودخلوا اليمن وتملكوها، وكان صاحب أمرهم بها أرياط فقام أبرهة الأشرم صاحب الفيل علىٰ أرياط فقتله، فملك اليمن، فلما مات في وقعة الفيل، ملك ابنه يشرم ابن أبرهة، فلما مات ملك أخوه مسروق ابن أبرهة[٢]، فلما طال البلاء بأهل اليمن خرج سيف ابن ذي يزن إلىٰ قيصر يستنصره عليهم فلم يساعفه فخرج إلىٰ كسرىٰ، فقال له: غلبتنا الأغربة فجئتك لتنصرني، ويكون ملك بلاد لك. فقال كسرىٰ: بلادك بعيدة ولا خير فيها، وأجازه بعشرة آلاف درهم وكسوة حسنة فلما قبض سيف ذلك أخذ يفرّق ذلك علىٰ الناس هنالك فبلغ الخبر إلىٰ كسرىٰ فاستدعاه فقال له: ما حملك علىٰ ما فعلت من إتلاف ما أعطيتك؟ فقال سيف: وأي حاجة لي به. جبال أرضي كلها ذهب وفضة وأراد بذلك ترغيبه، فلما سمع كسرىٰ ذلك خلا بمرازبته فقال: ما ترون في أمر هذا الرجل؟ فقالوا: أيها الملك، إن في سجونك قومًا فادفعهم معه فإن ظفروا كان ذلك زيادة في ملكك، وإن ملكوا فذاك ما تريد بهم ففعل ذلك وجهز معه من في السجون وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلاً، يقال له: وهرز في ثماني سفائن فهلكت سفينتان

---

(١) البيت من بحر الطويل.

وهو بديوانه: ١٠٨ برواية: .... من دائه ما تلبسا.

وهو بالأغاني: ٩/ ٣٢٢٠ برواية: .... لَيُلبسني مما يلبّس أبؤسا.

(٢) ولد أبرهة الذي ملك بعده: يكسوم. انظر: التيجان: ٣١٥.

في البحر ووصل إلىٰ ساحل اليمن ست سفائن فاستنصر سيف من وجد من العرب، فخرج إليهم مسروق بن أبرهة في جنوده فكان حاصل الأمر في حديث طويل أن رماه وهرز الفارسي بسهم فقتله وتفرّقت الحبشة في كل وجه، ودخلت فارس صنعاء ولم يزالوا بها إلىٰ أن كان آخرهم باذان الذي أسلم حيث كتب إليه كسرىٰ أن رجلاً من قريش يزعم أنه نبي فاستتبه فإن تاب وإلا فأتني برأسه فأعلم باذان النبي (ﷺ)، فقال النبي (ﷺ): إن الله تعالىٰ أعلمني أنه سيقتل كسرىٰ في يوم كذا من شهر كذا، فلما بلغ ذلك باذان توقف فقال: إن كان نبيًا فسيكون ما قاله فقتل الله تعالىٰ كسرىٰ في الوقت الذي حدّده الصادق المصدوق (ﷺ) علىٰ يد ابنه شيرويه، فلما رأىٰ باذان ذلك بعث بإسلامه وإسلام من معه إلىٰ رسول الله (ﷺ)، وفي قصة سيف يقول [أمية بن أبي] الصلت الثقفي:[1]

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن	ريم من البحر للأعداء أحوالا
حتىٰ أتىٰ ببني الأحرار يحملهم	أنك عمري لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا	ما إن أرىٰ لهم في الناس أمثالا
بيضًا مرازبة غلبا أساورة	أسدًا تريب في الغيضان أشبالا
أرسلت أسدًا علىٰ سود الكلاب فقد	أضحىٰ شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئًا عليك التاج مرتفعًا	في رأس غمدان دارًا منك محلالا

(١) الأبيات من بحر البسيط.
أبو الصلت بن ربيعة الثقفي: شاعر جاهلي، ذكره ابن سلام في طبقة شعراء ثقيف، وأورد له شعرًا يمدح أهل فارس حين قتلوا الحبشة. انظر: طبقات ابن سلام: ٦٦، والأغاني: ١٧/ ٣١٢، والعقد الفريد: ٢/ ٢٣، ومعجم الشعراء (عفيف): ١٣٠.
الأبيات بطبقات فحول الشعراء (ليدن): ٦٦، والأغاني: ١٦/ ٧٦، والتيجان: ٣١٧ باختلاف الرواية، وهي بالفوائد المحصورة: ٢١٢، وبعضها بالشعور بالعور: ١٩٢، والأبيات بديوانه: ٦٥، علىٰ غير ترتيب، ورواية أخرىٰ، وما بين المعقوفتين زيادة للسياق؛ لأن الأبيات لأمية، وهي بديوانه، وستأتي ترجمته لاحقًا، وليست لأبي الصلت، وقد أثبت هنا ترجمة أبي الصلت للتفرقة بينه وبين أمية.

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبًا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم قال:

فدعِ المطي يثمن ضراب الصوىٰ ويشمن باليسراتِ خد الأجلدِ

ويشمنُ باللحظاتِ كلَّ مخيلٍ ويسمنُ بالثفِناتِ كل مبلَّدِ

ويعمنُ بالملواتِ عَيم ضبابها ويعمنُ في غمراتِ [آل][1] الصيهدِ

ويزمنُ من دينِ السرىٰ ما قد لوىٰ كل وخيمٍ للدعات مخلّدِ

ترقدّ بالجَدَدِ ارقداد نعائم وتخال في الوعثِ اختيال الخرّدِ

حتىٰ تراها كالقسي مجالها أوتارها أو كالحنايا العمّدِ

وترىٰ بناتَ العيدِ أضحىٰ نقضها عيدًا لوحشٍ بالفلاةِ معيّدِ

دع: بمعنىٰ اترك. والمطي: جمع مطية. الوثم: الكسر. وثمت المطايا: الأحجار يثمنها. والضراب: جمع ضرب بالكسر وهو الحجر أو المدور منه المحدد. والصوىٰ: جمع صوّة بالضم وهو ما ارتفع من الأرض. والوشم في البدن أن تغرز الإبرة في اللحم ثم يذر عليه النيلج وهو معروف. وفي الأرض مجاز عن الآثار الواقعة بالوطء. اليسرات: القوائم. الخفاف الأجلد: المكان الصلب، يقال: مكان جلد ومكان أجلد. قال جرير:

أجالت عليهن الروامس بعدنا دقاق الحصىٰ من كل سهل وأجلدا[2]

---

(١) ساقط من (م).

(٢) والبيت من بحر الطويل، وهو بديوانه: ١٧١.

جرير: جرير بن عطية الخطفي كنيته أبو حرزة. من بني كليب بن يربوع من تميم، ولد في بداية خلافة علي بن أبي طالب عام ٣٥هـ تقريبًا. وبرز شاعرًا في خلافة معاوية من خلال هجومه علىٰ القبائل المجاورة. عرف بشعر النقائض مع شعراء عصره خاصة الفرزدق والأخطل. توفي عام ١١١هـ. انظر: ديوانه بتحقيق محمد إسماعيل الصاوي (بيروت). وفيات الأعيان: ١/ ١٢٧، والعقد الفريد (الفهارس)، وسمط اللآلي: ١/ ٢٩٢، ومعجم المؤلفين: ٣/ ١٢٩، ومعجم الشعراء (عفيف): ٥٤.

والأجلد: أيضًا الأشد والأقوىٰ من الجلادة وهي القوة والشدة. وشام البرق يشيمه: نظر أين ينحو أو أين يمطر. اللحظات: جمع لحظة وهي نظرة العين. والمخيل من السحاب: ما يظن منه ماطرًا. والوسم: وضع السمة وهي العلامة وسم يسم. وثفنات البعير بكسر الفاء: ركبته وما يمس الأرض منه. العَيْم: شهوة اللبن، والعيم أيضًا العطش، وهو المراد في البيت، يقال: عام يعيم عيما وعيمة فهو عيمان. والملوات: الفلوات. والعوم: السبح في الماء. والغمرات: جمع غمرة وهي معظم الماء. والال: السراب. والصيهد: هو السراب الجاري. والوزم: قضاء الدين. وزم يزم. والسرىٰ: سير الليل واللي: المطل يقال: لوىٰ فلان غريمه أي مطله. والوخيم: الثقيل. والدعات: جمع دعة وهي الراحة والنعمة. والتخليد: الإخلاد، يقال: أخلد إلىٰ الشيء نزل إليه وتساقط عليه. والإرقداد: الإسراع. والجدد بفتحتين: الموضع الصلب، وضده الوعث، وهو الذي تغمس فيه الأرجل. والنعائم: جمع نعامة. وخال يخال واختال يختال في مشيته. والخرّد: جمع خريدة وهي الحبيبة. القسي: جمع قوس، وأصله قووس ثم قلب. المجال: محل الجولان من الأرض. الوتر: وتر القوس. الحنايا هنا جمع حنية وهي: الخشبة يسقف بها أو المعوجة مطلقًا بمعنىٰ محنية تقول: حنوت الشيء احنوه إذا عطفته فهو محني، وحنىٰ. ومن ثم قيل للقوس حنية وجمعها حنايا وهو المعروف عند العرب؛ لأنها محنية أي معطوفة، غير أنه هنا لما ذكر القسي في آخر البيت لم يبق إلا أن يراد شيء آخر وهو السقائف، ولذا وصفها بالعمد أي العامدة، وهي مجاز لأنك تقول عمدته إذا أقمته بالعماد فنسبة ذلك إلىٰ العماد نفسه مجاز. والعرب تشبه المطايا في ضمورها بالسقائف كما تشبهها بالقسي. قال الشاعر:

ورفعت راحلة كان ضلوعها من نص راكبها سقائف عرعر[١]

---

(١) البيت من بحر الكامل.

وهو لعلقمة الفحل، وهو بديوانه: ٤٤.

غير أن هذا شبه الضلوع وما في البيت تشبيه الجملة، والمراد من الجميع النحول والضمر. والعيد: فحل منجب معروف وتنسب إليه النوق النجائب، فيقال: بنات العيد وناقة عيدية. والعيد في عجز البيت هو الموسم كالأضحىٰ، والعيد عند العرب كل يوم فيه جمع، وعيد القوم شهدوا العيد. والنقض: بالكسر المهزول من السير جملاً أو ناقة.

ومعنىٰ **الأبيات**: أنه لما احتج علىٰ الرحلة بما مرَّ من الأمثال وأبان أنها مجلبة لخصال المعالي ومعالي الخصال استنتج من ذلك الأمر بها والإقبال علىٰ طلبها، فقال: فدع المطايا تسير بجد ونشاط وقوة فتهشم حجارة كل رابية، وتنقر في وجه كل قاع شبه الوشم في خد الجارية، وتشم برق كل سحاب مطمع، وتسم بثفناتها كل موضع. وشيم البروق كناية عن العطش، وذلك كناية عن السير في المهامه المقفرة، وذلك كناية عن بُعد الشقة وهو شأن الهمة الرفيعة ووسم المكان هو بما يبقىٰ فيه من أثر الركب والأفخاذ وغير ذلك بعد النهوض، وتعطش بالقفار عطش ضبابها؛ فإن الضب لا يشرب وتعوم في غمرات كل سراب كالماء.

وأنكر بعض أهل اللغة أن يكون الصيهد هو السراب الجاري، وقال: إن الصيهد هو شدة الحر وعلىٰ هذا القول البيت صحيح أيضًا علىٰ حذف مضاف، أي ال ذي حرّ شديد وحرارة شديدة أو مبالغة بلا تقدير، وتقتضي من دين السرىٰ ما لواه أهل الهمم الساقطة المخذولون إلىٰ الراحات الراضون بالمأكولات والمشروبات، أي أن السرىٰ لطلب المعالي كأنه حق علىٰ الناس ودين علىٰ العقلاء، وهذا الدين يمطله اللئام ويفي به الكرام، وإذا بلغت هذه المطايا الجدد من الأرض أرقلت إرقال النعام، وإذا بلغت الوعث كالرمال والخبار جعلت تتقلع كأنها تختال اختيال الخرائد ولا تزال في دأب السرىٰ حتىٰ تراها أيها الناظر ضامرة كأنها القسي في ضمورها وانعطافها، وكان ما بين أخفافها الأوائل والأواخر من الأرض هي أوتار تلك القسي، ومن نظر إليها متأملاً علم ذلك أو

كأنها السقائف في نحولها وطولها وترىٰ تلك النجائب العيدية قد بقي مهزولها في الفلوات فصار عيدًا للوحش يعيد عليه.

وفي الأبيات نوع من السجع غريب يقع في الصدور، وهو صنيع أفراد من بلغاء الكتاب، وسيأتي أيضًا إن شاء الله تعالىٰ، ثم قال:

فلكم لبستُ الدهرَ من شفوِ المَلا ... كالخرقِ يبلىٰ في البلادِ ويرتدي

وسُرادقي أفقُ السماءِ إذا سجا ... أرعىٰ كواكبهَا بجفنٍ مسهَدِ

في مضجعٍ أغشاه غير مدمثٍ ... وذراع بنت القفرِ فيه موسدي

وكأنما جفني المسهدُ طائر ... حذر متىٰ يرم الوقوعَ يشرّدِ

وكأنما حسب الدجىٰ فتخاء قد ... أرخـتْ عليه مخالب المتصيّدِ

الشفو: جمع شفة وهي من الثياب معروف، والشفة أيضًا البعد والجهة التي يقصدها المسافر. والملا بفتح الميم والقصر: الصحراء، ويقال أيضًا الملا جمع ملاة، وهي الفلاة ذات الحرّ والسراب. والخرق بكسر الخاء: السخي من الفتيان أو السخي: الظريف. إبلاء الثوب معروف. والمُلا بضم الميم: جمع ملاءة وهي نوع من ثيابهم، ويقال لها: الريطة. والارتداء: الالتحاف. السرادق: بضم السين شيء يمد في صحن الدار مثلاً والبيت من الكرفس. وسجا الشيء: دام وسكن. والمسهد بفتح الهاء: من السهد وهو الأرق يقال: سهد وسهدته أنا تسهيدا فهو مسهد، أي تركته بلا نوم. والمضجع: موضع الاضطجاع. والمدمث: المسوىٰ المسهل. وبنت القفر هي: الحجر والصخر. والفتخاء: المسترخية الجناحين وتطلق علىٰ العقاب. المخالب: جمع مخلب وهو للسباع وسباع الطير.

ومعنىٰ **الأبيات**: أنه لما ندت إلىٰ الرحلة والاغتراب ذكر ما لقي في هذا الباب وما قاسىٰ من المشاق والمتاعب وتعاطىٰ من المهالك والمعاطب، فقال: كم

لبست الدهر، أي في دهري من شقق الملا وفيه إيهام؛ لأنه إما شقة البين والقرينة ذكر الملا وإما شقة اللبس والقرينة ذكر اللبس قبله، وعلىٰ الأول فالاستعارة في اللبس بأن اعتبرت المسافات وجعل الدخول في كل واحدة هو لبسها والخروج عنها هو إبلاؤها وطرحها بلبس الأخرىٰ، ولذا شبه بالخرق يلبس الملاءة ثم يطرحها ويرتدي أخرىٰ.

وعلىٰ الثاني فالاستعارة في لفظ الملا، أي الصحراء أو الفلوات بأن شبهت بالثياب، أي بجنس منها وأضيفت شقق ذلك الجنس إليه تخييلاً، ويجوز أن يكون تشبيهًا بليغًا أو استعارة تصريحية في لفظ الشقق.

والمعنىٰ: أني كثيرًا ما قطعت مسافة ودخلت أخرىٰ من كثرة الترحال ودوام الانتقال وسرادقي، أي بيتي أو ظلي الذي آوىٰ إليه إنما هو أفق السماء أرعىٰ كواكب السماء بجفن شخص مسهد، وذلك في مضجع من الأرض أغشاه، أي أفضي إليه إذ لا فراش ولا غطاء وهو غير مدمث إذ لا قرار ولا خادم مع عدم الركون إلىٰ الدعة والالتفات إلىٰ الرفاهية وذراع الحجر هو الموسد لي أو هو مكان التوسيد؛ فإن ذلك الوقت وقت يتوسد فيه المقيم في دعة ذراع ضجيعته وليس لي أنا ضجيع ولا وساد إلا الأحجار، وكأنما جفني المسهد من كثرة قلقه وقلة سكونه وهدوه طائر شديد الحذر كالغراب مثلاً متىٰ يحاول الوقوع، أي النزول إلىٰ الأرض يشرد إلىٰ الجوّ فيطير صاعدًا، وكأنه أيضًا يحسب الدجىٰ أي الظلم وهي جمع دجية، أي يظنها حيث انسدلت عقابًا فتخاء، أي مرخية الجناحين تهم بشيء تختطفه فهي قد أرخت أي أدلت مخالبها التي تتصيد بها، فإذا توهم هذه الصورة لم يسكن ولم يغشه نوم، ثم قال:

وكم اشتكيتُ غريبَ دارٍ ليس لي ... من عـوّد غير الـدخيـلِ الملسدِ

الاشتكاء: إظهار ما بك من مكروه أو مرض ونحوه، والاشتكاء أيضًا من

الشكوىٰ وهو المرض نفسه، تقول: فيه شكا شكوىٰ وشكاية وتشكي واشتكىٰ، ومن الأول يقال: اشتكىٰ عضوًا من أعضائه، والذي في البيت يصح أن يكون منه فيكون حذف المعمول اختصارًا أو اقتصارًا، وأن يكون من الثاني وهو ظاهر. والعوّد: جمع عائد وعائدة من عيادة المريض. والدخيل: الحزن والهم الداخل إلىٰ الفؤاد. والملسد: مفعل من اللسد وهو الرضاع.

أي: كم مرضت وأنا غريب الدار وليس لي عائد يعودني غير ما في الحشا من الحزن المصاص للفؤاد الداخل كل حين وبئس العائد، ثم قال:

ولـــربَ لـيـلٍ نـابـغـي رضـتـه ... جملا لرحلي ما اشمأزَّ ولا حدي
وسقتُ علىٰ دجاه أشتات الهوىٰ ... وسقتُ فؤادي كأس وجدٍ ميدَدِ
واستأسدتْ فيه الهمومُ علىٰ الحشا ... حنقًا فبتُ لها بليلةِ أنقدِ

الليل: النابغي الطويل وهو منسوب إلىٰ النابغة الذبياني، حيث قال:

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها ... لحلي النساء في يديه الفقاقع[1]

وقيل: من ذلك ليلة نابغية[2]، وصارت مثلًا. والاشمئزاز: النفور. والحدي: الزجر والسوق. وسقت: جمعت، وسقت في المصراع الثاني من سقىٰ يسقي. الميدد: مفعل من الأد، يقال: أدته الداهية تؤده إذا دهته. واستأسد الرجل أو غيره صار كالأسد، واستأسد علي اجترأ. الحنق: أشد الغيظ. أنقد: هو القنفذ،

---

(١) البيتان من بحر الطويل.
وهما بديوانه: ١٢٢.
والبيت الثاني برواية: .... في يديه قعاقع
(٢) يقال: ليلة نابغية: أي طويلة. ثمار القلوب: ٦٣٤.

وقد يقال: بالألف واللام، وفي المثل: «**بليلة أنقد**»[١]، أي لم ينم؛ لأن القنفذ لا ينام، أي رب ليل قطعته سيرًا، وفي البيت مثلان سائران أحدهما قولهم «**ليلة نابغية**»، كما قررنا ذلك، الثاني قولهم: «**اتخذ الليل جملاً**»[٢] إذا سار فيه، غير أنه في البيت زاده ترشيحًا، زاده بقوله: رضته فهو جمل مرتاض ذلول، وقوله لرحلي وهو من خواص الجمل الحقيقي كالارتياض، وقوله: ما اشمأز ولا حدي: يريد أنه جمل ما نفر قط من حمل ولا ركوب ولا احتاج إلىٰ حاد، وهذا لا يوجد في الإبل، وكأنه بتلك الرياضة اتصف بهذا.

ففي البيت من المحاسن ما يطول بنا شرحه، ثم وصف الليل بأنه وسقت، أي جمعت ظلمته أشتات الهوىٰ؛ فإن الهوىٰ والحزن، والهم يروح إلىٰ القلب مع الليل، وذلك أنه يتفرغ إذ ذاك بخلاف النهار؛ فإنه يشتغل فيه بالأشغال ويتسلىٰ، وأنها سقت الفؤاد كأسًا من الوجد الداهي، وأن الهموم استأسدت فيه، أي صارت أسودًا أو تجاسرت علىٰ الحشا فذهب النوم بذلك، وبات بليلة أنقد، وهذا أيضًا مثل سائر، ثم قال:

ولبستُ من ساجيهِ ساجًا رصّعت ... منه فرائد لؤلؤٍ بزُمُرّدِ
والبدرُ في أفقِ السماءِ كأنهُ ... ملكٌ من الزهرِ الدراري في ندِ
وترىٰ الثريا حوله وكأنهُ ... جمعٌ لأمرٍ في العشيرةِ منتدِ

الساجي: الدائم الساكن كما مر. والساج: الطيلسان الأسود والأخضر. والمرصع: المحلىٰ، وأصله قولك رصع به إذا لزق، وارتصع: التصق. والفرائد: جمع فريدة وهي الجوهرة النفيسة. والزمرد: بالضمات وتشديد الراء

(١) بزهر الأكم: ١/ ٢٠٨، ومجمع الأمثال: ١/ ١٦٩، ١/ ٣١٤، وتمامه: «باتت بليلة أنقد»، وهو بالمستقصىٰ: «بات بليلة ابن أنقد» ٢/ ٤.
(٢) بزهر الأكم: ١/ ٦٦، ومجمع الأمثال: ١/ ٢٣٧.

هو الزبرجد، ويقال أيضًا بذال معجمة وهي اللغة المشهورة. الدراري: جمع دري وهو الكوكب المضيء وهو الأزهر أيضًا. الندىٰ: المجلس. الثريا: النجم المعروف. انتدىٰ القوم ينتدون: اتخذوا مجلسًا.

أي: لبست من ظلام الليل الساجي ساجًا مرصعًا بالجوهر والزمرد، أي الكواكب مع ما يتخللها من الأزرق والبدر في الأفق كأنه والكواكب المحيطة به ملك من الملوك اجتمعت عنده أرباب دولته، والثريا كأن نجومها المجتمعة جمع من الناس منتدون للتشاور في أمر وقع في عشيرتهم. وأفرد منتد مراعاة للفظ جمع، والجوزاء كأن نجومها فرائد وما يبدو بينهما من لون السماء كأنه الزبرجد، ثم قال:

حتىٰ بدا ثغرُ الصباحِ كأنهُ وخط المشيب بفرع خودٍ منتدِ
أو ثغرُ زنجيٍ تبسمَ شائصا بأراكةٍ عن مثلِ صافي الحفردِ

وخطه الشيب: خالطه، وقيل: هو أن يستوي البياض والسواد. والفرع: هنا الشعر في الرأس. والخود: الحسنة الخلق الشابة. والمنتدىٰ: المتفرّق يقال: ندا الشيء يندو. تفرّق: وهو وصف للشعر. وشاص فاه بالسواك: دلكه به فهو شائص. والحفرد: الجوهر.

أي: لم أزل سائرًا ومتخذًا الليل جملاً، ثم ظهر الصباح كأنه الثغر الأبيض وكأن بياضه في سواد الليل شيب في شعر الخود الكثير أو ثغر زنجي شاص فاه بعود أراكة فتبسم عن أسنان مثل الجوهر الصافي، وقد اجتمع حينئذ بياض الأسنان مع صفرة السواك محوطًا بسواد كثير، وذلك صفة الفجر الواضح، ثم قال:

والقومُ سكرىٰ بالكرىٰ وكأنهمْ ميلًا علىٰ الأكوارِ صرعىٰ صرخدِ
يتيمنونَ من الصباحِ بأغربٍ بقع وسعد الغرب أغربُ مسعدِ

السكرىٰ: جمع سكران. والكرىٰ النعاس. الميل: جمع أميل، وهو الذي لا يثبت علىٰ المركوب. والأكوار: جمع كُور بالضم وهو الرحل. والصرعىٰ: جمع صريع وهو المصروع. والصرخد: الخمر. والتيمن: من اليُمن وهو ضد الشؤم. والأغرب: جمع غراب. والبقع: جمع أبقع وهو في الطير بمنزلة الأبلق في الدواب. الغرب: جمع غراب. الأغرب: من الغرابة وهي الندور والقلة.

أي: والقوم وهم الرفقاء في ذلك السرىٰ قد أسكرهم النعاس فهم لا يثبتون علىٰ الرواحل، وكأنهم قد شربوا الخمر فصرعتهم وهم يتيمنون أي يعدّون الصباح مخرجًا لهم من مشقة السير وطول الليل فهو سعيد، وهو كأنه غراب أبقع، أي مختلط البياض بالسواد، فقد تيمنوا بالغراب الأبقع وكون الغربان ميامين من أغرب ما يسمع فإن العرب يستوحشون منها ويزعمون أنها تنذر بالفراق كما قال:

وجرىٰ ببينهم الغراب الأبقع[1].

وإنما ذلك لكونها تلم بالديار الخالية، وتصيح بعد الافتراق، ثم قال:

والعيسُ من دأبِ السرىٰ محروكة تشكو ذراها كل جبسٍ حلفدِ

العيس: الإبل البيض مع شقرة، والواحد أعيس، والأنثىٰ عيساء. والمحروكة: التي أصيب حاركها. الذرىٰ: جمع ذروة. الجبس: الثقيل الجامد واللئيم والجبان. الحلفد: علىٰ مثال زبرج الثقيل السيئ الخلق.

أي: الإبل من دوام السرىٰ قد دبرت حواركها وذراها تشكو بلسان حالها ركوب كل ثقيل جاف غير راحم، ثم قال:

---

(١) عجز بيت من بحر الكامل هو لعنترة بن شداد.. وتمامه:

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرىٰ بينهم الغراب الأبقع

ديوانه: ١٤٠.

في مهمةٍ يشجي البوازن ضاحيا ويروعُ عِيصانًا فؤاد الأربدِ
يتحير الكدري في جنباتهِ حتىٰ يحينَ صدىً ولم يتورَّدِ

المهمة: القفر. والشجي: الحزن شجاه وأشجاه، ويكون أيضًا بمعنىٰ الطرب علىٰ الضد. والبوازن: جمع بازن وهو القوي من الإبل الذي بلغ تسعًا. والضاحي: البارز للشمس، والمراد هنا ما لا شجر فيه. والروع: الخوف راعه يروعه. والعيصان: جمع عيص وهو الملتف من الشجر. والأربد: الأسد. والكدري: القطا. والجنبات: النواحي. وحان يحين: هلك. والصدىٰ: العطش. تورد: ورد الماء.

أي: كان ذلك السرىٰ في مهمة هذه صفته، وهو أن ما كان منه عاريًا يحزن البوازن إذا توجهت لقطعه، وذلك لطوله كما قاله امرؤ القيس:

علىٰ لاحبٍ لا يهتدىٰ بمناره إذا سافه العَودُ النباطيُّ جرجرا[1]

وما كان منه غابة فهو يهول الأسود أن تسلكه، ثم وصفه أيضًا بكونه مجهلاً مطموس المعالم فقال: إن الكدري يتحير فيه حتىٰ يهلك عطشًا ولم يصل إلىٰ الماء، مع أنه أهدىٰ الطير[2] فكيف بغيره، ثم قال:

فكأنه بحرٌ علوناه وما حيتانه غير الدَّبىٰ والجُدجُدِ
بسفين خوصٍ كالحنايا ضُمَّر نُجب بأشرعةِ الهوادي تهتدي
قد هاجها ريحُ الصبابةِ لا الصَّبا وغناء كل مطوّقٍ ومغرّدِ
يشدو فيذكر كل عهدٍ سالفٍ ويثيرُ كلَّ هوىً محيلٍ خامدِ

---

(١) البيت من بحر الطويل.
وهو بديوانه: ٦٦، وسرح العيون: ١٩٧.
(٢) يقال: «أهدىٰ من قطا» ثمار القلوب: ٤٨٢، والأمثال: ١٣٥.

الدَّبىٰ: بفتح الدال والألف مقصورة كوزن الفتىٰ: الجراد الصغير جدًا. والجدجد: بضمتين كوزن هدهد: دويبة كالجندب وطوير صغير كالجراد. والسفين: جمع سفينة. والخوص: جمع خوصاء وتقدم. والحنايا: القسي. والضُّمَر: جمع ضامرة. النجب: جمع نجيبة وهي الجيدة الكريمة. والأشرعة: جمع شراع بكسر الشين وهو المنصوب فوق السفينة لتتحرك به. والهوادي: جمع هاد وهو العنق. والمطوّق: ما له طوق. والتغريد: رفع الصوت بالغناء.

أي: فكأن ذلك المهمة المذكور بحر ركبناه، ولكنه بحر حيتانه الجراد والجنادب، وإنما خضناه بسفائن من الإبل الضُّمر كالحنايا الخوص النجب، ولما كانت السفينة تحتاج إلىٰ شراع وإلىٰ ريح تحرّك الشراع كانت شُرُع تلك السفن أعناقها فإن البطء والخفة يظهران فيه، وريحها ريح الصبابة والشوق إلىٰ من توجهت إليه، وغناء ذوات الأطواق المغرّدات في حافات الطريق يشدو ذلك المطوّق، أي يرفع صوته بالغناء فيذكر العهود السالفة، ويحرِّك الهوىٰ المحيل الخامد، ثم قال:

ولــربَّ بـاكـيـةٍ شجتني موهنا نغماتها فـوق القضيبِ الأمـأدِ

بـاتـتْ تطارحني الـبـكـاءَ كأنها تدري الذي بجوانحي من موجدِ

فبكيتُ غير بكائِها إذ لـم تـرقْ دمعًا ونحري بالمدامعِ قد ندي

بكتْ الهديلُ علىٰ تـقـادمِ عهدهِ أفـلا أحـنُّ إلـىٰ حـديـثِ المعهدِ

الموهن: الوقت من الليل نحو النصف أو بعده. الأمأد: من النبات الأنعم الألين. التطارح: المطارحة في الكلام والغناء معروف. الموجد: مفعل من الوجد وهو الحزن. ندي: المكان ابتل. الهديل بفتح الهاء: صوت الحمام، والهديل أيضًا فرخ تزعم العرب أنه كان في عهد نوح عليه السلام فصاده جارح أو مات

عطشًا. قالوا: فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه[1]، وهذا موجود في أشعارهم كثيرًا، فلهذا وقع في البيت جريًا على منهاجهم.

أي: رب حمامة باكية شجتني أحزنتني بنغماتها وأصواتها الحسنة فوق القضبان النواعم نضارة وريًا باتت بذلك تساجلني في البكاء كأنها قصدت ذلك، وكأنها تدري أي تعلم ما في قلبي من الأحزان، غير أني بكيت بكاء غير بكائها[2]، إذ هي لا تريق دمعًا، ولذا لا يسمى غناء ويسمى بكاء بحسب وجدان السامع، وما أحسن قول ابن عبد ربه:

شجى قلب الخلي فقال غني وبـرَّح بالشجي فقال ناحا[3]

ودمعي أنا قد جرى، حتى أن نحري قد ندي[4] أي ابتل بالمدامع. وبكت هذه الحمامة الهديل على تقادم عهده من زمن نوح عليه السلام أفلا أحن أنا إلى ولد حديث العهد قد ودعته، ثم قال:

وبكتْ وفرخاها هناك وقد عدا فرخي عني كل نشزٍ قرددِ

---

(١) أوردها ابن منظور في اللسان. لسان العرب: ١٥/ ٣٨.

(٢) في (ط): كأنما تجد الذي أجد من الأحزان فبكيت بسبب بكائها.

(٣) البيت من بحر الوافر.

وابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي، شهاب الدين، أبو عمر، ولد في رمضان عام ٢٤٦هـ بقرطبة، اتصل عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الذي بنى مدينة الزهراء، ومدحه بقصائد كثيرة، قال فيه الثعالبي: «إنه أحد محاسن الأندلس علمًا وفضلاً وأدبًا ومثلاً، وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة وعليه رونق البلاغة والطلاوة» وله العديد من المصنفات منها «العقد الفريد»، وقد توفي عام ٣٢٨هـ. انظر: مقدمة العقد الفريد بتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، والبيت ليس بديوانه المطبوع.

(٤) في (ط): وحلقي بالمدامع قد كدى.

ما رمتُ عنهم رحلة إلا حجوا ألا تلاقي بعد ذاكَ المشهدِ
فعلا عويلُهُمُ وناحوا نوحةً سلكتْ فؤاد مكاشحي في مفأدِ
وسقوا تراقيهم وقالوا لا ترم أو لا فلا تبعد ولا تتبعّدِ
أبكي عليهم بعدهم أسفًا وهمُ يبكون بعدي كالثكالىٰ الفقّدِ

عدوته: علىٰ الأمر عدوًا وعدوانًا صرفته عنه وشغلته. النشز من الأرض القردد وهو ما ارتفع وغلظ. حجا الأمر يحجوه ظنه. والعويل: رفع الصوت بالبكاء. والسلك: الإدخال كما تقول: سلكت الدرة في الخيط، واللحم في السفود ونحو ذلك. والمكاشح: المعاء. والمفأد: الآلة يشوي بها اللحم، تقول: فأدت اللحم فهو مفؤد إذا شويته. ولا ترم: لا تنتقل ولا تبرح، وبعد يبعد: كعلم يعلم. هلك. وتبعد: ضد تقرب. والثكالي: جمع ثكلىٰ. والفقد: جمع فاقد وصف كاشف.

أي: وبكت تلك الحمامة أيضًا مع أن فرخيها معها وقد بعدت فراخي أنا وصرفها عني كل نشز من الأرض وحال بيني وبينهم فما يستطيعون الوصول إلي، وما رمت عنهم ارتحالاً قط إلا ظنوا أن لا تلاقي بعد ذاك المشهد، وأني لا أرجع إليهم لبعد المشقة مع شدة المخاوف وكثرة المتالف فعلاً، أي ارتفع بسبب ذلك بكاؤهم وناحوا نوحة يرق لها العدو حتىٰ يصير قلبه كأنه مشوي علىٰ النار في السفود، وهذه مبالغة، وسقوا بالدموع تراقيهم، جمع ترقوّة وهي العظم الذي بين نقرة النحر والعاتق، وقالوا: عند ذلك لا ترم أي لا رمت، وهو تلميح إلىٰ قول ابنة جرير: **أبانا فلا رمت من عندنا**[1].

---

(١) هذا صدر بيت للأعشىٰ (ميمون بن قيس)، وهو من بحر المتقارب، وتمامه:
أبانا فلا رمت من عندنا فإنا بخير إذا لم ترم
وهو بديوانه: ١٧١.

أو لم يكن ما تمنينا من الاجتماع فلا بعدت ولا تبعدت فأنا أبكي علىٰ أولئك الفراخ بعد فراقهم أسفًا وحزنًا عليهم وهم يبكون بعدي كذلك وكلنا كالثكالىٰ في احتراق الأحشاء واشتداد البكاء، ثم قال:

لو كان عبدُ اللهِ يسمع نوحتي ... ألقتْ عصاها رحلتي وتزوّدي

عبد الله: هو ابن طاهر المشهور. وإلقاء العصا كناية عن الإقامة وانقطاع السفر؛ لأن المسافر يأخذ العصا بيده، فإذا أقام رمىٰ بها وهو تلميح إلىٰ القصة الواقعة لعبد الله بن طاهر مع عوف بن ملحم الشاعر المشهور، وذلك أن عبد الله خرج في بعض غزواته ومعه عوف فبينما هما يتسايران إذ ناحت حمامة فأنشد ابن طاهر:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر ... وغصنك مياد ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير شيء فإنني ... بكيت زمانًا والفؤاد صحيح

ولوعًا فشطت غربة دار زينب ... فها أنا أبكي والفؤاد جريح

ثم قال لعوف أيحضرك شيء من هذا المعنىٰ في هذا الروىٰ، فقال عوف:

أفي كل عام غربة ونزوح ... أما للنوىٰ من ونية فتريح

لقد ظلم البين القذوف ركائبي ... فهل أرين البين وهو طليح

وارقني بالري نوح حمامة ... فنحت وذو الشوق الغريب ينوح

علىٰ أنها ناحت ولم تذر عبرة ... ونحت وأسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخي مهامه فيح

عسىٰ جود عبد الله أن يعكس النوىٰ ... فنلقي عصا التسيار وهي طريح

فإن الغنىٰ يدني الفتىٰ من صديقه وعدم الغنىٰ بالمقترين نزوح[1]

فلما سمع عبد الله هذا الشعر رق له ووصله بعطاء جزيل وردّه إلىٰ أهله، وقال له: يصلك عطاؤك كل عام في أهلك، ثم قال:

حلا لقد أسمعتُها أندىٰ يدا منه وأجود بالنفيس المتلدِ

وأجمُّ أفضالاً وأفسح جانبا منه وأكفىٰ للعويصِ الأمردِ

وأجلُّ مقدارًا وأعلىٰ همةً منه وأرأف بالغريبِ الألمدِ

وأعزُّ منه ذرىٰ وأوشك نصرةً لفتىٰ بأيدي الحادثاتِ ملهدِ

وأعمُّ عارفةً وأطهرُ ساحةً وأعفُّ عن جافٍ له ومندّدِ

وأبرُّ أفعالاً وأزكىٰ شيمةً وأحقُّ بالمجدِ الرفيعِ الأبجدِ

---

(١) الأبيات من بحر الطويل.

* عبد الله بن طاهر: عبد الله بن طاهر بن الحسين بن معصب بن زريق الخزاعي بالولاء، أبو العباس، أمير خراسان، كان ديوانه خمسين ورقة. له مجموع رسائل. ولد نحو عام ١٨٢هـ، وتوفي عام ٢٣٠هـ تقريبًا. وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. انظر: ديوانه جمع منجي الكعبي (تونس). الأغاني: ١٢/ ١٠١ - ١١٢، وفيات الأعيان: ١/ ٢٦٠، والمحبر: ٣٧٦، ومعجم الشعراء (عفيف): ٢٧٨.

* وعوف بن مُحَلِّم الخزاعي، أبو المنهال، عالم وأديب وراوية ونديم وشاعر، من حران، من الموالي، انتقل إلىٰ العراق، فاختصه طاهر بن الحسين لمنادمته، فبقىٰ معه ثلاثين سنة، ومات طاهر، فقربه ابنه عبد الله، وقد جاوز الثمانين، وحنَّ إلىٰ أهله، ففارق عبد الله، ومات في طريقه إلىٰ حران. انظر: معجم الأدباء: ٦/ ٩٥، والأعلام: ٥/ ٩٧، وسمط اللآلي: ١/ ١٩٨، ومعجم الشعراء (عفيف) ٣٥٠، وشذرات الذهب: ٢/ ٣٢.

والأبيات بالأمالي: ١/ ١٣٣، وبعضها ببدائع البداثة: ١١١، وسمط اللآلي: ١/ ٣٧٢، وبعضها بتلقيح العقول: ٤٨، ونسب صاحب الحماسة البصرية الثلاثة أبيات الأُول إلىٰ أبي كبير الهذلي. انظر الحماسة البصرية: ٢/ ٦١٧، ٢/ ٦١٨.

غيثُ الورىٰ ذاك بن ناصرٍ الذي نصرَ الإلهُ به شريعةَ أحمدِ

حلا: كلمة تقال: جوابًا وردًا إذا وقع من أحد كلام تغالي فيه أو يمين فجر فيها أو وعيد من غير حقيقة تقول له: حلا يا فلان، أي تحلل من كلامك أو من يمينك أو من وعيدك، ومن ذلك قول عمرو بن معد يكرب[1] لأمير المؤمنين عمر رضي الله تعالىٰ عنه حين ذكر عمر وخالدًا فيما أتىٰ به من الضيافة يستقلها، فقال أمير المؤمنين: إن في هذا لشبعة، فقال عمرو: حلا يا أمير المؤمنين فيما تقول: أي تحلل من كلامك؛ فإنه لا شبعة هنالك، والقصة معروفة.

وهو منصوب علىٰ المصدرية بالعامل المقدر فلما كان قوله أولاً. «لو كان عبد الله يسمع نوحتي إلىٰ آخره».

يقتضي أن الجدوىٰ والغنىٰ والبر والجود والفضل قد فات بفوات عبد الله وأمثاله، أو أن نوحة هؤلاء الأولاد ونوحتك لم يسمعها من يرق لهم ولك ويجزل عليك العطية ويكيفيك النقلة ويكفيهم الفرقة، وهذا كله غير صحيح؛ لأن هذه النوحة قد سمعت وسامعها أجود من ابن طاهر وأقعد بكل مكرمة وأثبت في كل فضيلة فأنت أسعد من ابن ملحم وأجدر بالظفر وأحق بالنجع وأولىٰ بالربح؛ فلذا ردّ علىٰ نفسه مثبتًا لهذا الغرض ومتخلصًا به من باب النسيب وما التحق به إلىٰ باب المديح الذي هو المقصود بالذات مع ما تلتحق

---

(١) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي من سعد العشيرة من مذجح من اليمن، شاعر جاهلي، ويكنىٰ أبا ثور. من فرسان العرب المشهورين بالبأس، أدرك الإسلام ووفد علىٰ النبي (ﷺ) فأسلم ثم ارتد بعد وفاته وهاجر بعد ذلك إلىٰ العراق فأسلم، وشهد القادسية، توفي عام ٢١هـ. انظر: ديوانه بتحقيق هاشم الطعان (بغداد). والأغاني: ١٥/ ٢٠٨ - ٢٢٩، وخزانة الأدب: ١/ ٤٢٥، والأعلام: ٥/ ٨٦، ومعجم شعراء اللسان: ٣٠٥، والعقد الفريد (الفهارس)، وسمط اللآلي: ١/ ٦٣، وسرح العيون: ٢٦٧.

به، فقال: حلا، أي تحلل من كلامك وأخرج عنه ولا تعتقده، فوالله لقد أسمعتها أي هذه النوحة أندىٰ يدًا، أي أسخىٰ منه، أي من عبد الله وأجود منه بالنفيس. المتلد: أي الموصل. وأجم: أي أكثر منه أفضالاً علىٰ الناس. وأفسح: أي أوسع جانبًا حسًا، وهو كناية عن الكرم والإطعام. ومعنىٰ وهو كناية عن حُسن الخُلق والتبحر في العلم مع عموم الانتفاع. وأكفي: أي أعظم كفاية للأمر. العويص: أي الخطب الشديد. الأمرد من قولك مرد الشيء مرودًا إذا عتىٰ وتجاوز الحد. وأجل: أي أعظم مقدارًا علمًا وعملاً عند الله وعند الناس وأعلىٰ همة لانبعاث رغبته إلىٰ معالي الأمور من معرفة الله تعالىٰ ومعرفة أحكامه وحكمته وطلب ما يبقىٰ والزهد فيما يفنىٰ. وأرأف: أي أرق وأرحم بالغريب. الألمد: أي الذليل المتواضع. وأعز منه: أي من عبد الله. ذرىٰ: أي ساحة؛ لأن المعتز بالله تعالىٰ أعز من المعتز بالفاني، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]. وأوشك: أي أسرع منه نصرة. الفتىٰ ملهد: أي مدفوع بأيدي الحادثات. وأعم منه: أي أشمل. عارفة: أي عطية ووصلة لانتفاع الناس به علمًا وعملاً ظاهرًا وباطنًا وأطهر منه ساحة لبعده عن كل ما يستقبح ويسترذل شرعًا وعادة، وكذلك من يعاشره فلا يأمر إلا بخير ولا يدل إلا عليه. وأعف منه: أي أكثر عفافًا عن مجازاة الجافي عن جفائه والمندد عن تنديده. والتنديد: هو التصريح بالعيوب واستماع القبيح وندد فلان بفلان أسمعه القبيح وعابه، والكريم لا يجزي السيئة بالسيئة، بل يعفو ويصفح. والعفاف: ترك ما لا يحل شرعًا أو طبعًا. وأبر منه: أي أحسن أفعالاً لجريانها علىٰ وفق الشرع. وأزكىٰ: أي أصلح أو أطهر شيمة، وهي الطبيعة لتهذبها بمحاسن الآداب الشرعية وتخليها من الأخلاق الذميمة، وتحليها بالأوصاف الحميدة. وأحق منه بالمجد: أي الشرف الرفيع مبالغة. الأبجد: أي الأثبت من قولهم بجد بالمكان أقام به. ثم الموصوف بهذه الأوصاف كلها هو

---

(١) سورة المنافقون: آية ٨.

غيث الورىٰ لانتفاعهم به كالانتفاع بالغيث ذاك ابن ناصر، وهو سيدنا وأمامنا وقدوتنا ووسيلتنا إلىٰ الله تعالىٰ الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن ناصر بن عمرو الدرعي نصر الإله به شريعة نبينا ومولانا وشفيعنا أحمد المصطفىٰ خير العالمين وسيد المرسلين صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا؛ لأن الله تعالىٰ أشهرها به وأظهرها وأخمد البدع وأذهب آثارها، ثم قال:

وأعادَ وجهَ الدينِ أبيضَ مسفرا ... بهجا مقر أعين كل موحّدِ
وأُقامَ سمكَ بنائهِ حتىٰ سما ... فوقَ السماكِ علىٰ الأواسي الوطّدِ
وأزاحَ عنه كلَّ حِندسِ شبهةٍ ... وضلالةٍ وخلاعةٍ وتشدّدِ

المسفر: المنير. والبهج: الحسن. وقرّت عين فلان تقرّ: بردت وانقطع بكاؤها، واستعمل في لازم هذا المعنىٰ، وهو السرور ووجدان المطلوب، وأقرت عينه فعل به ذلك. وسمك البناء: رفعه، ويطلق في العرف علىٰ مقدار طوله وارتفاعه وعلىٰ السموك. والسماك: النجم المعروف، وهو سماكان الأعزل، والرمح[1]. والأواسي: جمع آسية وهي السارية. والوطد: الثوابت جمع واطدة، تقول: وطد الشيء إذا ثبت ورسىٰ. والإزاحة: الإبعاد. والحندس: بكسر الحاء الظلمة والليل المظلم.

أي: وهذا الشيخ هو الذي أعاد وجه الدين أو أعاد الله به وجه الدين أبيض مشرقًا لاستقامته واستقامة أهله وتنويره بتنوير بصائر أهله وإلا فهو في ذاته لا

---

(١) السماك الأعزل: نجم وقَّاد، وشبهوه بالأعزل من الرجال، وهو من لا سلاح له، وهو منزل القمر.

والسماك الرمح: كوكب تقدمه آخر، وشبهوه بالرمح، وهما ساقا الأسد وسُمِيَ سماكا لعلوّه، ولا يقال لغيره إذا علا سماك.

انظر: العمدة: ٢/ ٢١٩.

يزال مستقيمًا فصار بهجا يجد فيه كل موحد ما تقرّ به عينه، وفي لفظ موجد مع ما قبله توجيه لاحتمال أن يراد به العام والخاص.

ولا شك أن الشيخ رضي الله تعالىٰ عنه قد نصبه الله قدوة للعام والخاص وإمامًا في الظاهر والباطن، وأقام أيضًا سمك بناء الدين عاليًا به حتىٰ علا علىٰ السماك، وإنما أقامه علىٰ القواعد الثابتة بالعلم والسنة وتحقيق الإنابة والالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ في كل حال والتفويض والتسليم وغير ذلك. وما ذكر من الوجه والبناء والأواسي كله استعارات لا تخفىٰ. وأزاح عن الدين أيضًا كل ظلمة أو مظلم شبهة وضلالة وخلاعة وتشدد.

واعلم أن هذه الأربع المذكورة في البيت هي مجمع الشر ومنبع الزيغ والغي. نسأل الله العافية **الأول: اتباع الشهوات** أو إلقاؤها في الأصول أو الفروع، وهذا أصل لكل ما بعده في الجملة الثانية.

الضلالة: وهي الخروج عن الحق أما مع استناد إلىٰ شبهة وهو الجهل المركب أو بلا شيء وهو الجهل البسيط، ويكون ذلك إما كفرًا وإما معصية وإما سوء أدب، وهذا كله في الباطن والظاهر تبع إما بمحرم أو مكروه من فعل أو ترك.

الثالثة: **الخلاعة** وهي عدم المبالاة بالحق، وإن كان معروفًا.

الرابعة: **التشدد** وهو الزيادة والغلوّ فوق القدر المحتاج والجميع ضلالة وبالسلامة منها كلها تحصل الاستقامة ويضمحل الهوىٰ، ثم قال:

كـم سـنـة أحـيـيـتْ بـعـد إمـاتـةٍ وضـلالـةٍ أخـمـدتَ بـعـد تـوقّـدِ

أي: كم سنة أحييتها بعدما أماتها ذوو الجهالات وتقلبت عليها العادات، وكم من ضلالة أخمدتها وأذهبتها بعدما توقدت نارها وظهرت آثارها، وهذا

التفات من الغيبة إلىٰ الخطاب، ثم قال:

وافيتَ والبدع الحوادث قد دجتْ ظلماتُها والجهلُ واري الأزنـدِ
والدينُ مطموسُ المعالمِ والهدىٰ بيضُ الأنـوق ولقطة لـم تنشدِ
والسـنـةُ الـغـراءُ قـفـرٌ موحـشٌ مـا فـيـه مـن هـادٍ ولا مـن مهتدِ

وافىٰ: أتىٰ وحضر. ووریٰ الزند يري فهو وار: أخرج ناره. والمطموس: الممحوّ. المعالم: الآثار التي يهتدىٰ بها. والأنوق: الرخمة وبيضها يكون في الشواهق فلا يوصل إليه فيضرب مثلاً[1] في الشيء العزيز المنال. واللقطة: المال الضائع. إنشادها: ذكرها والتعريف بها، ونشدها طلبها والسؤال عنها.

أي: وافيت أيها الشيخ بأن ظهرت لهداية الخلق وإقامة الدين وتعليم الطالبين وتربية المريدين، والحالة أن البدع التي هي الحوادث، فالوصف كاشف أو المحدثة التي لم يستحسنها السلف ومن تبعهم من الخلف، وهي البدع المذكورة ولشرح البدع وتفصيلها محل غير هذا، وقد دجت: أي اشتدت ظلماتها وما زالت البدعة والجهل تشبه بالظلمة لعدم الاهتداء معها إلىٰ الخير وعدم السلامة من الضير كمن يمشي في الظلمة. والعلم والسنة يشبه بالنور لضد ذلك والجهل، وارىٰ الأزند، أي: ظاهر قوي. والدين مطموس المعالم لعدم أهله القائمين به المقتدىٰ بهم فصار كالجهل الذي لا طريق فيه، والهدىٰ وهو الرشاد ظاهرًا وباطنًا بالانتفاء عن الجهل والغرة والغفلة والبدعة، وغير ذلك أعز من بيض الأنوق فلا يكاد يوجد، وهو أيضًا كلقطة ليس لها معرف تؤخذ منه ولا طالب تدفع إليه، والسنة التي كانت غراء في زمن المصالح، أي مشهورة كشهرة الأغرّ بغرته هي اليوم قفر موحش خال ما فيه هاد يدل علىٰ الحق، ولا

(١) يقال: «أبعد من بيض الأنوق» زهر الأكم: ١/ ١٩٥، ٣/ ٦٦. والمثلين: ٣/ ١٥٣، ومجمع الأمثال: ١/ ٤٦٤، ٢/ ٣٩٠، وثمار القلوب: ٤٩٤.

مهتد يدين به أو يطلبه، وكذا شأن الموضع الخالي، ثم قال:

نشبتْ بضبعيها مخالبُ ضَيغمٍ من مألفِ العاداتِ عادٍ محردِ
ومحا المحاقُ بدورَها فتكنفتْ مُقَلَ الورىٰ ظلماء ليلٍ سرمدِ

نشب الشيء بالشيء: علق به. والضبع: العضد، وقيل: الإبط. ومخالب السبع معروفة. والضيغم: الأسد. والعادي: من العدوان. والمحرد: الكثير الحرد وهو الغضب. والمحاق: أن يستتر القمر فلا يطلع، وذلك آخر الشهر؛ لأنه يجتمع بالشمس فتمحق نوره، أي تمحوه وتذهبه. وتكنفك الشيء: أحاط بك. والمقل: جمع مقلة. والسرمد: الدائم والليل الطويل، وهو المراد هنا.

أي: نشبت بضبعي السنة مخالب ضيغم من مألوف العادات فتغلب عليها فاضمحلت السنة، وظهرت العادات وضيغم العادات كثير العدوان شديد الغضب لموافقته هوىٰ النفس ودعوىٰ شيطان الإنس والجن. وإثبات الضيغم المفترس للعادات مجاز، وكذا إثبات الضبع للسنة. ومحا أيضًا المحاق وهو انقراض العلم وأهله بآخر الزمان. بدور السنة وفيه تورية؛ لأنه إما تخييل البدور للسنة، أو المراد أهلها الماضون، ثم قال:

وعفتْ أعاصيرُ الهوىٰ آثارَها فاستبهمتْ عن ناشدٍ أو منشدِ

العفو: المحو تقول: عفت الرياح الأثر إذا محته. والأعاصير: جمع إعصار وهي أقوىٰ الريح. والهوىٰ: الحب والعشق وإرادة النفس، والمراد في نحو هذا ميل القلب إلىٰ ما هو حظ للنفس من غير مرادات الشرع. والناشد: الطالب. والمنشد: المعرّف.

أي: رياح الهوىٰ محت آثار السنة، فلم تظهر لمن يتعلمها، ثم قال:

واستوثقتْ أيدي الغوايةِ والهوىٰ بأزِّمةِ الألباب شلت من يدِ

الغواية: بفتح الغين الضلالة، يقال: غوىٰ بالفتح غيًا، وغوي بالكسر غواية. والأزمة: جمع زمام وهو ما تقاد به الناقة. والألباب: العقول. والشلل: اليبس في اليد أو ذهابها رأسًا، تقول: شلت يده تشل بالفتح شلاً وشللاً وشلت بالضم وأشلت. واليُدي: بضم الياء جمع يد كعصا وعصي، وفلس وفلوس.

أي: تمكنت أيدي الغواية والهوىٰ بأزمة الألباب تقودها حيث شاءت. واليد والزمام استعارة. وشلت من يد دعاء، ثم قال:

والعلمُ ضاح ظله وصدىٰ التقىٰ قد صمَّ والغي استطالَ بأجندِ

الضاحي: البارز للشمس. وظله ضاح كناية عن ذهابه وعدمه؛ لأن المعدوم لا ظل له فليس إلا الشمس. والصدىٰ: ما يُسمع من الشاهق ونحوه يحكي صوتك، ويقال: ضم صدىٰ فلان إذا هلك ومات؛ لأن الميت لا كلام له فلا يكون له صدىٰ. واستطال عليه: تطاول.

أي: العلم قد عدم فلم يبق له ظل، والتقىٰ كذلك والغي، أي الضلال قد ثار بجنوده، ثم قال:

فكشفتَ جلبابَ الجهالةِ عن سنىٰ بدر لسائمةِ الضلالِ مندّدِ

الجلباب: الذي تلبسه المرأة معروف، ويستعار لما يغطىٰ من جهل ونحوه. والسنىٰ: بالقصر الضوء. والسائمة: الراعية وهو هنا استعارة للضلالات الفاشية في الناس. والمندد: المفرّق.

وهذا البيت مرتب علىٰ قوله وافيت[1] إلىٰ آخره، أي جئت والبدعة طافحة، والعقول إلىٰ الغي جانحة فكشفت غطاء الجهالة فظهر منك بدر ليشتت الظلام، ثم قال:

---

(١) في (م): وأتيت.

بل ضوءُ صبحٍ بل نهارٌ ناسخٌ آياتهُ ليلُ الشكوكِ الزرّدِ

الزرد: الخنق وهو زارد، وهم زُرُد.

أي: كشفت عن ضوء الصباح، بل عن النهار المحض، وهذا ترتيب حسن؛ لأن ضوء البدر دون ضوء الفجر، وضوء الفجر دون النهار أعني عند طلوع الشمس والنهار ناسخ لليل، والليل هنا الشكوك التي تخنق العقل وتضيق الصدر، ثم قال:

وطلعتَ في فلكِ الهدايةِ والتقىٰ بجلاءِ محل ملكواكب أسعدِ

بجدىٰ عميم غيثه بقع النهىٰ والعلم لا بقع السحا والغرقدِ

بمغرّبٍ ومشرقٍ متيمنٍ متشائمٍ متكوّفٍ متبغددِ

الجلاء بالكسر: الصقل. والمحل: الجدب والمطر العام فوصفه بعميم للمبالغة والتأكيد. والغيث: المطر وغاث الأرض أصابها. والبقع: جمع بقعة. والنهىٰ: جمع نهية وهي العقل. والسحا والغرقد: نوعان من الشجر. ويمن الرجل: أتىٰ اليمن. وتشاءم: أتىٰ الشام. وتكوّف: انتسب إلىٰ الكوفة أو تشبه بهم. وتبغدد: انتسب إلىٰ بغداد أو تشبه بهم وذال بغداد تعجم وتهمل كما في البيت، وفيه لغات[1].

أي: طلعت أيها الشيخ في الهداية والتقىٰ، وذلك فلكك الذي يكون فيه حركتك ويظهر سعدك وأثرك بجلاء محل، أي بكوكب هو جلاء للمحل، أي كاشف له. والنعت بالمصدر مبالغة، وهذا تجريد كما تقول: لقيت بفلان بحرًا

(١) بغداد: قيل معناها: بستان الرجل، باغ: بستان، داد: اسم رجل، وقيل غير ذلك. وفي بغداد سبع لغات: بغداد/ بغدان/ بغداذ/ مغداذ/ مغداد/ مغدان/ بغذاد، انظر معجم البلدان: ١/ ٤٥٦.

وأسدًا. وقوله بجدىٰ: بدل اشتمال من جلاء؛ لأن كون الكوكب جلاء للمحل وأسعد إنما هو بما يصحبه من المطر فهو مفهوم عند ذكره، ثم وصف هذا المطر بأنه عام، وأنه يصيب بقع العقول فيهديها أو بقع العلوم فيحييها، وليس هو المطر الحسي الذي يصيب السحا والغرقد، فإن هذا أشرف وأعلىٰ، ثم أبدل منه أيضًا قوله بمغرّب يريد أن هذا المطر قد عم حتىٰ وصل إلىٰ المغرب والمشرق، ثم وصل منه إلىٰ اليمن وإلىٰ الشام وإلىٰ الكوفة وإلىٰ بغداد، وهذا كله عبارة عن كون مدد الشيخ ونفعه عم الناس وسار في الأقطار، ولا شك أنه كذلك فقد انتفع به أهل المشرق، وأهل المغرب، وانتشرت أتباعه في تلك الآفاق، وذلك من فوائد ما حركه الله إليه من الحج كما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ، ثم قال:

حتىٰ غدتْ سننُ النبيِّ المصطفىٰ ... صلىٰ عليه اللهُ من هادٍ هدي

عذبًا مشار بها زواهر نضَّرا ... تزري بروضٍ في الربىٰ مستغردِ

روضٌ زها نسرِيُنه وبهارُه ... لما غداه كل جونٍ مِجْوَدِ

وجرتْ مزانبه فأصبحَ منيةً ... لِلوُرّدِ العذبِ الروىٰ والروّدِ

الهادي: الذي يهدي غيره إلىٰ الخير، والمهدي الذي هداه الله تعالىٰ بأن جعل الهدىٰ في قلبه، والنبي (ﷺ) هادٍ مهدي، وذلك هو الكمال. والمستغرد من الرياض: الناعم كأنه يدعو بنعمته الطير إلىٰ أن تغرّد فيه. والنسرين، والبهار: نبتان معروفان. وغدته السحابة: جاءت غدوة، ويقال أيضًا: غاداه[1]. والجون: السحاب الأسود من كثرة الماء، ويكون الجون أيضًا بمعنىٰ الأبيض. والمجود: بكسر الميم مفعل من جاده الغيث يجوده. والمزانب: سائل الماء إلىٰ الأرض وجداول تجري إلىٰ الحوض ونحوه، جمع مزنب كمنبر. والمنية: ما يتمنىٰ الإنسان. والورد: جمع وارد. والروىٰ: بكسر الراء، أي المروي يقال: ماء روي

(١) وفي (ط): سقاه.

أي مروي. الروّد: جمع رائد وهو الطالب للكلا.

أي: طلعت بالنجم السعيد والنفع العام للقريب والبعيد حتىٰ غدت سنة النبي (ﷺ) من نبي هداه الله وهدىٰ به عذبة المشارب زاهرة ناضرة تشرق وتفضل علىٰ روض الربىٰ الناعم، روض صفته ما ذكر من الابتهاج والحسن وكثرة النعمة وجريان الماء حتىٰ أصبح منية لطالب الماء العذب ولطالب الكلا الرطب.

فإن قلت: كان الأولىٰ بالترتيب تقديم المهدي علىٰ الهادي؟ قلت ذلك: بحسب الوجود الخارجي والمراد في هذا شيء آخر، وهو النظر إلىٰ كون المتصدي للهداية مهديًا لا دجالاً، ولذا قال (ﷺ) لجرير: «اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا»[1]؛ لأن الكلام في الهادي، وأنه إما مهدي أو غير مهدي لا في المهدي، وأنه إما هاد أو غير هاد، فافهم، مع أن الهادي محتاج إلىٰ الاهتداء في هدايته أيضًا، ثم قال:

ومنحتَ أحياءَ الهدايةِ موضحا ... منهاجها للسالكِ المتعبِّدِ
وفتحتَ مغلقَ سُبلها وسددتَ عنـ ... ـها ثغرَ لبس مِلْهَوىٰ لم يسددِ
وحميتَها من كلِّ سارٍ سارقٍ ... وفككتَ عنها الغلَّ عن هادي الهدي
حتىٰ وضعتَ بها علىٰ محتاجِها ... تاجَ السنىٰ وزففتها زفَّ الهدي

أي: ومنحت الناس إحياء الهداية بأن أجرىٰ الله تعالىٰ إحياءها علىٰ يديك حالة كونك موضحًا منهاجها، أي طريقها الواضح لكل سالك طريق الدين أو

(١) رواه البخاري برقم ٣٠٣٦، ومسلم برقم ٢٤٧٥.
وجرير هو جرير بن عبد الله، يكنىٰ أبا عمرو، وهو من بجيلة قدم علىٰ النبي (ﷺ) سنة عشر في رمضان وأسلم. وكان عمر يقول: جرير يوسف هذه الأمة لحسنه. وقال فيه النبي (ﷺ) علىٰ وجهه مسحة ملك. انظر: المعارف: ٢٩٢.

طريق الآخرة أو طريق الخصوصية، وهو المراد عند العرف متعبد لله تعالىٰ، وفتحت المغلق علىٰ الناس من سبلها، وسددت عنها، أي عن الهداية كل ثغر وهو في الأصل موضع المخافة بيننا وبين العدو، والمراد مداخل اللبس والوسواس والابتداع مما لم يكن مسدودًا قبل وجودك، وحميتها أي حفظتها ومنعتها من كل سار بالليل سارق، وهو هنا شيطان الجن والإنس. والهوىٰ، والنفس، والليل ليل الجهل، والغرة، والغفلة، والشهوات؛ ففي هذه الظُلَم يجد الشيطان والهوىٰ والنفس مجالاً إلىٰ العقل، وفككت منها الغل وهو ما يجعل في العنق من هادي الهدي، أي عن عنق الأسير حتىٰ وضعت بها، أي بالهداية عن محتاجها من المريدين. وأهل الدين تاج السنىٰ، أي تاجًا من النور. وزففتها إلىٰ أربابها زف الهدي، أي العروس محلاة مزينة محفوفة بالبر والاحتفال بارعة البهاء والجمال، وهذه كلها مجازات. والمراد: القيام بالسنة وإخماد البدعة، وذلك شأنه، ثم قال:

فهززتَ عِطفي كل برٍ سالكٍ ومددتَ من ضبعيه ما لم يمددِ
حتىٰ أقمتَ بالاستقامةِ قامة الـ (م) ـستقوىٰ مثقفٍ ما بها آودِ
وجلوتَ عن حُجُبِ السرار هلالها وأعدتَه بدرًا يلوحُ لمقتدِ

العطف بكسر العين: الجانب، وعطفًا كل شيء جانباه، وعطفًا الرجل جانباه من رأسه إلىٰ قدمه، واهتزاز العطف مثل في النشاط والسرور والارتياح أو نحوه قال تأبط شرًا:

أهزُّ به من ندوة الحي عطفه كما هزَّ عطفي بالهجان الأوارك[1]

والضبع تقدم. ومدّ الضبع مثل أيضًا في الإعانة والإنجاد. وتثقيف العود

(١) البيت من بحر الطويل.
تأبط شرًا: ثابت بن جابر بن سفيان، من فهم بن قيس، سُمي بذلك لأنه تأبط سيفًا وخرج،=

والرمح ونحوه: تسويته. والآود: بمدّ الهمزة المعوج، يقال: أود بالكسر أودًا فهو آود. وجلا الشيء يجلوه: كشفه وصقله. والسرار: بكسر السين وفتحها: آخر ليلة من الشهر.

أي: فهزت عطف كل برّ، أي مطيع لله تعالىٰ سالك طريقه بما أثبت من الحق، ونشرت من العلم، وأقمت من الدين وأنت منجد له ومعين بما أفدت وما علمت وما ربيت حتىٰ أقمت باستقامتك واستقامة من اقتفىٰ أثرك قامة التقوىٰ مسوّيًا لما فيها من معوج علىٰ غيرك ممن لم يوفق لمجاهدة نفسه وعلمه حاله. وإثبات القامة والاعوجاج استعارة تخيلية بعد الاستعارة في التقوىٰ بالكناية عن الشخص. وكشفت عن حجب السرار هلالها فرددته بدرًا كاملاً؛ لأنها كانت اضمحلت وخفيت كالهلال في آخر الشهر فجددتها وأظهرتها، ثم قال:

أنت الذي جاريتَ أرباب النهىٰ　　　فسبقتهم سبقَ الجوادِ المجودِ
أنت الذي قرطستَ لما أخصلوا　　　وفلجتَ عنهم بالمعلىٰ الأسودِ

الجواد: من الخيل البارع. يقال: جاد الفرس جودة بالضم فهو جواد، وجاد في عدوه وأجود وجود. وقرطس الرامي: أصاب القرطاس، وهو كل ما ينصب للرمي. والاخصال: قيل هي الإصابة أيضًا، وقيل: أن يلزق فقط، ولذلك تعد خصلان بقرطسة عند أهل النضال وعلىٰ هذا جرىٰ في البيت. وفلج الرجل يفلج ويفلج: ظفر وفاز فلجا، والاسم الفُلج بالضم. والمعلىٰ: السهم السابع

= فقيل لأمه: أين هو؟ قالت: تأبط شرًا، وهو أحد لصوص العرب المغيرين وصعاليكهم، ومن العدائين المشهورين زوج أمه هو أبو كبير الهذلي، وقد حاول زوج أمه قتله عدة مرات، ولكنه كان يقظًا. انظر: ديوانه بتحقيق: طلال حرب (بيروت) طبقات ابن سلام: ٦٢٠، وسمط اللآلي: ١/ ١٥٨، وخزانة الأدب: ١/ ٦٦، ٣/ ٣٥٧، والأعلام: ٢/ ٨٢، ومعجم الشعراء (عفيف) ٤٤، والبيت بديوانه: ٥٢. برواية: أهزُّ به في ندوة الحي عطفه.

من سهام الميسر وهو أعظمها نصيبًا. والأسود: السهم المبارك يتيمن به وكأنه أسود من كثرة ما مسته الأيدي.

أي: أنت الذي جاريت أهل النهىٰ، أي الفضائل والكمالات فسبقتهم كما يسبق الجواد المجلىٰ في الحلبة غيره، وأنت الذي أصبت في الأغراض ما لم يصيبوا وفزت من الحظ الأوفر بما لم يفوزوا، ثم قال:

وعبرتَ من لججِ المعارفِ لجةً وقفتْ بساحِلها فحولُ الورّدِ
وكرعتَ غير مزاحمٍ بحياضِها فوردتَ منها كلَّ عذبِ الموردِ
وقطفتَ منها كلَّ نورٍ زاهرٍ وهصرتَ منها كلَّ غصن مِؤتدِ
وحللتَ منها كلَّ ربعٍ مرحبٍ وأسمتَ سرحَك كلَّ روضٍ أغيدِ
وركبتَ منها كلَّ وجنىٰ عرمسٍ وحلبتَ منها كلَّ مشكرٍ صِمردِ
وحُلِيتَ منها بالثمينِ المنتقىٰ ولبست منها كلَّ فضفاضٍ يدي

أي: قطعت وتجاوزت من لجج المعارف لجة، وهي معظم الماء، وقفت بساحل اللجة فحول الواردين من السالكين والمتعلمين فلم يدخلوها عجزًا، فضلاً عن أن يعبروها، وكرعت في حياضها. والكرع: هو الشرب بالفم وهو أنفع، غير مزاحم لانفرادك بهذه المرتبة فوردت من حياضها كل عذب المورد، وقطفت من المعارف أيضًا كل نَور بفتح النون وهو الزهر، زاهر، أي ناضر حسن، وهصرت منها أيضًا كل غصن مؤتد: أي يانع الثمر. يقال: أدت الثمرة تأدو أدوا علىٰ فعول إذا أينعت ونضجت، وحللت من المعارف كل ربع رحب أي واسع، يقال: رحب المكان وأرحب إذا اتسع. وأسمت سرحك، أي رعيت سارحتك في كل روض أغيد، أي ناعم، وركبت من المعارف أيضًا كل ناقة وجنىٰ بالقصر للوزن وهي العظيمة الوجنتين كما مرّ. عرمس: أي شديدة، وحلبت من المعارف

أيضًا كل مشكر صمرد، بالإضافة أي كل ضرع مشكر، أي ملآن باللبن من ناقة صمرد بكسرتين، أي غزيرة، يقال: أشكر الضرع إذا امتلأ. والصمرد: الغزيرة، وتستعمل أيضًا بمعنىٰ القليلة اللبن علىٰ الضد. واشكار الضرع في البيت يدل علىٰ المعنىٰ الأول مع سياق المديح. ولو أريد الثاني أيضًا لصح علىٰ معنىٰ أنه نال الرغائب والمواهب من حيث لا تحتسب، وذلك أغرب وأعجب. وحليت أيضًا من المعارف وهو بكسر اللام. يقال: حلىٰ بكذا أو تحلىٰ به بالثمين، أي العظيم الثمن المنتقىٰ، أي المختار. ولبست من المعارف كل ثوب فضفاض، أي واسع. يدي أي واسع فهو توكيد ومبالغة. يقال: ثوب أدىٰ ويدي علىٰ مثال: غنىٰ، أي واسع، ثم قال:

وفتحتَ أصدافَ المكارمِ للورىٰ — وجمعتَ أصنافَ السلوكِ الأقصدِ

وركبتَ أكتافَ المجادةِ والعلىٰ — ومنحتَ أعـرافَ العلومِ الـشّـردِ

ونجعتَ أكنافَ المعالي مخصبا — ومريتَ أخـلافَ الرغابِ المُجّدِ

الأصداف: جمع صَدَف بفتحتين وهو غشاء الدر. والأقصد: الأعدل من القصد وهو العدل. والأعراف: جمع عُرف بضم العين وهو شعر عنق الفرس. الشُرّد: جمع شارد وهو الهارب. ونجعت بلد كذا: قصدته لطلب الغيث والكلا. والأكناف: جمع كَنَف: بفتحتين وهو الجهة. وأخصب الرجل: وقع في الخصب. ومرىٰ الضرع يمريه: مسحه ليدرّ. والأخلاف: جمع خلف وهو حلمة ضرع الناقة، وقيل: هو للناقة بمنزلة الضرع للشاة. والرغاب: جمع رغيبة وهي الأمر المرغوب فيه، والرغيبة أيضًا: العطاء الكثير. والمُجّد: جمع ماجدة، وهو من قولك: مجدت الإبل مجودًا إذا وقعت في المرعىٰ الكثير. فلما نسب الأخلاف إلىٰ الرغاب جعلها ماجدة، وبذلك تكون أعز ورودًا، وهذه كلها مبالغات واستعارات بالكناية بجعل: المكارم درًّا إذا فتحت أصدافه

غنم، والمجادة شخصًا إذا ركب كتفه استولىٰ عليه، والعلوم خيلاً إذا ملكت أعرافها قبضت، والمعالي جهات من الأرض من انتجع أكنافها وجد الخصب، والرغاب نوقًا تستدر أخلافها. وفي الأبيات السجع الذي ذكرته قبل ولو شئت أن تستخلصه لقلت: فلان فتح الأصداف، وجمع الأصناف، وركب الأكتاف ومنح الأعراف، ونجع الأكناف، ومرىٰ الأخلاف، ثم قال:

ما زلـتَ تمتحنُ الليالي خارقًا جلبابها المسدول فـوقَ الهجّدِ

ومُـسـهَّـدًا منـهـا عـيـونًـا طالما كـريـتَ ومـا منيتَ بـريـبِ مسهّدِ

حتىٰ حبتكَ سـعـادةُ الـداريـنِ في عـزِّ الـجـنـاب وكـيـمـياءِ الـسـوددِ

الامتحان: الاختبار. الهجد: جمع هاجد وهو النائم. وكرىٰ بالكسر: يكري والمد معروف.

أي: ما زلت تمتحن الليالي بالذكر والفكر وأنواع العبادات حالة كونك خارقًا جلباب الظلام بقيامك وهو مسدول فوق النائمين؛ لأنه يغطيهم، وحالة كونك مسهدًا عيون الليالي التي طالما نعست وما ابتليت بمسهد يسهدها، وهذا مجاز كقولهم: «أصمت نهاري، وأسهرت ليلي»[١]، أي: أصمت نفسي وأسهرت نفسي في النهار وفي الليل، ونهاره صائم وليله قائم حتىٰ حبتك الليالي،

---

(١) هو جزء من حديث مرفوع: عن الثوري عن عمرو بن قيس عن زيد السلمي قال: قال النبي (ﷺ) للحارث بن مالك: كيف أصبحت يا حارث بن مالك؟ قال: من المؤمنين. قال: أعلم ما تقول. قال: مؤمن حقًا. قال: فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة ذلك؟ قال: أظمأت نهاري وأسهرت ليلي، وعزفت عن الدنيا حتىٰ كأني أنظر إلىٰ العرش حين جاء به، وكأني أنظر إلىٰ عذاب أهل النار في النار وتزاور أهل الجنة في الجنة. قال: عرفت يا حارث بن مالك. فالزم عبدًا نور الله الإيمان قلبه. قال: يا رسول الله، ادع لي بالشهادة. فدعا له قال: فأغير علىٰ سرح المدينة فخرج فقاتل حتىٰ قتل».

أي أعطتك سعادة الدنيا والآخرة بالمعرفة والاستقامة وفيها النجاة دنيا وأخرىٰ، وبذلك يحصل السودد أيضًا عند الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. وإسناد ذلك إلىٰ الليالي مجاز أيضًا وفيه توهم لطيف، وإنه كمن يمتحن شخصًا ليدفع مالاً أو يخرج كنزًا فنال ذلك، ثم قال:

فليهنكَ المجدُ الذي ما فوقه ... في الدهرِ من مرقىٰ يرامُ ومصعدِ

وليهنكَ الكنزُ الذي ظفرتْ به ... قدمًا فحولُ العارفين الزهَّدِ

كنز متىٰ ظفرتْ به كفُّ الفتىٰ ... لم يفتقرْ لمزادةٍ أو مزوَدِ

يهنك: مضارع هنا يقال: هناني الطعام يهناني، والهنيء كل ما لا تعب معه ولا مشقة. والمزادة: الرواية التي يكون فيها الماء وألفها عن ياء من زاد يزيد. والمزود: وعاء الزاد.

أي: لتتهنأ بالمجد الذي ليس فوقه مرقىٰ يرام ولا مصعد، وهذا مبالغة أو تحقيق بإرادة جنس ذلك الكمال لا القدر الحاصل منه، وبالكنز الذي ظفرت به قدمًا، أي فيما مضىٰ فحول العارفين الزاهدين، كنز متىٰ ظفر به العبد أنفق من الكون حسًا ومعنىٰ ولم يفتقر لمزادة ولا مزود فيغترف العلوم من بحار الواهب، وتأتيه الأرزاق من حيث لا يحتسب، ثم قال:

قل للمحاولِ شأوه أقصدْ فقد ... حاولتَ إمساكَ الثريا باليدِ

وجشمتَ ميدانَ الرهانِ مجاريًا ... بخريعِ أُتنٍ كل نهدٍ أجردِ

حاول الشيء: رامه حوالاً ومحاولة، والاسم: الحويل. والشأو: السبق والغاية، وشآه: سابقه. وأقصر عن الشيء: تركه أو عجز عنه. والثريا: فعيلىٰ من الثروة وهي الكثرة، سمي به النجم لكثرة كواكبه. وجشم الشيء بالكسر

(١) سورة الحجرات: ١٣.

وتجشمه: تكلفه بمشقة. والميدان بفتح الميم وقد تكسر مجرىٰ الخيل وزنه فعلان لا فيعال. والرهان: جمع رهن ويكون أيضًا مصدر راهنه رهانًا ومراهنة. والمجاراة: المغالبة في الجري. والأتن: جمع أتان الأنثىٰ من الحمير. والخريع: الضعيفة. والنهد من الخيل: الحسن الجسم المشرق. والأجرد: القصير الشعر.

أي: قل أيها المخاطب لمن يريد أن يسابق هذا الممدوح في الفضائل أو من يروم أن يبلغ الغاية التي بلغت في الفضل أَقْصِرْ عن ذلك؛ فإنك لا تستطيعه وإنما أنت في تعاطي ذلك بمثابة من يمد يده إلىٰ السماء ليمسك الثريا بيده أو يركب أتانا ضعيفة مسترخية ليسابق بها جياد الخيل، وناهيك بذلك سخفًا وحمقًا:

إن سالموك فدعهمُ من ذلك   وارقد كفىٰ لك بالرقاد نعيما[1]

ثم قال:

لا تغررنَك إناءة فقناته   في اللهِ ليستْ تستلانُ لملهدِ

وتواضعٌ منه فإن كما له   عنقاء وهي متىٰ ترم لم تصطدِ

وليانة فمناله فوت المنىٰ   ومن اقتضىٰ ما ليس يدركُ يفندِ

و احسده فهو علىٰ علاه شاهدٌ   إن الكرامَ مظنةٌ للحسّدِ

الإناءة: الحلم والوقار أصله أنية كقصبة فقلبت الياء ألفًا. والقناة: الرمح. واستلان الشيء: عدّه لينا أو وجده كذلك. والملهد: مفعل من اللهد وهو الدفع والغمز. والعنقاء تقدم ما فيه. والليان: الملاينة، يقال: لاينه ملاينة وليانًا إذا ألان له.

---

(١) البيت من بحر الكامل.

وهو لحميد بن ثور، وهو بالأمالي: ١/ ٢٤٨، وبديوانه: ٢٨٥ برواية:

إن سالموك فدعهمُ من هذه   وارقد كفىٰ لك بالرقاد نعيما!

يقول: لا يغررك ما ترىٰ من هذا الشيخ من الحلم لجليسه فتظن به ضعفًا فإنه شديد في ذات الله وفي غاية من الصلابة في دينه لا يوجد فيه مغمز كالقناة الصلبة التي لا تلين لغامز، والكلام تمثيل.

ولا يغررك أيضًا ما ترىٰ من تواضعه فتظن به نقصًا، فإن كماله لا تدركه، كما أن العنقاء لا تُدرك باصطياد.

ولا يغررك أيضًا لينه ورفقه فتظنك تدركه وتنال درجته؛ فإن ذلك يفيت تمنيك وطمعك، ومن طلب ما لا يدرك يخطأ في رأيه، ويستحمق في عقله واحسده علىٰ ذلك إن شئت فإنك لا تزيده إلا كمالاً، ولا يكون ذلك إلا شاهدًا علىٰ عظيم فضل الله تعالىٰ عليه، وأي كريم لم يحسد كما قيل:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا[1]

وقال أبو الطيب:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل[2]

ثم قال:

بسناه عينُك أعشيتْ وسنائه ... والشمسُ باهرةٌ لعينِ الأرمدِ
والماءُ ينكرُه السقيمُ وقد حلا ... ويمرّ في فيه الطعامُ وقد قدي

السناء: الضوء، وبالمد: الرفعة. والعشي والعشاوة: سوء البصر، يقال: عشي

(١) البيت من بحر البسيط.
وهو لبشار: وهو بديوانه: ٣/ ٩٥، والأمالي: ٢/ ٢٠١، وزهر الآداب: ١/ ٢٠٢، وغرر الخصائص: ٤٧٦.
(٢) البيت من بحر الكامل.
وهو بشرح ديوان أبي الطيب المتنبي: ٣/ ٢٦٠، والمستطرف: ٥٠، وزهر الآداب: ١/ ٢٦٨.

بالكسر فهو أعشىٰ. وبهره الشيء: غلبه. ومرّ الشيء يمر بالفتح مرارة. وقدي الطعام بالكسر: طاب طعمه وريحه.

يقول بأنوار هذا الممدوح وجلالة قدره غطىٰ علىٰ بصيرتك فلم تر فضله، كما أن من أصابه الرمد يغلبه ضوء الشمس فلا يقدر أن يراها، وكذا من به المرض لا يدرك حلاوة الماء، ولا حلاوة الطعام، وإن كانا طيبين، ثم قال:

فهو الوحيدُ ومن يكن في دهرِه لم يلقْه فكأنه لم يوجدِ

فردٌ وليس له نظير لا يرىٰ جمعٌ وتثنيةٌ لهذا المفردِ

يقال: رجل وحيد ووَحِد ووَحَد بالفتح واحد ومتوحد: منفرد.

يقول: إن الممدوح واحد وقته المنفرد فيه بفضله فمن لم يلقه ويأخذ عنه وينتفع به من أهل زمانه فكأنه لم يوجد فإن من لا خير عنده ولا غنىٰ له كالمعدوم، ومن كلام العرب في هذا مررت برجل سواء والعدم، أي مستوهو والعدم لا للناس ولا لنفسه، وهذا أيضًا فرد لا يوجد له نظير في فضله، ومثل هذا لا يثنىٰ ولا يجمع؛ لأن شرط ذلك وجود النظير كما علم في العربية. واعلم أن هذا المعنىٰ كان افتتحه جرير، حين قال:

إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابا[1]

فتجاذبه الناس بعد ذلك، فقال أبو نواس وأبلغ:

ليس علىٰ الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[2]

(١) البيت من بحر الوافر.
وهو بديوانه: ٨٥. برواية: حسبت الناس كلهم غضابا

(٢) البيت من بحر السريع. أبو نواس: سبق التعريف به.
البيت بديوانه: ١٠٥ برواية:
أوجده الله فما مثله أن يجمع العالم في واحد
وهو بجمهرة الإسلام: ١/ ٤٧٧ برواية: «وليس لله بمستنكر».

وقال السلامي:

تبسرت آمالي بملك هو الورىٰ وداد هي الدنيا ويوم هو الدهر[(١)]

وقال الآخر:

لو زرته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار[(٢)]

وقال البوصيري رحمه الله تعالىٰ: فجوهر الحسن فيه غير منقسم[(٣)]

وقد حسنه بما فيه من الاقتباس من علم النحو، ثم قال:

وإن اشرأبَ إلىٰ الهدايةِ غيره فالمسك أذفر ليس كالمسكِ الكدي

والعذبُ يغزرُ بالحياضِ ولم يردْ كصداءِ ماء قط من مستوردِ

---

(١) البيت من بحر الطويل.

السلامي: محمد بن عبد الله بن محمد القرشي المخزومي السلامي، كنيته أبو الحسن، ولد عام ٣٣٦هـ وسكن بغداد والموصل وفارس، واتصل بالصاحب بن عباد وعضد الدولة، وتوفي عام ٣٩٣هـ، وكان ديوانه خمسمائة ورقة. انظر: ديوانه بجمع صبيح رديف (بغداد) ومعجم الشعراء (عفيف) ٢١٢.

(٢) البيت من بحر البسيط وينسب للشريف المرتضىٰ.

(٣) العجز من بحر البسيط.

البوصيري: هبة الله بن علي بن ثابت بن مسعود الأنصاري الخزرجي، يسمىٰ سيد الأهل، أبو القاسم، ولد بمصر. كاتب. أديب. له مختصر في علم الناسخ والمنسوخ. صاحب قصيدة البردة الشهيرة، ولد عام ٥٠٦هـ، وتوفي عام ٥٩٨هـ. انظر: شذرات الذهب: ٤/ ٣٣٨، ديوانه بتحقيق محمد سيد كيلاني (القاهرة). والنجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٢، ومعجم الشعراء (عفيف) ٨٥.

والبيت من قصيدة البردة الشهيرة وتمامه:

منزّه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

والخصبُ يكثرُ بالعِراضِ ولم يردْ كالثغرِ والسعدانِ من متروّدِ
والنارُ في الأشجارِ لكن ما بها كعفارها والمرخ من مُستمجدِ
وشبىٰ الردينيات غير زجاجِها وذوائبُ الهضباتِ غير الأوهدِ
وأولو الغناءِ لهم محاسنُ جمة لكنما قصبُ السباقِ لمعبدِ
والشمسُ في كبدِ السماءِ سما بها بادي السناء فويق كل منكّدِ

يقال: اشرأب إلىٰ الأمر: إذا مدّ إليه عنقه لينظر وارتفع. والأذفر من المسك: القوي الرائحة. والكدي: الذي لا رائحة له. وغزر الماء بالضم: كثر. والحياض: جمع حوض. وصدآء: كخلخال، ويقال: صداء ككتاب عين أوركية في بلاد العرب ما عندهم أعذب منها، ومنه المثل «**ماء ولا صداه**»[١]. والعراض: جمع عِرض بالكسر وهو الوادي. والثغر بالفتح، والسعدان: نبتان من أفضل ما يرعىٰ، ومنه المثل «**مرعىٰ ولا كالسعدان**»[٢]. والمرخ، والعفار: شجرتان يقتدح منهما النار ومنه المثل في «**كل شجرة نار. واستمجد المرخ والعفار**»[٣]، أي فاقا في ذلك غيرهما. وشباة الرمح: طرفه الذي يطعن به. والزج: الطرف الآخر. والردينيات: نسبة إلىٰ ردينة وهي امرأة سمهر وكلاهما يصنع الرماح ويثقفها فيقال سمهرية وردينية، وتجلب من الخط بلد بالساحل فيقال: خطية. والهضبة:

(١) المستقصىٰ: ٢/ ٣٣٩، ومجمع الأمثال: ٣/ ٢٦٧، ويروىٰ: «ماء ولا كصداء»، ويروىٰ بتشديد الدال أيضًا.

(٢) بزهر الأكم: ٣/ ٥٦، والمستقصىٰ: ٢/ ٣٤٤، والمثلين: ٢/ ٥٨١، ومجمع الأمثال: ٣/ ٢٦٥.

(٣) المستقصىٰ: ٢/ ١٨٣، والمثلين: ٢/ ٥٦٣، ٢/ ٦٧٧، وتمامه: «في كل شجر نار»، أو «في كل عود نار»، ورواية مجمع الأمثال: «في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار»، والمجمع: ٣/ ٤٤٥.

الكدية. وذؤابتها: أعلاها. والأوهد: جمع وهد وهو المخفوض من الأرض. ومعبد: المغني[1] مشهور. وبادي السناء: الارتفاع الظاهر، ويقال: كبد النجم تكبيدًا حل كبد السماء، أي وسطها في مرأىٰ العين.

يقول: إن تصدىٰ أحد من أهل وقته؛ لأن يكون قدوة ومربيًا للسالكين فليس يبلغ مبلغه ولا يقاربه، ثم ضرب سبعة أمثال وهي:

إن المسك المنقطع الرائحة وإن سمي مسكًا لا يقوم مقام الفائح.

والمياه وإن غزرت وحلت لا يرد وارد منها مثل ماء صداء.

والخصب وإن كثر لا يرود رائد منه مثل السعدان والثغر. ولا يخفىٰ ما في صدر البيتين من الترصيع.

والأشجار وإن صلحت لأن يقتدح منها الناس فليس كالعفار والمرخ.

وشُباة الرمح ليست عالية كزجه، كما قال الصلتان:

وما يستوي صدر القناة وزجها ولا تستوي في الكف منك الأصابع[2]

---

(١) معبد: معبد اليقطني، من مولدي المدينة، اشتراه بعض ولد علي بن يقطين، وقد شدا بالمدينة، وأخذ الغناء عن جماعة من أهلها، ومن جماعة أخرىٰ من علية المغنيين بالعراق مثل إسحاق وابن جامع. مات في عهد الرشيد، وكان أكثر انقطاعه إلىٰ البرامكة. والأغاني: ١٤/ ١١٦-١٢٠.

(٢) البيت من بحر الطويل.
الصلتان: هو قثم بن خبيثة، وقيل: خيثم بن قثم، أحد بني محارب، وقيل: الدليل بن عمرو بن عبد القيس. عاصر جرير والفرزدق. وقد عرف بقصيدة كان فيها حكمًا يفاضل بين الشاعرين، ولم تعجب جريرًا ولا الفرزدق ولا الأخطل. انظر: الأغاني: ٢١/ ٤١، والحيوان: ٣/ ٤٧٧، والمؤتلف: ٢١٤، وخزانة الأدب: ١/ ٣٠٨، والأعلام: ٦/ ٢٩، ومعاهد التنصيص: ١/ ٧٤، وسمط اللآلي: ٢/ ٧٦٦، ومعجم الشعراء (عفيف) ١٣٠، والبيت بالمثلين: ١/ ١٩٤.

وكذا الوهاد لا تبلغ مبلغ القنن

والمغنون لا يبلغون مبلغ معبد

والنجوم ولو توسطت السماء لا تبلغ مبلغ الشمس، ثم قال:

وورثَ الإمامَ الشاذليَّ طريقةً والليثُ يسري سرّهُ للفرهَدِ

سننٌ تهادته مشايخ قادة كطوالعِ الزهرِ الدراري الوقّدِ

أعظمْ بأعلامِ الهدىٰ الطلاع في سبلِ المفاز المرشدين الرشّدِ

التائبينَ الحامدينَ لربهم والقانتين الراكعين السجَّدِ

والسائحينَ الحافظينَ حدوده والآمرينَ بها النهاة العبّدِ

كلٌّ له ضرب بقِدحٍ فالجٍ فيها وحمل بالحديثِ المُسْنَدِ

شرفٌ يطرَّز بالنجومِ ويستمي فوق السماكِ علىٰ مرورِ المُسْنَدِ

يهدي به هاد رشيدٌ بعدما هاد ويحمل سيدٍ عن سيدِ

حتىٰ تناهىٰ بابن ناصرِ الرضىٰ بيتُ القصيدِ وواسط المتقلدِ

الإمام الشاذلي[1] هو: الشيخ أبو علي الحسن بن عبد الجبار الشريف الزرويلي، ونسب إلىٰ شاذلة؛ لأنه كان يتعبد فيها، وليس منها كما توهم صاحب القاموس. والفرهد: ولد الأسد. والسنن: الطريق، ومعنىٰ تهادته: يهديه بعضهم إلىٰ بعض من الهدية، يقال: هديته الطريق. والقادة: جمع قائد وهو القدوة. والزهر: جمع أزهر وهو المشرق المنير. والدراري: جمع دري من النجوم. والوقد: جمع واقد وهو الشديد الإضاءة كأنما يشتعل. والمفاز: جمع مفازة وهي

(١) الشاذلي: أبو الحسن، علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي، رأس الطائفة الشاذلية، وواحد من أئمة التصوف في عصره، ولد عام ٥٩١هـ، وتوفي في عام ٦٥٦هـ. انظر: معجم الأعلام: ٥٢٣، والإعلام بوفيات الأعلام: ٢٧٤، والطبقات الكبرىٰ: ٢/ ٤٤٠.

الفلاة المهلكة سميت بذلك على التفاؤل، كما سمي اللديغ سليمًا، ويجوز أن يكون بمعنى الفوز فيكون موجهًا لمعنيين. والنهاة: جمع ناه. وجمع في البيتين الأوصاف المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾[1] إلى آخره. والقِدح بالكسر: السهم. والفالج: الظاهر. والمسند: سنده وهو عدد رواته إلى أصله. والطراز: علم الثوب وطرّزه تطريزًا علمه به. والاستماء والسمو: العلو. والسماك: نجمان وهما الأعزل والرامح. والمسند: الدهر، وبينه وبين الأول جناس تام. وبيت القصيد: هو المختار من القصيد يستعار للرجل يكون كذلك. والواسط: المتوسط من الجوهر في القلادة وهو خياره، ويقال: للجوهرة منه واسطة القلادة ثم يستعار للمختار من الناس.

يقول: إن هذا الشيخ قد ورث الإمام الشاذلي طريقه المحمود وانتصب في طريقه وسرى إليه سره كما يسري سر الليث في الشهامة والجراءة إلى ولده، ثم بيَّن طريقه، فقال: هو سنن، أي طريق تهادته المشايخ أهل الطريقة بعده كلهم يهتدى[2] به ويقتدى كما يهتدى بالنجوم الزاهرة، وفيه الإشارة إلى تكافئهم في الفضل، كما قيل:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري[3]

ثم استأنف أيضًا فقال: أعظم بأعلام الهدى، أي ما أعظمهم علمًا ودينًا وسنة شبههم بالأعلام، أي الجبال العالية الطالعة في طرق المفاوز البعيدة الصعبة أو الطالعة في طرق الفوز والفلاح، وجعلهم مرشدين راشدين، وقدَّم المرشد؛

---

(١) سورة التوبة: ١١٢.

(٢) في (م): يهدي.

(٣) البيت من بحر البسيط، وهو بالمثلين بلا عزو: ١/ ٢٢٤، وقواعد الشعر: ١٦، وزهر الربيع: ١٥١، وعيون الأخبار: ١/ ٢٢٦، وهو منسوب للعرندس الكلابي في شرح الحماسة للمرزوقي: ١/ ١٥٩٣، ومحاضرات الأدباء: ١/ ٧٧.

لأن الحديث في كونهم مشايخ فالواجب وصفهم بالإرشاد، ثم ليس كل مرشد رشيدًا فوصفهم بالراشدين، ولو كان الحديث في الرشد لقدَّم، وهذا كقوله (ﷺ) في جرير: «واجعله هاديًا مهديًا»[1]، فقدَّم الهادي؛ لأن الحديث فيه فافهم، ثم وصفهم بالأوصاف المذكورة؛ لأنهم القائمون بتلك المقامات علىٰ وجهها، ثم قال: إن كلاً منهم يضرب بقدح فالج، أي في الطريق المذكورة، أي كل له حظ وافر منها ذوقًا وتحقيقًا، والحمل بالحديث المسند؛ إما أن يكون صريحًا نظرًا إلىٰ ما يسمع بعضهم من بعض من وظائفها وأدائها، وغير ذلك من العلوم أو تمثيلاً نظرًا إلىٰ ما يسري من بعضهم إلىٰ بعض من الأسرار والأنوار، ثم قال شرف: أي ذلك، أي ما اختصوا به وقاموا به شرف يطرز بالنجوم ويعلو فوقها علىٰ مرور الزمان وفي الدنيا والآخرة، ولم يزل أولئك المشايخ يهدون الخلق هاديًا بعد هاد، ويحمل منهم سيد يلجأ إليه في الطريقة عن سيد مثله منشدًا لسان حاله:

أهيم بسعدىٰ ما حييت وإن أمت ... أوكل بسعدىٰ من يهيم بها بعدي[2]

وقال الأعرابي:

وإذا فلان مات عن أكرومة ... رقعوا معاوز فقده بفلان[3]

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٠٣٦، ومسلم برقم ٢٤٧٥، وقد سبق الاستشهاد به.

(٢) البيت من بحر الطويل.

وهو لنصيب: عيون الأخبار: ٤/ ١٤٦. برواية:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت ... أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

وهو بالعمدة: ٢/ ١٠٧ برواية:

أهيم بدعد [illegible] حييت فإن أمت ... فياليت شعري من يهيم بها بعدي

(٣) البيت من بحر [illegible].

وهو منسوب للمرّار الأسدي. سمط اللآلي: ١/ ٤٥٥.

إلىٰ أن انتهىٰ ذلك إلىٰ الإمام ابن ناصر الرضىٰ، أي المرضىٰ وجعله بيت القصيدة وواسطة القلادة اعتبارًا بنظر المادح وقيامًا بما يقتضيه المديح من المبالغة، ولأنه المقصود بالذكر، وقد أشار في الأبيات إلىٰ سند الطريقة فلنذكره باختصار؛ فإن في اتباعه طولاً فنقول:

أخذ الشيخ ابن ناصر عن الشيخ عبد الله بن حسين الروبي عن الشيخ أحمد ابن علي الحاجي عن شيخ المشايخ أبي القاسم الغازي عن الشيخ علي بن عبد الله السجلماسي، عن الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني دارا، عن الشيخ أحمد زروق البرنسي، عن الشيخ أحمد بن عقبة اليماني الحضرمي، عن الشيخ الشريف القادري، عن الشيخ علي بن وفا، عن الشيخ محمد بن وفا والده، عن الشيخ داود الباخلي، عن الشيخ أحمد بن عطاء الله، عن الشيخ أبي العباس المرسي، عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي، عن الشيخ عبد السلام بن مشيش، عن الشيخ عبد الرحمن المدني، عن الشيخ أبي أحمد، عن الشيخ أبي مدين، عن الشيخ علي بن حرزهم، عن الشيخ أبي يعزي يلنون، عن الإمام أبي بكر بن العربي المعافري، عن الإمام أبي حامد الغزالي، عن الإمام أبي محمد الجويني، عن الشيخ أبي طالب المكي، عن الشيخ الجريري، عن الشيخ أبي القاسم الجنيد، عن الشيخ سيدي القسطي، عن الشيخ معروف بن فيروز الكرخي، عن الشيخ داود الطائي، عن الشيخ حبيب العجمي[1]، عن الإمام الحسن بن أبي

---

(١) أبو القاسم الغازي: أبو القاسم بن محمد بن عمرو بن أحمد بن موسىٰ بن عبد الله بن أيوب ابن عبد العزيز من أولاد إدريس الثاني من سبط الحسن بن علي، ولد عام ٩٠١هـ، وتوفي في عام ٩٨٢هـ، إمام. متصوف. عالم. ذكره اليوسي في المحاضرات.

* أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، أبو العباس، المتوفىٰ عام ٩٢٧هـ = ١٥٢١م متصوف. صالح من أهل المغرب. تنسب إليه الطريقة «اليوسفية» معجم الأعلام: ٨٥.

* أحمد زروق: أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسىٰ البرنسي الفاسي أبو العباس، ولد عام ٨٤٦هـ، وتوفي عام ٨٩٩هـ، فقيه. محدث. صوفي من أهل فاس بالمغرب. له طريقة =

الحسن البصري، عن أمير المؤمنين، وباب مدينة العلم أبي الحسن علي بن

= وأتباع. معجم الأعلام: ٣٠، ونيل الابتهاج: ١٣٠.

* علي بن وفا: علي بن محمد بن محمد بن وفا، أبو الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي، ولد عام ٧٥٩هـ، وتوفي عام ٧٠٨هـ متصوف. إسكندري الأصل. معجم الأعلام: ٥٣٤، والطبقات الكبرى: ٢/ ٤٧٨.

* محمد وفا السكندري الأصل، ويقال: المغربي، ثم المصري، الشاذلي، الصوفي ذو التوشحات التوحيدية، كان وافر الجلال، فائق الخلال، ولد عام ٧٠٢هـ، وتوفي عام ٧٦٠هـ. الطبقات الكبرى: ٢/ ٤٧٥، الأعلام: ٧/ ٣٧.

* داود الباخلي: أبو سليمان داود باخل بن عمر الشاذلي، نزيل الإسكندرية، المتوفى بها عام ٩٣٢، وله الرسالة المرضية في شرح دعاء الشاذلية. وإيضاح المكنون: ٥٦٩.

* ابن عطاء الله: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله الإسكندري (ت٧٠٩هـ) متصوف. شاذلي من العلماء. صاحب الحكم المشهورة بالحكم العطائية. معجم الأعلام: ٦٩، الطبقات الكبرى: ٢/ ٤٧٣.

* أبو العباس المرسي: الشيخ الإمام أحمد، أبو العباس المتوفى عام ٦٨٦هـ، من أكابر العارفين. كان يقال: لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي عنه غير أبي العباس المرسي، وهو من أجل من أُخذ عنه الطريقة، الطبقات الكبرى: ٢/ ٤٥٧.

* عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر (منصور) بن علي الإدريسي الحسني، أبو محمد المتوفى عام ٦٢٢هـ، ناسك معروف. مغربي. اشتهر برسالة تدعى «الصلاة المشيشية»، وقد شرحها كثيرون. معجم الأعلام: ٤١٥، والأعلام: ٤/ ٩.

* أبو مدين: شعيب بن الحسن الأندلسي من ناحية إشبيلية. شيخ فقيه. محقق. شيخ مشايخ الإسلام في عصره. إمام العباد والزهاد، كتب عنه ابن قنفذ كتابًا سماه «أنس الفقير وعز الحقير»، توفي عام ٥٩٤هـ، جذوة الاقتباس: ٣٣٢، وعنوان الدراية: ٢٢، ونيل الابتهاج: ١٩٣.

* علي بن حرزهم: علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، كان فاسيًا عالمًا، فقيهًا محدثًا حافظًا دارسًا زاهدًا في الدنيا. من أهل التحقيق، مشاركًا في علوم الشريعة، رحل المراكشي ودرس بها. توفي في شعبان عام ٥٥٩هـ. ونيل الابتهاج: ٣٠٩، ٣١٥.

* أبو حامد الغزالي: حجة الإسلام، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ولد عام ٤٥٠هـ، بطوس وأقام على التدريس والتعليم، له من التآليف والتصانيف الكثير أشهرها: إحياء =

أبي طالب كرم الله[1] وجهه؛ فهذه سلسلة مشهورة وهي سلسلة العلماء، ولهم

= علوم الدين، تهافت الفلاسفة. والأعلام: ٧/ ٢٤٧، ومعجم الأعلام: ٧٧٦، والإعلام بوفيات الأعلام: ٢٠٨.

* محمد الجويني: أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد الطائي، ينسب إلىٰ جوين، وهي من قرىٰ نيسابور، الفقيه الشافعي، إمام الحرمين، ولد عام ٤١٩هـ، وتوفي عام ٤٧٨هـ، وله الكثير من التصانيف: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٦٨، وطبقات الشافعية: ١٩٧.

* أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي، المتوفىٰ عام ٣٨٦هـ، واعظ، فقيه، زاهد، من أهل الحيل بين بغداد وواسط له الكثير من التصانيف أشهرها: قوت القلوب في معاملة المحبوب. معجم الأعلام: ٧٥٢، والإعلام بوفيات الأعلام: ١٦٣.

* سري السقطي: أبو الحسن، سري بن المفلس السقطي، يقال: إنه خال الجنيد وأستاذه، صحب معروفًا الكرخي، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال وهو إمام البغداديين وشيخهم، وتوفي عام ٢٥١هـ. وطبقات الصوفية: ١٤، وتذكرة الأولياء: ٢/ ٥٣٨، والطبقات الكبرىٰ: ١/ ١٦٩.

* معروف الكرخي: أبو محفوظ معروف بن فيروز ينسب إلىٰ الكرخ ببغداد، وكان من موالي علي بن موسىٰ الرضا. توفي عام ٢٠٠هـ تقريبًا، ودفن ببغداد. من الطبقة الأولىٰ للمتصوفة. طبقات الصوفية: ٢١، وحلية الأولياء: ٨/ ٣٦٠، وصفة الصفوة: ٢/ ٢١٠، وتذكرة الأولياء: ١/ ٥٢٩، والطبقات الكبرىٰ: ١/ ١٦٦.

* داود الطائي: أبو سليمان داود بن نصير الطائي، سمع الحديث وتفقه واشتغل بالتعبد. وكان معاصرًا للخليفة المهدي، ومن عارفي هذا العصر المشهورين. وحلية الأولياء: ٧/ ٣٣٥، وصفة الصفوة: ٣/ ٨٦، وتذكرة الأولياء: ١/ ٤٦١.

* حبيب العجمي: حبيب بن عيسىٰ بن محمد العجمي، أبو محمد، الفارسي الأصل البصري سكنًا، كان عابدًا. زاهدًا. مجاب الدعوة. لقي الحسن وابن سيرين وروىٰ عنهما. توفي عام ١١٩هـ. وحلية الأولياء: ٦/ ١٤٩، وتذكرة الأولياء: ١/ ٢٤٥.

* الجريري: أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسن الجريري من علماء ومشايخ الصوفية وله سند بالحديث. مات ببغداد عام ٣١١هـ، حلية الأولياء: ١٠/ ٤٣٧، وصفة الصفوة: ٢/ ٢٨٨، وتذكرة الأولياء: ٢/ ٢٢٩، وطبقات الصوفية: ٦١.

(١) الحسن البصري: أبو سعيد حسن بن يسار من زاهدي صدر الإسلام المشهورين. أبوه من أهل بيسان، وأمه خادمة أم سلمة. ولد في خلافة عمر (رضي الله عنه) وكتب تفسيرًا للقرآن الكريم.=

سلسلة أخرىٰ تعرف بسلسلة الأقطاب معروفة في كتبنا لا حاجة إلىٰ التطويل بها هنا. وفي الأبيات أيضًا الإشارة إلىٰ صفة القدوة من كونه راشدًا مرشدًا محرزًا لتلك المقامات وشرح ذلك يطول، ثم قال:

فأضاءَ من مصباحِهم مصباحَه والفرعُ يزكو عند طيبِ المحتدِ
وكأنما ذاكَ العبابُ قد انتهىٰ لأجلِّ تنهية وأطيبَ مقلدِ
فكسا الحقيقةَ بالشريعةِ فاجتلىٰ حسناء ترفلُ في شفيفِ الأبردِ

المحتد: الأصل، ويقال: حتد بالمكان أقام به. والعباب: معظم السيل. والتنهية: حيث ينتهي السيل من الحوض مثلاً. والمقلد: مجمع الماء. والشريعة: ما يرجع إلىٰ التكليف والأمر والنهىٰ والإباحة. والحقيقة: ما يرجع إلىٰ الاعتقاد وما ثبت في نفس الأمر، وهذا كلام إجمالي وتفصيله يطول، واختصاره أن تعلم أن الله تعالىٰ هو الذي له الاقتدار كله والملك كله فالعبد لا فعل له، ولا اختيار ولاحق، غير أن الله تعالىٰ من لطيف حكمته جعل له اكتسابًا في أفعاله بأن يخلق له قدرة تقارن فعله لا تأثير لها فيه، ولكن يحصل التأثير عندها، وجعل له مشيئة في العقل تابعة لمشيئته تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] فيحس العبد بسبب ذلك التيسير وتلك المشيئة المخلوقين له ظاهرًا من نفسه كأنه يفعل، ويترك باختياره، وهو في التحقيق لا فعل له ولا اختيار، بل ذلك كله للواحد القهار، ومتىٰ لم تخلق له تلك القدرة فلم يقع التيسير، شاهد العجز

= وتوفي بالمدينة عام ١١٠هـ، معجم الأعلام: ٢٠٧، وتذكرة الأولياء: ١/ ٢١٣.

* الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد، ولد في نصف رمضان للعام ٣هـ، وكان أشبه الناس برسول الله (ﷺ)، وتوفي مسمومًا عام ٥٠هـ، المعين في طبقات المحدثين: ٢٢، ومعجم الأعلام: ١٩٩، والإعلام بوفيات الأعلام: ٣٦، وتراجم الأوائل: ٤٥، والطبقات الكبرىٰ: ١/ ٧٩.

(١) سورة الإنسان: ٣٠.

كحال من سقط من علوّ.

ويسمىٰ فعله في الحالة الأولىٰ **اختياريًا** نظرًا إلىٰ ظاهر حاله وعليها نصب التكليف وتوجه الأمر والنهي وهو الشرع المقتضىٰ من العباد.

ويسمىٰ فعله في الحالة الثانية **اضطراريًا وجبريًا** ولا تكليف عليه، فضلاً من الله تعالىٰ، وهذا كله نظرًا إلىٰ ظاهر حاله، ومتىٰ نظر إلىٰ الباطن، علم أنه في كل حال مجبور مضطر معزول عن الفعل، ثم العبد مطلوب بملاحظة الجانبين الاختيار والاضطرار فمتىٰ ورد عليه حكم من الله تعالىٰ بأن يفعل أو يترك ووجد اختيارًا للقيام به فهو مطلوب للقيام به، وذلك هو الشريعة، ومطلوب بنسبة التأثير فيه إلىٰ الله تعالىٰ وحده لا شريك له، وذلك هو الحقيقة. فإن أهمل الأمر واعتل بأنه لا قدرة له فقد ضيع الشريعة، وإن ادّعىٰ لنفسه حولاً أو قوة؛ فقد ضيع الحقيقة، وإن قام بالامتثال وتبرأ من الحول والقوة فقد كمل وهو الذي كسا الحقيقة بالشريعة، وهذا فرض مثال ويجري هذا المعنىٰ فيما ذكرنا من التكليف، ويجري أيضًا في الثواب والعقاب، فإن الله تفضل بإثبات الثواب مثلاً علىٰ الأعمال، فمن لم يعتبر ذلك وأسقطه رأسًا فقد ضيع الشريعة؛ لأنها جاءت به، ومن أوجبه علىٰ الله تعالىٰ علوًّا كبيرًا فقد ضيع الحقيقة لما قررنا من أن العبد لا ملك له ولا حق غير ما جعل له مولاه فضلاً واختيارًا.

ويجري أيضًا في الأسباب مثلاً، فمن لم يجعل لها اعتبارًا أصلاً وأبطلها رأسًا فقد ضيع الشريعة؛ لأن الشرع أذن فيها، ومن نسب إليها أثرًا فيما يقع من المنافع عندها فقد ضيع الحقيقة؛ لأن التأثير كله لله تعالىٰ. والأسباب العادية يوجد الشيء عندها لا بها؛ فافهم فقد كشفنا لك عن الأمر فصار نهارًا، وبذلك تعلم أنه لم يكمل في حالة إلا أهل السنة والجماعة من كل من يقول: «**إن العبد مجبور في قالب مختار**»، أما أهل القدر فقد ضيعوا الحقيقة، وأما أهل الجبر

المحض فيلزمهم تضييع الشريعة، والله تعالىٰ هو الموفق.

والناس يطلقون الجمع بين الحقيقة والشريعة علىٰ الجمع بين الباطن والظاهر وهو صحيح إجمالاً وتفصيله في كل جزئية هو ما قررنا. والأبرد: جمع برد. والشفوف: من الثياب الرقاق الجيدة.

يقول: إن هذا الشيخ لما التمس من المشايخ قبله واقتبس من أنوارهم وأسرارهم أضاء مصاحبه، أي: قلبه أو هو المصباح علىٰ التجريد أو الكلام تمثيل والحاصل واحد، وفيه الإشارة إلىٰ أن الله تعالىٰ أجرىٰ عادته بالاقتداء وانتفاع البعض من البعض كما يشعل مصباح من مصباح فكما لا يشتعل مصباح من ذات نفسه، اللهم إلا أن يخرق الله عادته أحيانًا، كذلك لا ينتفع الإنسان بلا قدوة، ولهذا قال أئمة الطريق: «من لم يأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد نفسه ومن اتبعه»[1].

وفيه أيضًا أن الشخص الواحد يمكن أن ينتفع عنه كثير لطفًا من الله تعالىٰ، كما أن المصباح تشتعل منه المصابيح الكثيرة ولا ينتقص وقال: إن الفرع في الشجرة مثلاً يزكو، أي يعظم ويعلو عند طيب أصله، وكذلك المريد يصلح ويفلح بصلاح وفلاح قدوته. وقال: إن ذلك العباب وهو السِر والمدد الجاري من قلب إلىٰ قلب قد انتهىٰ إلىٰ أفضل موضع، وأطيب مجمع وهو الشيخ أو قلبه، وقال: إنه كسا الحقيقة بالشريعة، أي جمع بينهما قائمًا بالجانبين، وإنما جعل الشريعة هي اللباس؛ لأنها هي الظاهرة فاجتلىٰ، أي أظهر حسناء، وهي الطريقة رافلة في أحسن البرود، وذلك أتم في جمالها وبهائها، والكلام تمثيل. وأراد بالحسناء الحقيقة، والبرود عليها الشريعة علىٰ الاستعارة، ثم قال:

وتبجستْ للدينِ من نفحاتِه قُلُبٌ يقولُ فراتها هل من صدِ

---

(١) العبارة لأبي مدين. انظر: كاشف الإلباس عن فيضة سيدي أبي العباس: ٨٨، وأوردها المناوي في «الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية»: ٢٨٥.

مـاءٌ يـزيـلُ الـخـلـتـيـن فيغتنىٰ بوجودهِ الغِرث الضريم ومن صدي
متـصـديًا لـلـهـدي مـنـه بـصـارمٍ مِلْهِنْدِ مشحوذِ الغرارِ وما صدي
وبمجمعِ البحرين بحرُ حقيقةٍ عـمـق وبـحـرُ شـريـعـةٍ مـتـزبّـدِ
كـمـهـنـدٍ عـضـب عـتـاد للفتىٰ يـوم الـمـصـارمِ مـجـردٍ أو مغمدِ
يكسو من الشعبِ الأنيس طرازه. ومن الصفيقِ بمشملٍ وبمِجْسَدِ
ويقوتُ من خيرِ الجنيبِ وفائق الـ ـصرفان والأري المشوب برغبدِ

تبجس الماء وانبجس: تفجر. والقلب: جمع قليب وهي البئر، وقيل: العادية القديمة منها. والفرات من الماء: العذب جدًّا فرت الماء بالضم عذب. والصدي: العطشان. والخلة بالفتح: الحاجة. والغرث: الجائع، يقال: غِرث بالكسر فهو غرث وغرثان. والضريم: المحترق الأحشاء بذلك. وصدي يصدي صدىً: عطش، وتصدىٰ للشيء انتصب له. والصارم من السيوف: القاطع، وقوله: ملهند وأسقط نون من، وذلك جائز كثيرًا إذا ألغيت الألف واللام كقوله:

وما أنس ملاشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوىٰ أمصر تريد[1]

أي من الأشياء. والمشحوذ: المسنون. والغرار: حد السيف. وصدىٰ السيف: ونحوه: طلع عليه الوسخ. وأزبد البحر: طلع عليه الزبد. والسيف المهند معروف. والعضب: القاطع. والعتاد: العدة. والمصاع والمماصعة: المضاربة بالسيوف. والشف: الثوب الرقيق جمعه شفوق كما مر. والصفيق: القوي النسج. والمشمل: ثوب يشتمل به. والمجسد: كمنبر ثوب يلي الجسد.

---

(١) البيت من بحر الطويل.
وهو لجميل بثينة، وهو بديوانه: ٦٢، والبيت بالأمالي: ١/ ٢٧٢، وتزيين الأسواق: ٣٢، والحماسة البصرية: ٢/ ٥٠٩.

والجنيب: تمر جيد مختار، وفي الحديث: «أكل تمر جيد»[١]، أي الجنيب. والصرفات: تمر رزين صلب يصلح لذوي الحاجة وأهل الكد. والأرىٰ: العسل. والرغبد: الزبد.

يقول: إن هذا الشيخ تفجرت من نفحاته الصادرة منه أو من النفحات التي ترد عليه وفي الخبر: «**إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرَّضوا لنفحاته**»[٢]. قُلُب وإنما لم يجعلها أنهارًا أو عيونًا إيذانًا بأنها مصونة عن أن تخوض فيها الحمير، وكل من ليس من أهلها، وإنها إنما تُنال بالخدمة والمجاهدة مع العناية السابقة، ووصف هذه القُلُب بأن ماءها الفرات ينادي بلسان حاله لكثرته وجودته، هل من عطشان فيروىٰ، وإن ماءها يزيل الضرورتين، أي العطش والجوع، فيغتني به الجائع والعطشان إشارة إلىٰ ما فيه من الظاهر والباطن، وإنه لا حاجة مع وصوله حالة كون هذا الشيخ منتهضًا للهداية بصارم منه أي عقل كالصارم مشحوذًا ودين كذلك أو حزم أو نحو ذلك أو بنفسه وهو الصارم علىٰ التجريد. وبمجمع البحرين، أي قلب جامع لهما أو هو نفسه علىٰ التجريد، وفي ذكر مجمع البحرين التلويح إلىٰ الزوائد والفوائد، كما في قصة موسىٰ والخضر عليهما السلام[٣].

ووصف بحر الحقيقة بالعمق لخفائه، وبحر الشريعة بالإزباد لظهوره، وجعله في ذلك كالسيف مغمدًا ومجرّدًا، وهو في الحالتين عتاد، وقال: إنه يكسو

(١) لم أقف علىٰ هذا الحديث، لكن ورد عن النبي (ﷺ) قوله: «أكل تمر خيبر هكذا».
والحديث في البخاري رقم ٢٢٠١، ٢٢٠٢، ورواه مسلم برقم: ١٥٩٣.

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ١٩/ ٢٣٤، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١٨٩٠.

(٣) الخضر – صاحب – موسىٰ عليه السلام اختلف في نسبه، وفي كونه نبيًا، وفي طول عمره، وبقاء حياته، وعلىٰ تقدير بقائه إلىٰ زمن النبي (ﷺ) وحياته بعده، فهو داخل في تعريف الصحابي علىٰ أحد الأقوال. قيل: هو ابن آدم لصلبه وهذا قول رواه الدارقطني عن طريق ابن الجراح عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس. وقيل: إنه ابن قابيل بن آدم ذكره أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين. وقالوا: هو أطول الناس عمرًا، وقيل: اسمه عامر... انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٢٨٦ وما بعدها.

الناس، أي المريدين من الشف، ومن الصفيق، ويقوتهم من الجنيب والصرفان إشارة إلىٰ أنه يربي الناس كلاً بما يليق به، من ظاهر وباطن، وكلاً بما يبلغه حاله من مبتدٍ ومتوسط، وقو في الإسلام، وقو في الإيمان، وقو في الإحسان، واستعار المشمل للظاهر، والمجسد للباطن، والأرىٰ للحقيقة، والزبد للشريعة، وهذا مشهور في الاستعمال كأنه لمزيد الحلاوة في العسل، وقلته بالنسبة إلىٰ الزبد، والزبد لكثرته وكونه غذاء لجمهور الناس ناسب الشريعة؛ فإن الشريعة بها تقوم العامة والخاصة، وهذا بملاحظة ما اشتهر من إطلاق الحقيقة علىٰ الباطن الذي لا مشرب فيه للعامة، وإلا فالتحقيق إنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر إلا أن الغفلة تعلي علىٰ الحقيقة حتىٰ كأنها لم تكن. فافهم، ثم قال:

قُلْ للمقلِّ من الدرايةِ والتقىٰ ... ألْمِمْ بدرعةَ لا أبا لك ترفدِ

فالغيثُ ينجعه المسيم وإن نأىٰ ... والفضلُ أخلقَ باجتداءِ المجتدي

والداءُ يستشفىٰ له وأضره ... أدواء قلبٍ عن هواه معبّدِ

ألم: بالمكان زاره ومرَّ به. ورفده يرفده: أعطاه وأعانه. ونجع الغيث وانتجعه: هب إليه. والمسيم: من يرعىٰ ماشيته. والجدوىٰ: العطية. واجتدىٰ: طلب ذلك. وعبد البعير: ذهب شاردًا.

يقول: قل لمن قلَّ علمه وتقواه ادخل درعة يعنك هذا الشيخ أو يعنك الله تعالىٰ علىٰ يده بالعلم والدين ولا يبعدان عنك، فإن من جاعت ماشيته يطلب الغيث وإن بعد، والفضل أحق وأولىٰ أن يطلبه الطالب وإن بعد مكانه، وكل من به داء فليس من الحزم أن يقعد عن الطبيب، ويعرض عن أسباب الشفاء، وأعظم الأدواء وأقبحها داء قلب شارد في هواه، نفور عن مولاه، فهو أحق أن يستشفىٰ له بملاقاة أهل الله، ثم قال:

فإذا خلصتَ إلىٰ ابن ناصر انثنىٰ ... حدُّ النوائبِ عنك غير محدّدِ

ونظرنَ بالطرفِ الحسير خواسئًا ورمينَ بالسهمِ الكسير المصردِ
وغضضنَ غضة موجلٍ أو مخجلٍ وعضضنَ عضة مـازحٍ أو أدردِ
ومـددنَ كـفَّ مسـالـمٍ ولطالما أنـشبـنَ مخـلـبَ ثـائـرٍ متحقّدِ

خلص إليه بالفتح خلوصًا: وصل. والحسير: الكليل، والكسير: المكسور. والمصرد: المخطي. وغض بصره يغضه بالضم. والموجل: من الوجل وهو الخوف. والمخجل: من الخجل وهو الحياء. وعض علىٰ يده أو أصبعه يعض بالفتح كمس يمس. والمازح: الذي لا يريد الإيلام فهو لا ينشب أسنانه في المعضوض. والأدرد: الذي سقطت أسنانه فهو لا يؤثر شيئًا بالعض ولا يؤلم. والثائر: القائم بطلب الدم. والمتحقد: ذو الحقد.

يقول: إنك إذا وصلت إلىٰ هذا الشيخ نعمت وأمنت ريب الزمان وصولة الحدثان، وذلك فيما يرجع إلىٰ غمرة الجهل، وزيغ القلب، وطغيان النفس، والشيطان، والشهوات، والرعونات، وهذا هو الخوف المرهوب المشتكىٰ منه عند المؤمن، وحينئذ ينثني عنك حد النوائب كليلاً لا يقطع فيك، ونظرت إليك النوائب بالطرف الحسير الخاسئ لعلمها إنك وصلت إلىٰ معقل، ورمتك بالسهم الكسير المخطئ فلم تهمك، وغضت عنك أبصارها غض الخائف منك أو المستحي فلم ترعك، وعضت عليك عض من لا ينال منك إذاية لكونه لا يريدها أو لكونه لا أسنان له فلم تضرك بشيء، ومدت إليك كف مسالم إذ لا يبقىٰ لها طماعية فيك، وطالما أنشبت فيك قبل أن تصل إلىٰ هذا المحل مخالبها، وهذه تمثيلات حاصلها استراحتك من كيد الشيطان والنفس بمشاهدة أنوار هذا الولي والاقتداء بأقواله وأفعاله، ثم قال:

وحظيتَ بالذخرِ النفيسِ المنتقىٰ ورتـعـتَ في أثـرٍ لـسـواري الـجـوّدِ
وعلقتَ بالعقدِ الـذي لم ينفصمْ وأخذتَ بالطِولِ المتينِ المحصدِ

وأويتَ للكهفِ المنيعِ المؤتوي وسندتَ في الجبلِ العزيزِ المسندِ

ووكلتَ سرحَ النفسِ منك لسائسٍ كافٍ إزاء للسروحِ حفيّدِ

وشكوتَ للحكمِ الذي يشكيكَ من امضاض خصمٍ من هواكَ يلنددِ

حظىٰ بكذا: ظفر به. والنفيس: الرفيع. والمنتقىٰ: المختار. والسواري: جمع سارية وهي السحابة تمطر بالليل. والجود: جمع جائد وجائدة، يقال: جادهم الغيث إذا أمطرهم. وعلق بالشيء: تعلق به. والانفصام: الانفكاك. والطول: كعنب الحبل يطال به للدابة في المرعىٰ. والمتين: القوي. والمحصد: المحكم الفتل. وأوىٰ إليه وائتوىٰ فهو مؤتوٍ. وسند في الجبل وأسند: صعد. ووكل الأمر إليه: أسنده. والسرح: الماشية السارحة. والسائس: القائم بها، وهو الكافي، وهو الحفيدد. ويقال: هو إزاء حال: أي قائم به. وشكوت فلانًا إلىٰ الوالي فأشكاني منه، أي: أزال شكايتي وأنصفني. والمض. المؤلم. والخصم اليلندد: الذي لا يرجع إلىٰ الحق.

يقول: إنك متىٰ بلغت إلىٰ هذا الشيخ ظفرت بالذخائر النفيسة من العلم والعمل والحال ورتعت الخصب من كثرة ما تنال، وتعلقت بالعقدة الربانية التي لا تنحل بحال، وأخذت بالسبب والعهد الصحيح، حتىٰ إنك بفضل الله تعالىٰ لو أنجز بك الهوىٰ إلىٰ أمد ما فسترجع إلىٰ الله تعالىٰ وتنيب ببركته، وأويت إلىٰ كهف العلم والدين الممتنع كل من يأوي إليه، وصعدت في جبل من جبال العلم عزيز كل من صعد إليه، وجعلت نفسك في يد من يؤدبها ويربيها ويرعاها كما يرعىٰ الحفيدد دوابه، وشكوت أمراض النفس وغلبة الهوىٰ إلىٰ حكم في النفوس بإذن الله تعالىٰ ينصفك ويعينك بتوفيق الله تعالىٰ ومنته، وهذه أيضًا تمثيلات، ثم قال:

وَعَدَتْ ركابُكَ ذاتَ عرقٍ مصحرا فليعل نعمان الهوىٰ وليرعدِ

ونـزلـتَ في آلِ الـمـهـلـبِ شاتيا ووردتَ ورد الـجـودِ غير مـذوّدِ
ووردتَ مـن مـاءِ الـفـراتِ زلالـه إذ كـان غيرُك واردا أجـن المدي
وأتيتَ بيتَ العلمِ والعملَ الرضىٰ مـن بـابـهِ مستصحبًا للمقلدِ
ووفــتْ لـك الأيــامُ بعد مطالها بـلـقـاءِ مصباحِ الـزمـانِ الأوحـد

عدا الشيء يعدوه: جاوزه. وذات عرق: موضع معروف[1]. والمصحر: الداخل في الصحراء. «ورعد وبرق»[2]: تهدد. والمهلب: هو ابن أبي صفرة الأزدي[3]. والشاتي: الداخل في الشتاء. وذاده وذوّده: طرده. والماء الآجن: المتغير المطعم والريح. والمدي: كغني ما سال من الحوض من الماء فخبث. والمقلد: المفتاح. والمطال والمماطلة ظاهر.

يقول: إنك متىٰ لقيت هذا الشيخ خرجت عن المخاوف كلها وصرت إلىٰ المأمن، ولمح إلىٰ قول الشاعر:

إذا جـاوزت مـن ذات عـرق ثنية فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد[3]

(١) ذات عرق: بكسر العين وسكون الراء، موضع تفصل ما بين تهامة ونجد والحجاز، وهو موضع مشهور يعرف الآن بالضريبة، وهو منهل أهل العراق، وهي منجدة ثم يهبط منها إلىٰ تهامة الحجاز، وهي ملتقىٰ حجاج شمال نجد والعراق. انظر: صفة جزيرة العرب: ٨٩.

(٢) يقال في المثل: «رعد فلان وبرق» زهر الأكم: ٣/ ٧٢.

(٣) المهلب بن أبي صفرة الأزدي أحد القادة المشهورين بالحزم وقوة البأس أسند إليه عبد الله ابن الزبير قتال الخوارج، تولىٰ خراسان من قبل الحجاج، ومات بالبصرة. انظر: الأخبار الطوال: ٢٧١، وزين الأخبار: ١٧٦، والشعور بالعور: ٢٢٢، والأعلام: ٧/ ٣١٥.

(٤) البيت من بحر الطويل.
وهو منسوب للمتلمس الضبعي، وهو بديوانه: ٢٨٠، وهو بالأمالي: ١/ ٩٧، وفصل المقال: ٣٥٥، والخصائص: ٣/ ٢٩٧، المزهر: ٢/ ٣٤٠، ومجالس العلماء الزجاجي: ١٤٢، وزهر الأكم: ١/ ١٨٢، والكامل: ٢/ ٦٦١.

أي: أنه كان يتخوّف شر أبي قابوس وهو: النعمان بن المنذر[1]، فأخبر أنه إذا جاوز ذات عرق وأوغل في بلاد العرب أمن من شره فليرعد وليبرق ما شاء فلا يناله، وكذا المريد إذا لقىٰ هذا الشيخ فقد أمن من نعمان الهوىٰ، ونزلت أيضًا بمن لا تخاف في جواره ضياعًا ولا فقرًا؛ لأن الزمان أو اشتد، ولمح إلىٰ قول الآخر:

نزلت علىٰ آل المهلب شاتيا غريبًا عن الأوطان في زمن المحل
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم وبرّهم حتىٰ حسبتهم أهلي[2]

ووردت أيضًا ورد الجود والإحسان غير مطرود عنه، وأتيت أيضًا بيت العلم والعمل المرضي شرعًا من بابه الذي ينال منه والمفتاح في يدك فلا مانع منه، والكلام تمثيل، ووفت لك الأيام أيضًا بلقاء الأوحد في بابه، ونسبة الوفاء إلىٰ الأيام مجاز مشهور مستعمل عند العرب فاقتفىٰ أثرهم المولدون توسعًا وتفصحًا من غير أن يعتقد أن لشيء أثرًا ولا حكمًا دون الله تعالىٰ الفاعل المختار، ووجه التجوّز الملابسة، ثم قال:

وإذا الليالي أرهقتكَ معاذةً بذوي السيادةِ فلتعذ بالأسودِ
وإذا تريدُ ولاءَ قومٍ فانتسبْ منهم لأشمخ ذروة وضمخدَدِ

---

(١) النعمان بن المنذر: أشهر ملوك الحيرة علىٰ الإطلاق. داهية. أبيٌّ شجاع. ملك الحيرة إرثًا عن أبيه وأبلغها من الترف منتهاه، ومن العزة أقصاها. انظر: تراجم الأوائل: ١٠١، والمعارف: ٦٤٩.

(٢) البيتان من بحر الطويل.

وهما للأخنس الطائي في وفيات الأعيان: ٥/ ٣٥٤، وبلا عزو في غرر الخصائص: ٢٥١، والبيان والتبيين: ٣/ ٢٣٣ برواية أخرىٰ ومنسوبان لبكير بن الأخنس، والأمالي: ١/ ٤٢، وسمط اللآلي: ٢/ ٧٣٠، والشعور بالعور للصفدي: ٢٢٤، مع اختلاف الرواية.. البيت الثاني: فما زال في أحسابهم وجميلهم.

أرهقت فلانًا أمرًا: ألزمته إياه. والمعاذة: التحصن، يقال: عاذه عوذًا وعياذًا ومعاذًا ومعاذة. وساد يسود سوددًا وسيادة وهو أسود منه: أشرف. والولاء يكون بالعتق ويكون بالخلق، وغير ذلك من المعاني. وذروة الجمل معروفة، والذروة من كل شيء: أعلاه. والشامخ: العالي. والضمخدد في القوم: الصميم منهم.

يقول: إذا احتجت إلىٰ الالتجاء إلىٰ السادات فالحزم أن تلتجي إلىٰ الأسود فيهم، أي الأعلىٰ سؤددا، وإذا احتجت إلىٰ ولاء قوم فعليك بصميمهم وأرفعهم، والمراد من البيتين أنك تختار الاتصال بهذا الشيخ عن كل شيخ ظهر في وقته؛ لأنه أكمل وأدخل في القوم، ثم قال:

فانعمْ بعيشٍ لا يطار غرابه وانقعْ به غُلُل الفؤادِ وأمغدِ
بمعارفٍ منه الغزار فلو غدتْ ماءً لكانَ النيلُ منها كالمدي
ولو انتشىٰ منها رذاذُ صيفٍ في الشأزِ أبرضَ يوم ذاكَ وما كدي

يقال في الموضع الخصيب: إنه لا يطير غرابه، أي لظفره بما يريد، ولا يطير غرابه، أي لا تساع المكان وكثرة خيره، ثم صار مثلاً في كل خير[1]. والغلل: جمع غلة وهي العطش أو شدته. وأمغد: أكثر من الشرب، ويقال أيضًا مغد الفصيل أمه إذا رضعها، وأمغدته. والنيل بالكسر: نيل مصر المعروف. والمدي: جدول صغير يسيل به الماء المهراق من البئر أو حوض لم تنصب حوله الحجارة. والرذاذ: أضعف المطر. والصيف: النازل في الصيف. والشأز: المكان الخشن. وأبرضت الأرض: اخضرت بالنبات. وكدت الأرض كديًا وكدوًا: أبطأ نباتها، وقد وقع الفعل في البيت مكسورًا، ولم يحضرني الآن نصه في اللغة؛ فإن كان

---

(١) يقال: «هم في خير لا يطير غرابه». انظر: مجمع الأمثال: ٣/ ٤٨٠، ويقال أيضًا: «عيش لا يطار غرابه»، وزهر الأكم: ١/ ٨١.

فذلك وإلا فليقرأ بلا كد مصدرًا، أي بلا بطء، ويجوز أن يكون من قولك كدىٰ الرجل إذا بخل ذكره ابن القطاع[١].

يقول: إن اتصلت بهذا الشيخ فأنعم بعيش عجيب واسع واشف غلة فؤادك وأكثر من الشرب أو أرو نفسك كما تروي المرضعة ولدها، وذلك بمعارف وعلوم غزار، أي كثيرة من كثرتها، إنه لو صارت ماء لكان بحر النيل إذا نسب إليها كالجدول الصغير ومن قوة الانتفاع بها، إنها لو كانت مطرًا فنزلت منها مطرة ضعيفة زمان الصيف في المكان الصلب الذي ليس من شأنه أن ينبت لأنبت من يومه ولم يتراخ، وهذا في باب الحقيقة وفي المجاز وهو اعتبار القلوب يفهم مثل ذلك أيضًا، ثم قال:

وبهِمَّةٍ تذرُ الحضيضَ وراءَها شمما وتسمو للأشمِ الأقودِ
جرّتْ علىٰ الفلكِ الذيولُ وخيَّمتْ فوقَ النجومِ الزهرِ أعلىٰ مقعدِ

الهمة بالكسر فِعلة من الهم بالشيء وهو: قوة إرادة وتوجه بالقلب إلىٰ مطلب ما فإن كان عاليًا فهي همة علية وإلا فسافلة، قال الشاعر:

إذا أعطشتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعًا وريا
فكن رجلاً رجله في الثرىٰ وهامة همته في الثريا
فإن إراقة ماء الحياة (م) دون إراقة ماء المحيا[٢]

---

(١) ابن القطاع: أبو القاسم، علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي، من أسرة الأغالبة، ولد بصقلية في صفر عام ٤٣٣هـ، ودرس بالأندلس، بعد احتلال الفرنج لصقلية ذهب لمصر فأقام بها. وتوفي عام ٥١٥هـ. الأعلام: ٤/ ٢٦٩، ومعجم الأعلام: ٥١٢.

(٢) الأبيات من بحر المتقارب.

وهي منسوبة لحاتم الطائي، وليست بديوانه، وهي في زهر الأكم: ٢/ ٢٠٨.

وتذر: تترك. والحضيض أصله السافل في الأرض، ثم يطلق في كل سافل. وشممًا: الارتفاع. والسمو: العلو. والأقود: الجبل الطويل. وخيم بالمكان: أقام فيه.

يقول: إنك تنتفع منه أيضًا بهمة علية تركت كل سفاف من الأمور وساقط وراءها وتعلت إلىٰ المعالي، وفي الحديث: «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفافها»[1]، ووصف هذه الهمة بأنها جرّت ذيلها علىٰ الفلك فهو تحتها ونزلت فوق النجوم أعلىٰ منزل، وهذا كله تمثيل، والمراد ارتفاع الهمة عن الدنيا والآخرة.

ويقال: الزهاد صيد الحق من الدنيا والعارفون صيد الحق من الآخرة.

ثم قال:

وخلائق سُجُح أرق من الندىٰ وألذ مّن جدةِ المعيلِ المرمدِ

وسعتْ دماثتُها الأنامَ وألبستْ ثوبَ التفضلِ كلّ جافٍ حَلْقَدِ

وسقتْ قلوبَ الخلقِ كاساتِ الرضا بتجوّزٍ وتعطّفٍ وتغمُّدِ

حتىٰ أعادتْ كلَّ خبٍّ كاشحٍ حبًّا وبرًّا كل ألوىٰ ألودِ

الخلائق: السجايا جمع خليقة. والسُجُح بضمتين والسجيح: السهل اللين، والأولىٰ أن يكون ما في البيت جمع سجيح. والندىٰ معروف. والجدة: والوجد بالغنىٰ. والمعيل: ذو العيال. والمرمد: المفتقر. والدماثة: السهولة. والحلقد: الشيء الخلق كزبرج. والخب بالفتح والكسر: الخداع. والكاشح: المضمر العداوة. والحب: المحب، والبر: المحسن والمطيع. والألوىٰ: الشديد

---

(١) الحديث في شُعب الإيمان للبيهقي، وفي الطبراني الكبير وكذا الأوسط، والقضاعي في مسند الشهاب، والأنفاس من كلام سيد الناس: ١/ ٤٥٨.

الخصومة. والألود: الصعب لا يقبل الحق ولا ينقاد لأمر.

يقول: إنك تنتفع منه أيضًا بخلق حسن سهل أرق من الندىٰ بلا جفاء ولا غلظ، وألذ في القلوب من إصابة المحتاج ذي العيال الكفاية، وسعت هذه الأخلاق الناس تجملاً وتفضلاً حتىٰ غطته علىٰ الجافي السيئ الخلق فكيف بغيره، وأرضت الناس بتجوّز عن إساءتهم وجفائهم وتعطف عليهم وتغمد لهم حتىٰ أعادت بإذن الله تعالىٰ البغيض حبيبًا، والفاجر مطيعًا، وفي التنزيل: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1]، وهذه أخلاق النبي (ﷺ) علىٰ الصفاء والكمال ويأخذ منها الوارث من أمته كهذا الشيخ ما قسم له، ثم قال:

أخلاقُ هشٍ للوفودِ حلاحل ... متوطئُ الأكنافِ ليس بمسمدِ

لو رِئْته ناجتك عنه لوائحٌ ... صادفت ما تهوىٰ فلا تتألدِ

عينُ الجوادِ فُراره فمتىٰ رأىٰ ... عينيه معربه يهلُّ ويسجدِ

أو رِعته فبشير بشر قائل ... لا بأس فابسط من رجائك وامددِ

أو جئته وافتك ضمّةُ والدٍ ... حانٍ رفيقٍ بالوليدِ ممهّدِ

ويظلُّ يرعدُ منه هيبة منظرٍ ... وجلالة قلب المليكِ الأصيدِ

الأخلاق: جمع خلق وهو الخليقة المذكورة. والهشاشة: الارتياح والنشاط وهش فهو هش. والحلاحل: يقال للسيد الشجاع والقوي المروءة. والمتوطي: المتسهل. والمسمد: المتكبر يقال: سمد سمودًا إذا رفع رأسه كبرًا. ويقال: رآه وراءه مقلوبًا، والفعل مع التاء من الأول رأيته، ومن الثاني رئته كبعته وهو الواقع في البيت. واللوائح: ما يظهر من الدين والخير وحُسن الخُلق. وتألد: تجبر.

---

(١) سورة فصلت: ٣٤.

والفرار: بالضم فتح فم الفرس ليعلم ما سنه، يقال: فرّه فرارًا، وهو أيضًا البحث عن الأمر. والمعرب: العارف بالخيل العراب. وأهلَّ: صاح. وراعه الشيء: أفزعه، ورعت منه بضم الراء وكسرها، أي راعني، ويجوز حذف الجار فتقول: رعته. والصيد: ميل في العنق لكبر أو نحوه، وصيد بالكسر فهو أصيد، ويقال للملوك؛ لأن شأنهم ذلك.

يقول: هذه الأخلاق التي وصفنا في هذا الشيخ هي أخلاق رجل هش، أي مرتاح إلىٰ الوفود، وكل من يأتيه عظيم المروّة سهل الجانب، متواضع، متىٰ رأيته عرفته، وكأن لوائح وجهه وسمته وهديه الصالح تناجيك، وتقول لك: صادفت ما تريد فأقبل ولا تتحير ولا تشك، وهذا كما أن الجواد من الخيل عينه فراره، وهذا مثل[1] سائر، أي أنك متىٰ رأيته عرفت عتقه، ولم تحتج إلىٰ تقليبه إن كنت عارفًا بالخيل، ولذا قال: متىٰ رآه المعرب يهل ويسجد، أي يصيح من الفرح والتعجب، ويسجد شكرًا وتعظيمًا، ومتىٰ رأيته أيضًا فداخلك روع من الهيبة التي ألقىٰ الله عليه فإن بشره يؤمنك ويبشرك حتىٰ كأنه يناديك لا بأس عليك فابسط رجاءك وامدده، أي أنو ما شئت ففضل الله واسع، ومتىٰ جئته لقيت منه ضمة الوالد الحاني علىٰ ولده الرفيق به الممهد له حجره، وهذا مع عظيم ما عليه من الهيبة والوقار، حتىٰ إنه لو لقيه الملك الأصيد لظل يرعد منه من أجل هيبة منظره وجلالته، وذلك سنة الله في أوليائه إذا أظهرهم يكسوهم ملابس من جماله فيحبهم العباد ويألفونهم، وملابس من جلاله فيهابونهم ويحترمونهم، والله حكيم عليم، ثم قال:

وعظاتُ ذكرٍ لو غدتْ ماءً غدت ... ماء بعارضهن صمّ الجلمدِ
سحبٌ تروّىٰ من بحارِ معارفٍ ... فتجود أقطارَ القلوبِ الجهَّدِ

(١) يقال: الجواد عينه فرارة، وزهر الأكم: ١/ ١٠٦، ومجمع الأمثال: ١/ ١٢.

منها علىٰ الجفلىٰ غمامٌ مسبلٌ ردم وللنقرىٰ حظاء معوّدِ
صهباءُ ما مُزِجَتْ بماءِ غمامةٍ لكن بماءِ محاجرٍ لم تجمدِ
إيهٍ وما طبختْ بنارٍ غير ما نار الأسىٰ وحرارة لم تبردِ

العظة: الموعظة، يقال: وعظه وعظًا، وعظة وموعظة. والجلمد والجلمود: الأصم. وجاده المطر يجوده كما مرّ. والجهَّد: جمع جاهد، وهو من الجهد، ويقال: جهد عيشه إذا ضاق. والجفلىٰ: الدعوة العامة، والنقرىٰ الخاصة، قال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلىٰ لا ترىٰ الآدب منا ينتقر[1]

والردم: السائل. والحظىٰ: جمع حظوة وهي المنزلة والمكانة من الرزق. والتعويد: أكل العُوادة بضم العين وهي طعام يعاد علىٰ الرجل من طعام يخص به بعدما يفرغ القوم. والأسىٰ: الحزن.

يقول: إنك أيضًا تنتفع من هذا الشيخ بمواعظ تخشع بها النفوس، وتلين القلوب حتىٰ أنها لو صارت ماء ونزل علىٰ الصخور الصم لصارت ماء به وضرب مثلاً لهذه المواعظ أو لما يحصل منها من الذكرىٰ بأنها سحائب تمتلئ من بحار المعارف التي في قلبه، وهذا ما تزعم العرب أن الغمائم ترتوي من البحر فتجود أقطار القلوب المجدبة العطشىٰ من هذه المعارف وهذه السحب علىٰ عامة المتوجهين النفع العام اللائق بهم، وعلىٰ الخواص زوائد وأسرار يخصون بها تكون لهم بذلك حظوة ومكانة لا تكون لغيرهم، وهذا شأن التربية، ثم وصف هذه المعارف أو ما يحصل من المدد بأنها صهباء، أي خمر تنبسط

(١) البيت من بحر الرمل.
وهو بديوانه: ١٦٩ وقد سبق تخريجه.

لها أرواح أرباب القلوب مزجت بماء الغمام[1] وهو ما تستحسن العرب مزجها به، حتىٰ قال الأعشىٰ[2]: وقد قيل له: ما ألذ الأشياء؟ [فقال:][3] صهباء صافيه تمزجها ساقية من ماء غادية[4]. ولكن مزاجها ماء البكاء ودموع محاجر لم تجمد، بل هي سخية بالدموع، ويستعمل جمود العين في بخلها بالدموع عند ما تراد، وقد يستعمل في عدم البكاء مطلقًا، كقول الأعرابي:

ستبكي المخاض الجدب إن مات هيثم وكل البواكي غيرهن جمود[5]

وهذه الصهباء أيضًا ما طبخت بنار إلا بنار الحزن والخوف من الله تعالىٰ وحرارة ذلك في القلب لا تبرد، وقوله: إيه بكسر الهمزة والهاء، وتنوّن كما في البيت كلمة استزادة من الحديث، ثم قال:

---

(١) في (ط): ما مزجت بماء الغمام.

(٢) الأعشىٰ: ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن بكر بن وائل. شاعر جاهلي مشهور مقدم. يكنىٰ بأبي بصير تسميه العرب صناجة العرب. أدرك الإسلام في أواخر عمره. عده ابن سلام من شعراء الطبقة الأولىٰ. انظر: ديوانه بتحقيق محمد محمد حسين (القاهرة). معاهد التنصيص: ١/ ١٩٦، والمؤتلف: ١٠، وسمط اللآلي: ١/ ٨٣، والأغاني: ٦/ ٧٩- ٨٠، ٨/ ٧٤-٨٤، ٩٦-١٣٨، والأعلام: ٧/ ٣٣٤، ومعجم الشعراء (عفيف): ٢٢.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) هي بالعقد الفريد: قيل للأعشىٰ: ما السرور؟ قال: صبهاء صافية، تمزجها ساقية، من صوب غادية، العقد الفريد: ٧/ ٢٤٥.

وقد وردت الرواية عن امرئ القيس، قيل: سئل امرؤ القيس في أي شيء لذتك؟ فقال: في بيضاء صافية، تمزجها ساقية، من صوب غادية. فصول التماثيل: ١١٩.

(٥) البيت من بحر الطويل.

وهو لأبي الفتح البستي زهر الأكم: ٢/ ٢٨٤، وسمط اللآلي بلا عزو: ٢/ ٦٦١.

كَـرْمُ الخلائقِ عيصُها والعلم لا ... كـرمُ الـحدائـقِ وانـتبـاذ العنجدِ
ودِنـانـهـا الفكر الصفيُّ هواؤها ... لم يكس من صرِّ الهوىٰ أو يصخدِ
والـكـاسُ مقول فيصلٍ في راحـةٍ ... من قـولِ صـوبٍ للصوابِ معوَّدِ
قد صانها صـونَ النفوسِ وبثَّها ... بـث الـنفيسِ لأهـلـهِ لا الـسُّمّـدِ
فـإذا أدار كـؤسَـهـا طـربـتْ لها ... أهلُ النُّهىٰ طربَ القضيبِ الأملدِ
وأصاختْ الأسماعَ نصتة ممحلٍ ... لـلـرعـدِ والـقـردِ الـعـكـي لمقردِ
وتـمـنَّـتْ الآذانُ لـو كـانـتْ معًا ... قـلـبًا فـتـسـعد مثلـه بـالـمـسـعـدِ
وتمنَّتْ الأعـضـاءُ لو كانتْ معًا ... أذنًـــا ولــولا فــوزهــا لــم تحسدِ

الكرم بفتح الراء: الشرف. والعيص: الأصل. والكرم: بسكون الراء شجر العنب. والحدائق: جمع حديقة وهي المحوطة. والعنجد: العنقود. والدنان: جمع دَن بالفتح وهو الوعاء يجعل فيه الخمر. والصر: البرد. والصخد: الحرارة. والمقول: اللسان. وصوب الصواب: جهته. والمعوّد: بفتح الواو المشددة المؤلف تقول عوّدته الشيء فاعتاده. والسمَّد: جمع سامد وهو المتكبر كما مرَّ. وأصاخ إليه: استمع وأنصت سكت، ويقال أيضًا: نصت، والاسم النُّصتة بالضم. والممحل: المجدب. والقرد بالكسر: البعير يلصق به القراد. والعكي: جمع عكة وهي هنا أصل الذنب، وقَرَد البعير تقريدًا أزال ما عليه من القراد.

يقول: إن هذه الخمرة الموصوفة إنما تعتصر من الأخلاق الكريمة والعلم، فذلك عيصها أي أصلها لا من الكروم وانتباذ العناقيد، والدنان التي تجمع فيها هي الأفكار الصافية التي لم يفسد هواؤها بصر البلادة والجمود، ولا بحرارة الطيش والجحود، والكأس التي تدار فيها هذه الخمرة علىٰ الشاربين هي القول الفيصل، أي المفصول الذي يتبينه من يخاطب به، والفاصل بين الحقائق وبين الحق والباطل الصادر من لسان عدوّه صاحب الصواب، فقد صان هذه الخمرة

صاحبها فلم يبتذ لها لمن ليس من أهلها كما يصون نفسه التي هي أعز الأشياء عليه، وبثها بث الشيء النفيس، أي الرفيع لأهله أي المستحقين له وهم الصادقون في توجههم، المذعنون للحق، المتأدبون بين يدي أهله لا السمّد، أي المستكبرين. قال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[١]، فإذا أدار كؤسها علىٰ السامعين وقت التعليم والوعظ والتذكير طرب لها أهل النهىٰ أي العقول، واهتزوا اهتزاز القضيب الأملد، أي الناعم وقت هبوب الرياح، وأصاخت لها أسماعهم إصاخة المستبشر العطشان كالذي أجدبت مراعيه إذا سمع صوت الرعد فلا شيء ألذ منه عنده، وفي هذا تلميح إلىٰ قول الشاعر:

وحديثه كالرعد يسمعه راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيًا ويقول من فرح هيا ربا[٢]

وتكون أيضًا في سكونها وهدوّها كالبعير الذي تمتلئ عكاه بالقراد لمن يزيل عنه ذلك، وفيه تقول العرب في وصف القوم بالهدوّ والسكون «**كأن علىٰ رؤسهم الطير**»[٣]، وذلك أن الغراب ينزل علىٰ البعير فيلتقط ما عليه من القراد فيسكن لذلك ولا يتحرّك منه عضو أصلاً، وحينئذ أديرت تلك الصهباء تتمنىٰ الآذان لو كانت قلوبًا لتكون أوعية لها فتسعد بها، وذلك أن الآذان إنما هي واسطة، والقلب هو الشارب، ولكن للآذن مع ذلك فضيلة التوسط، ولا سيما علىٰ مذهبنا من أن

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٥.

(٢) البيتان من بحر الكامل.

وهما بالخصائص بلا عزو: ١/ ٣٠، والأمالي: ١/ ٨٤، وهما في ألف باء للبلوي للراعي النميري: ٢/ ٤٧٨، وليسا بديوان الراعي، والبيت الثاني ورد في اللسان (هيا).

والبيت الأول ورد برواية: وحديثها كالغيث ....

وزهر الأكم: ٣/ ١٥٢ برواية: وحديثها كالقطر.

(٣) المستقصىٰ: ٢/ ٢٠١.

الحواس مدركة فتتمنىٰ باقي الأعضاء أن لو كانت أذنًا فتفوز بهذه الفضيلة، ولولا فوز الأذن ما غبطتها الأعضاء، وقد استوفىٰ ما للشيخ من معرفة وهمة وخلق وحسن تلقين وتعليم وتذكير وما له من المدد والنور والفتح، ثم قال:

واسمعْ أُخَي هديتَ قولة ناصحٍ إن العلىٰ لا تنبغي لمسخّدِ

وهيوبة لَصْبٍ هِراء مائق تعي مذاهبه عليه مخضّدِ

وجلندد زمر المروءةِ لامح عطفيه ألودُ خائلٍ متفيّدِ

أخي: مصغر أخ للتقريب والتحبب وهو منادىٰ، أي يا أخي. والمسخد: الثقيل الروح من كثرة الأكل. والهيوبة: الجبان. واللصب: كفرح البخيل العسر الأخلاق. والهراء بالكسر: الضعيف البليد. والمائق: الأحمق. وأعيت علىٰ فلان مذاهبه، أي طرقه فلم يهتد لحيلة ولا سبب. والمخضد: الأكول. والجلندد: الفاجر. وزمر المروّة: القليلها. واللامح عطفيه: المعجب بنفسه ينظر في عطفيه، أي جانبيه. والألود تقدم. والخائل: المختال عجبًا وتيهًا. والمتفيد: المتبختر.

يقول: ألمم بدرعة ولازم الشيخ إن كانت لك همة في المعالي، واسمع يا أخي هداك الله إلىٰ الحق قولة ناصح لك وبين ذلك بقوله: إن العلا أي شرف المنزلة لا تنبغي لمن اتصف بشيء من هذه الأوصاف، وذلك دائر بين كون الإنسان ساقط الهمة منهمكًا في شهوة بطنه كالمخضد، وكونه عسر النفس سيئ الخلق كاللصب والزمر المروّة والجلندد، وكونه قليل العقل ضعيف الميز كالهراء والمائق ومن تعيي عليه مذاهبه، وكونه معجبًا بنفسه، وذلك أيضًا من ضعف الميز كالخائل والمتفيد واللامح عطفيه، وكونه ضعيف النفس هيوبًا، وهي مع كونها عللاً في الإنسان تعوقه عن الخيرات، غير أنها قابلة للعلاج بالرياضات والنفحات الربانية، أما ضعف الميز الخلقي فصعب الزوال، وقلة التجريب تداوىٰ، فليس المراد من الأبيات إن كل من آنس من نفسه هذه الأوصاف أو شيئًا منها ييأس من الخير فلا يطلبه، بل المراد أنه ما دام متصفًا بها فلا ينال، فإن

كانت له همة أو خلقت له إرادة في الخير فليجاهد نفسه حتىٰ يتخلىٰ عنها، وما ذلك علىٰ الله بعزيز، وإنما علىٰ العبد تعاطي الأسباب، وعلىٰ الرب، فضلاً منه فتح الباب، ثم قال:

قمن بها ابن سرىٰ أريبٌ حُوّل   خمصُ الحشا حران مطلع أنجدِ

نُهض علىٰ العِلاتِ بالبزلاءِ في   سودِ الخطوبِ وفارج المتعجلدِ

لا يستريحَ إلىٰ الدعاتِ ولا يرىٰ   نحبُ الفتىٰ اليومي يقضيه الغدي

القمن بالشيء: الخليق به. وابن السرىٰ: الذي لا يؤوده سرىٰ الليل في مأربه فيألفه حتىٰ كأنه ابنه كما قيل ابن السبيل. والأريب: العاقل. والحوّل: بضم الحاء وتشديد الواو: الفطن القادر علىٰ التحوّل في الأمور من وجه إلىٰ وجه. والخمص الحشا: الجائع. والحرّان: من الحرارة وهي العطش ويستعمل حقيقة ومجازًا كما هنا. والمطلع: الكثير الطلوع. والأنجد: جمع نجدة وهو ما ارتفع من الأرض، يقال: فلان طلاع أنجد، وطلاع ثنايا، إذا كان يتعاطىٰ الأمور العظام ويدركها. والنهض: الكثير النهوض. والعِلات بالكسر: الحاجات والضرورات. وقال زهير:

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ   ـكن الجواد علىٰ علاته هرم[1]

---

(١) البيت من بحر البسيط.

زهير بن ربيعة الملقب بابن أبي سلمىٰ بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن. شاعر جاهلي من مزينة من مضر. كان يقيم بغطفان بنجد وأسرته أسرة شعراء، كان والده شاعرًا وخال أبيه بشامة بن الغدير، وزوج أمه أوس بن حجر، وأخته سلمىٰ وابناه كعب وبجير، وحفيده عقبة بن كعب، شهد داحس والغبراء. عده ابن سلام من الطبقة الأولىٰ من الجاهليين. من أصحاب المعلقات. انظر: ديوانه بتحقيق مصطفىٰ السقا (القاهرة). معجم شعراء اللسان: ٧١. خزانة الأدب: ١/ ٣٧٥، ونزهة الألبا: ٣٦٢، والمؤتلف: ٨٧، ٦٤٢، والأعلام: ٣/ ٥٢، ومعجم الشعراء (عفيف): ١٠٤، والبيت بديوانه: ٩١، وسمط اللآلي: ١/ ٤٦٧، ٢/ ٩٢١، والعمدة: ٢/ ٣٥، وخزانة الأدب للحموي: ١٨٦، وزهر الآداب: ٢/ ٧٠٦.

أي: يجود علىٰ حالة الشدة والضعف ولا يمنعه ذلك من الجود. والبزلاء: الداهية العظيمة، ويقال أيضًا: الرأي الجيد، ويقال: فلان نهاض ببزلاء، أي قائم بالأمور العظام. وسود الخطوب: الشداد منها التي لا يهتدي فيها لحيلة. وتعجلد الأمر: عظم واشتد. والدعة: الخفض واتساع العيش. والنحب: الحاجة والنذر أيضًا. والغد: في البيت أصله الغدي بياء النسب، يقال في النسب إلىٰ الغد: غدوي وغدي كما في البيت.

يقول: إن العلا من اتصف بهذه الأوصاف هو الخليق بها مع العناية السابقة فقوله: فمن خبر مقدم، وابن سرىٰ هو وما بعده المبتدأ، وهي أيضًا دائرة بين ارتفاع الهمة والقوّة والفطنة مع الحزم، فقوله: لا يرىٰ نحب الفتىٰ اليومي، أي لا يسوّف أمره فيرىٰ أن الحاجة التي تطلب اليوم ستقضىٰ في الغد، بل يبادر بها اليوم؛ فإن آفة العمل التسويف، وهذا مما أجمع عليه الناس كافة أهل الدنيا وأهل الديانات وأهل الحقائق، ومن ثم يقولون: «**الفقير ابن وقته**»[1]، أي كل وقت حضره يجتهد في أن يقيم فيه ما وجب فيه، ولا يلتفت إلىٰ وقت ثان، وهذا في كل وقت مع وقت يليه، والتعبير بالأيام في البيت توسع لأن الأمر: إذا اعتبر في الوقت الحاضر، فاليوم الذي بعده غد، وإذا اعتبر في الغد فاليوم الذي قبله أمس له، ثم قال:

والمجدُ ليس بقرقرٍ بل في ذرىٰ ... نيف يفوتُ مدىٰ الصقورِ الصيّدِ

والملكُ خِلت وراءَ غشيانِ الظبىٰ ... وقنىٰ بأيمانِ الكُماةِ مقصّدِ

وصواهلٍ وهواجلٍ وجحافلٍ ... ومحافلٍ وتهدّدٍ وتوعُّدِ

المجد: الشرف والعلوّ. والقرقر: المطمئن من الأرض. والنيف: أرفع موضع في الجبل. والصقور: جمع صقر من الطير معروف. والظبي: جمع ظبة وهي حد السيف. والمقصد: المكسر من القنىٰ. والصواهل: الخيل. والهواجل. الإبل.

(١) العرب تقول: «ابن يومه» هو الذي لا يتفكر في غده. ما يعول عليه: ١/ ٩، المرصع: ٣٥٠.

والجحافل: الجيوش. والمحافل: جموع الناس.

يقول: إن المجد ليس مطروحًا في قرقر من أراده أخذه كلاً وإنما هو فوق أعالي الجبال التي لا تبلغ لها الصقور إذا حلقت، مع أنها تبعد في الجو كثيرًا، والملك أيضًا في العادة تراه أيها العاقل إنما يحصل بعد غشيان السيوف والرماح وإعمال الخيل والإبل، والاحتياج إلىٰ العساكر والمجامع، ووقوع التهدد علىٰ الأعداء، وعلىٰ كل من عصىٰ، والتوعد بالعقوبة أو غشيان خيل الأعداء وركابهم وجحافلهم ومحافلهم ومقاساة تهددهم وتوعدهم، فكذلك الملك الذي أنت في طلبه أيها المريد لا بد لك من مقاساة مثل ذلك أو أكثر، فإن ملكك أعز وأقوىٰ وأنقىٰ، والله الموفق، ثم قال:

والحزمُ سيفٌ ليس ينبو مضربا ومطيةُ أبدًا برحلك تختدي

والفعلُ مصداقُ اللسانِ وإنما قولٌ بلا عملٍ هُذاء مزنـدِ

ولربِ خالقِ جنبة لم يفرها ومهدرٍ في عُنّة لم ينهدِ

الحزم: ضبط الأمر والأخذ فيه بالقوة. ونبا السيف عن الضربة: لم يقطع وخدت الناقة تخدي: أسرعت في مشيها. ومصداق الشيء: ما يصدقه. والهُذاء: بالضم والذال المعجمة الكلام لا حاصل له يصدر من مريض أو مجنون، يقال: هذي يهذي هذيًا وهذيانًا ويهذو إذا تكلم به. وزند تزنيدًا: كذب. والجنبة: جلد البعير إذا أريد قطعه قدّر قبل القطع علىٰ أي وجه يقطع، فذلك التقدير هو الخلق، ثم يفريه أي يقطعه؛ فإن قدّره ثم لم يقطعه قيل: خلق ولم يفر، وضرب مثلاً فيمن يهم بالأمر ولا يمضيه، قال زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري[1]

---

(١) البيت من بحر الكامل.

وهو بديوانه: ٢٩. برواية: فلأنت تفري ما خلقت

والعُنّة بالضم: الحظيرة من خشب، وقد يكون فيها الجمل فيهدر ولا يجد مخرجًا فضرب أيضًا مثلاً لمن يهدد ولا يبطش فيقال: «**كالمهدر في العُنّة**»[1]، قال الوليد بن عقبة:

قطعت الدهر كالجمل المعنىٰ تهدر في دمشق ولا تريم[2]

ونهد إلىٰ الشيء: نهض إليه.

يقول: إن الحزم هو السيف القاطع ومن لا حزم له إنه يضرب بسيف كهام لا يقطع شيئًا فالحزم سيف لا ينبو، ومطية لا تكبو، والفعل مصداق القول، فمن يقول ولا يفعل إنما هو كالمجنون أو الكذاب ينطق بما لا حاصل له، وربما همَّ الإنسان بالأمر ولم يأته، والشأن في الفعل، ويكفي في هذا قوله تعالىٰ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3]، ثم قال:

وأضرّ شيءٍ للفتىٰ جدة الغِنىٰ وفراغ أيدٍ في الشبابِ السخوَدِ
ونسيئةُ السعي السديد إلىٰ مدىٰ أو للفراغِ أو البنانِ الكهوَدِ
من يعيهِ أن يستقيمَ ويهتدي جلدًا فقد عزا عليه إذا هدي

الجدة: الغني كما مر، والإضافة للبيان. والشاب السخود: الناعم. والنسيئة:

(١) القاموس المحيط باب «الراء» فصل «الهاء»، ولسان العرب (هدر) ١٥/ ٣٦.
(٢) البيت من بحر الوافر.
الوليد بن عقبة: ينتهي نسبه إلىٰ عبد مناف. نشأ في كنف أخيه عثمان بعدما قتل أبوه صبرًا يوم بدر. وكان شديدًا علىٰ المسلمين من أخويه عمارة وخالد. أسلم وشارك في يوم اليرموك، وكان علىٰ صدقات قضاعة. كما شارك في يوم دومة الجندل. وغزا أذربيجان وأرمينية في خلافة عثمان. انظر: الكامل ابن الأثير: ٣/ ٨٢، ونسب قريش: ١٤٦، والحماسة البصرية: ١/ ١١٥، ١٩٧، وشعراء أمويون نوري القيسي: ٢/ ٢٩.
(٣) سورة الصف: آية ٢.

التأخير. والبنان: الأصابع. والكهود: المرتعش من الكبر. وهدي بالكسر والهمز ويخفف: حُني من الكبر.

يقول: أضر شيء للإنسان في دينه، بل وفي دنياه أيضًا اجتماع الغنىٰ والشباب والفراغ، وهو قول الآخر:

علمت يا مساعد بن مسعده ... إن الشباب والفراغ والجده

مفسدة للمرء أي مفسده[1]

ومن الضرر أيضًا تسويف العمل الصالح والسعي النافع، إما إلىٰ زمان مستقبل، وإما إلىٰ التفرّغ، وإما إلىٰ الكبر؛ فإن من عجز عن السعي الصالح وهو جلد، أي قوي فكيف يقدر عليه حين يضعف وينحني كما قيل:

إذا المرء أعيته السيادة ناشئًا ... فإدراكها كهلاً عليه عسير[2]

ولذلك قيل: سيروا إلىٰ الله تعالىٰ عرجًا ومكاسير ولا تنظروا الصحة[3]، والإنسان في بلاء حين تقوىٰ عليه النفس، وحين تضعف يضعف، والأمر كله بيد الله من كان له راحم يفوز، ثم قال:

وشبىٰ الهوىٰ مسنونة مسمومة ... من تعتلق يضني إذا لم يقصدِ

---

(١) الأبيات من بحر الرجز.

وهي لأبي العتاهية، وهي بديوانه: ٤٩٥ عدا الشطر الأول. وروايتها: مفسدة للعقل أي مفسده، وهي كذلك بالمثلين: ١/ ٤١٥، وزهر الربيع: ١٤٦.

(٢) البيت من بحر الطويل.

هو لرجل من بني قريع بالحماسة البصرية: ٢/ ٤١٨، والفوائد المحصورة: ٣٤٠، وزهر الربيع: ١٤٥ برواية أخرىٰ، وبهجة المجالس: ١/ ٦٤٤، والبيان والتبيين: ١/ ٢٦٤ بلا عزو.

وبرواية: أعيته المروءة........ عليه شديد.

(٣) كشف الخفاء: ١/ ٥٦٣، والطبراني بالمعجم الكبير: ٣/ ٤٤، وتاريخ ابن عساكر: ٤/ ٢١١.

داءٌ دوىٰ ما أبـل سقيمَه إن لم يساعد بالطبيب المسعدِ
يا ويحَ ذي بالٍ وبيلٍ معرض لسهامهِ من كلِّ سهمٍ مقصدِ
تدوي الفؤاد فلا تداوي ما جنت فيه وتصمي ذا الفؤاد فلا تدي

الشبىٰ: جمع شبة كما مرّ. والمسنونة: المحدودة. والمسمومة: المسقية بالسم. واعتلقته وعلقته: أصابته. وضنىٰ بالكسر ضنىٰ: مرض مرضًا ملازمًا كلما ظن البرء انتكس. ورماه فأقصده: قتله مكانه. والداء الدوي مبالغة، كما يقال: ليلة ليلاء، ويوم أيوم. وأبل المريض إبلالاً: أفاق من مرضه. والوبيل: الوخيم. والمعرض: الممكن يقال: أعرض الصيد إذا أمكن للرمي، ومن ثم يستحبون السانح؛ لأنه يأتي من جهة اليسار فيمكن للرامي(١). وأقصد السهم: أصاب فقتل مكانه. ودوي بالكسر دوي: مرض، وأدواه: أمرضه، وداواه: عالجه. وأصماه: رماه فقتله مكانه. ووداه يديه أي أعطىٰ ديته.

يقول: إن شبوات الهوىٰ المسددة إلىٰ قلوب العباد مسنونة لا تنبو، ومسمومة مع ذلك لا يكاد يسلم من أصابته إلا أن يعافيه الله تعالىٰ، ولذا قال من تعتلقه فإن لم تقتله مكانه بوقوع الزيغ، إما من الإسلام إلىٰ الكفر أو من الطاعة إلىٰ المعصية، أو من الحضور إلىٰ الغفلة عياذًا بالله تعالىٰ، فلابد أن تمرضه حتىٰ يبقىٰ مذبذبًا، كلما قام سقط، وكلما أقبل أدبر، وذلك داء دوي للمريض إن لم يساعد بالطبيب المسعد وهو الشيخ الكامل. والطبيب في الحقيقة هو الفاعل المختار؛ فإذا أراد أن يشفي عبده شفاه إما كفافًا وهو نادر، وإما علىٰ يد ولي من أوليائه، والله علىٰ كل شيء قدير. يا ويح ذي بال أي خاطر. وبيل أي وخيم

(١) هكذا بالأصل. بينما ورد في لسان العرب «السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك. وقيل: السانح الذي يجيء عن يمينك فتلي مياسره مياسرك. والسانح أحسن حالاً عندهم في التيمن من البارح» لسان العرب: ٧/ ٢٧٠.

من الهوىٰ والشهوة. معرض أي منتصب لسهامه. المقصدة: القاتلة. تدوي أي تمرض هذه السهام فؤاد من ابتان بها فلا تداوي ما جنت فيه من المرض وتصمي صاحبه بالزيغ والضلال فلا تُعطىٰ فيه دية، ثم قال:

والعقلُ تكنفه الجهالة والعمىٰ ... أبـدًا لقيط ظل غير مسرهَدِ

وحوا لك الأوهام ليس بقائدٍ ... فيها سوىٰ قبسِ النهىٰ المتوقّدِ

والمرءُ يجهلُ ثم يجهلُ أنه ... ذو الجهلِ في أسرِ الضلالِ وما فدي

وإذا تضنىٰ في الوهادِ بأنه ... فوق المصادِ فذاكَ جدّ مهرّدِ

ذاك الدوىٰ عزَّ الدواء له وما ... كل المداوين الدوا بالعضدِ

اللقيط: صبي يوجد بمضيعة. وسرهد الصبي: أحسن غذاءه. وضنن الشيء وتضننه، ثم تقلب النون الآخرة ياء فيقال: تضناه كما يقال: رياه ودساه وأصله رينه ودسنه. الوهاد: جمع وهد، كما مرّ. والمصاد بالفتح: أعلىٰ الجبل. ورهد ترهيدًا، أي أتىٰ بالحماقة العظيمة، فيقال: هو كريم جد كريم بالكسر، وعالم جد عالم، أي بالغ النهاية في وصفه قال قطري:

لعمرك إني يوم ألطم وجهها ... علىٰ نائبات الدهر جد لئيم[1]

والدوىٰ بالقصر: الحمق، وهو أيضًا المرض كما مر. والدواء: ما يعالج به. وعضد المريض وغيره: قطعه.

---

(١) البيت من بحر الطويل.
قطري: قطري بن الفجاءة، ويكنىٰ أبا محمد أو أبا نعامة من بني الكابين من مازن من تميم. آخر زعماء الأزارقة، توفي ٧٨هـ، وكان شاعرًا وخطيبًا، من أشهر شعراء الخوارج. انظر: الأخبار الطوال: ٢٨٥-٢٨٩، ووفيات الأعيان: ١/ ٥٤٤، ٥٤٥، وخزانة الأدب: ٤/ ٢٥٨، والأعلام: ٦/ ٤٦، وشعر الخوارج (نايف معروف بيروت)، ووفيات الأعيان: ٤/ ٩٤، والوافي بالوفيات: ١٥/ ٤٥٦. والبيت بديوانه: ٢٢٩.

يقول: إن العقل إذا أحاطت به الجهالة والعمىٰ أبدًا، ولم يكن له من يربيه بالعلم والتجاريب يكون بمثابة الطفل اللقيط لا يجد من يغذه ويحسن غذاءه، وإنما قال ذلك لأن غذاء العقل إنما هو العلم كما أن غذاء الجسم الطعام، وكما يضيع هذا أو يفسد بعدم الغذاء أو فساده كذلك الآخر. والأوهام: الحوالك، أي السود الشديدة السواد لا يقود الإنسان فيها إلا قبس العقل المتوقد من قوة الذكاء والفطنة، وإذا ظن الإنسان فيها وهو في الحضيض من الجهل التقليد أو القصور أنه فوق الجبال العقلية فهمًا وعلمًا وكمالاً، فذلك هو الأحمق البالغ النهاية في الحمق، وإذا جهل وجهل أنه جاهل فهو في ضلال لا مخلص له منه؛ لأنه صاحب الجهل البسيط قابل للتعليم طالب له لإحساسه بالحاجة، وهذا لا يقبل إذ لم يحس فلا مخرج له منه إلا أن يأتيه وهب من الله تعالىٰ، والذي يظن بنفسه ما لم تبلغه هو الدوي الأحمق الذي لا دواء لحمقه كما قلنا، وما كل المداوين للدوي، أي المرض بالعضد، أي الحاسمين له من البدن، فما كل داء يعالجه الطبيب، ثم قال:

والطبعُ أملكُ والصنائعُ في الفتىٰ ... خلق ونور عنه إن لم تتلدِ

والحقلُ مأوىٰ البقلِ والحبِ الذي ... تمتار ليس بفدفدٍ معلنددِ

والأَرْيُ ليس مُجاج كل أذبة ... والزَّبدُ ليسَ خلاص كلّ مزبدِ

الصنائع: جمع صنيعة وهي الإحسان من الخير. والخلق: ما جُبل عليه الإنسان. والنور: جمع نوار، يقال: امرأة نوار، أي نفور عن الريبة. وتلد المال يتلد تلودًا إذا كان أصيلاً بولادة أو إرث. والحقلة: الأرض الطيبة للنبات، وفي المثل «**لا ينبث الحقلة إلا البقلة**»[1] يضرب لكل الشيء لا يوجد إلا في محله كما

(١) المستقصىٰ: ٢/ ٣٩١، وتمامه: «هل ينبت البقلة إلا الحقلة»، وفي مجمع الأمثال: «لا ينبت الحقلة إلا البقلة»: ٣/ ١٨٢.

قيل:

لا يوجد الخير إلا في منابته والشرُّ حيث طلبت الشر موجود[1]

وقال زهير:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجة وتغرس إلا في منابتها النخل[2]

والفدفد: المكان الصلب الغليظ. والمعلندد: الذي لا ماء فيه ولا كلأ. والمجاج بالضم: الريق ترميه من فيك، والعسل، ويقال: مجاج النحل. والأذبة: جمع ذباب، وجمعه في الكثرة ذبان، كما قال:

عصافير وذبان ودود وأجراس مجلجلة الذئاب[3]

والزبد معروف. والخلاص من الشيء بالكسر: ما يستصفىٰ منه. وزبد السقاء: مخضه ليخرج زبده ويضعف كما في البيت.

يقول: إن طبع الإنسان أملك له وأغلب عليه وهو أجرىٰ إليه بأدنىٰ سبب وما يحمل نفسه عليه من الأوصاف التي لم يطبع عليها شاق عليه وبأدنىٰ شيء يزول عنه ويرجع إلىٰ طبعه كما قيل ويغلبه علىٰ النفس خيمها وصنائع الإحسان في الإنسان إنما يعتد بها وتثبت له إذا كانت خلقًا فيه، أي مطبوعًا عليها تالدة له

---

(١) البيت من بحر البسيط.
وهو لليوسي: زهر الأكم: ٢/ ٢٩٦ برواية: في معادنه.

(٢) البيت من بحر الطويل.
وهو بديوانه: ٦٣. برواية: إلا وشيجه، ونوادر المخطوطات: ١/ ١٧٥، والعمدة: ٢/ ١١٥، وخزانة الأدب للحموي: ١٠٣، وزهر الآداب: ١/ ٥١.

(٣) البيت من بحر الوافر.
وهو لامرئ القيس، بديوانه: ٩٧. برواية: .... وأجرأ من مجلجلة الذئاب

وإلا فهي عنه نور، أي نوافر، وهذا كما إن البقل إنما ينبت في الحقل ولا ينبت في الجرز، والحب الذي يمتار، أي يجلب للقوت لا ينبت في الفدفد، وإنما ينبت في مزارعه، والعسل ليس مجاج كل ذباب، وإنما هو مجاج النحل خاصة، والزبد ليس خارجًا من كل سقاء يمخض، بل من سقاء اللبن فقط، فهذه أمثال حاصلها «**إن الناس معادن**»[1]، كما في الحديث الشريف، وأشجار لكل شجرة ثمرة لا تكون للآخر، وقال الشاعر:

أرىٰ كل عود نابتًا في أرومة أبىٰ منبت العيدان أن يتغيرا[2]

وهذا هو العفو الغني عن الكلفة، وأما استحداث طبع فلا بد فيه من معاناة شاقة، ومع ذلك لابد من ذلك في الأغلب؛ لأن الإنسان يجبل علىٰ أخلاق حسنة ضعيفة فيفتقر إلىٰ تربية وتنمية حتىٰ تقوىٰ، ولذا كان في الحديث: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم»[3]، وعلىٰ أخلاق سيئة فيفتقر إلىٰ رياضة تكسر بها فورتها، فالتربية والرياضة لهما أثر في تغيير الخلق تقوية وتضعيفًا لا إنشاء وإعدامًا رأسًا، إلا أن يشاء الله تعالىٰ، ثم قال:

فالمشرفيُّ الهندواني إن صدىٰ يجلي ويشحذُ متنه بمحدّدِ

---

(١) رواه مسلم في كتاب «البر والصلة»، باب «الأرواح جنود مجندة» برقم ١٦٠ (باب) من حديث أبي هريرة، وأورده أحمد في مسنده: ٢/ ٤٩٨، ومستدرك الحاكم: ٣/ ٢٤٣.

(٢) البيت من بحر الطويل.

وهو الجميل بثينة: وهو بديوانه: ١١٣. برواية:

فما العود إلا نابت في أرومه أبىٰ شجر العيدان أن يتغيرا

وهو بزهر الأكم: ١/ ٥٤.

(٣) أورده أبو نعيم في الحلية: ٥/ ١٧٤، والخطيب البغدادي في تاريخه: ٩/ ١٢٧ من حديث أبي هريرة بإسناد حسن، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، ورواه الطبراني، وبكشف الخفاء للعجلوني: ١/ ٢١٥.

ولربما سنَّ الكهامُ بموطنٍ إن لم يكن عن متنهِ من عنددِ
يلجىٰ إلىٰ مخِ العراقيبِ الطوىٰ ويجيءُ فقد العدِّ للمستثمدِ

المشرفي: السيف ينسب إلىٰ مشارف اليمن[1]. والهندواني: نسبة إلىٰ الهند. وصدىٰ السيف تقدم. وجلاه يجلوه: صقله. وشحذه: حدده. والكهام: السيف غير الصارم، ويقال: مالي عندد أي بد. وألجاه إلىٰ كذا وأجاءه إليه: اضطره. والطوىٰ: الجوع. والماء العد بالكسر: الثابت الذي ماله مادة. والثمد: القليل لا مادة له، واستثمده: اتخذه.

يقول: إن السيف الهندواني وهو الجيد الذي يتخذ، وإن عرض لمتنه صدىٰ صقل أو كلول شحذ ولا مشقة في ذلك؛ لأن الجودة فيه أصلية، والعارض سهل الزوال، وكذا الرجل الكريم الطبع تأديبه سهل، ولربما سنَّ السيف الكهام وإن لم يكن عنه بد فيقضي حاجة، وإن لم يبلغ مبلغ الصارم، وهذا كما يضطرّ الإنسان أحيانًا إلىٰ انتقاء العراقيب طلبًا لمخها، وإن كان قليل الجدوىٰ، والعرب يقولون في هذا: «**شر أجاءه إلىٰ مخة عرقوب**»[2]، أي: ما أجاءه إلىٰ مخ العرقوب إلا شر، وهو الضرورة، وكذا يضطرّ إلىٰ ورود الثمد مع قلة عنايته لفقد العد، فكذا الإنسان إذا لم يكرم طبعه فليتكف الخلق المحمود، ومن لم يجد كريمًا فليغتن بمتكرّم، ثم قال:

فابغِ العُلا بتعمّلٍ وتخلّقٍ إن لم تفزه من نيلها بمتلدِ
وإذا تبينَ لك المعالم فاختدم وإذا تحار بإثر عالمها اختدِ

---

(١) المشرفي: منسوب إلىٰ المشارف، وهي قرىٰ للعرب تدنو للريف. معجم البلدان: ٥/ ١٣٢.

(٢) هكذا بالأصل. والصواب: «شرٌّ ما أجاءك إلىٰ مخ عرقوب».

ويقال أيضًا: «الشرُّ ألجأه إلىٰ مخ العراقيب» زهر الأكم: ٣/ ٢٢٨.

والعراقيب: جمع عرقوب، وهو العصب فوق عقب الإنسان.

التعمل: تكلف العمل. والتخلق: تعاطي الخلق كما مرّ. والمتلد: القديم الموصل كما مرّ. ومعالم الشيء: آثاره وما يعلم به. وخدم واختدم، وحار يحار حيرة: لم يهتد، وخدىٰ يختدي واختدىٰ: أسرع.

يقول: ابغ العلا، أي: اطلبها بتكلف ومجاهدة نفس متعاصية أمارة بالسوء وخُلق كريه خسيس، إن لم ترزق نفسًا مطمئنة وخُلقًا محمودًا، ولا تترك نفسك ضائعًا إن لا تكن إبل فمعزىٰ؛ فإن لم يصبها وابل فطل، وإذا ظهرت لك معالم الحق فاخدم، أي اجتهد في اكتسابه عملاً وعلمًا وحالاً أو اخدم من يدلك عليه، ويقودك إليه، وإذا حرت ولم تكن لك بصيرة فقلد أهل الحق واتبعهم مسرعًا، ثم قال:

وذوو البصائرِ في الحياةِ وإن قفوا والـغـمـرُ مـفـقـودٌ وإن لـم يفقدِ

البصيرة: ناظر العقل، كما أن البصر ناظر العين. وذوو البصائر في الدين: هم العلماء والعارفون، وفي الدنيا هم الفطناء أهل التجارب[1]. والغمر: هو من لا تجربة له.

يقول: إن أهل العلم باقون، وإن ماتوا ببقاء ذكرهم وكلامهم وأتباعهم ومآثرهم، وأهل الجهل وإن لم يزالوا في قيد الحياة في حكم الموتىٰ إذ لا غناء لهم، ولا ذكر ولا مأثرة، ومثل هذا قول القائل:

أخـو العلم حـيٌّ خالد بعد موته وأوصـالـه تـحـت الـتـرابِ رميم

وذو الجهل ميت وهو يمشي علىٰ الثرىٰ يعد مـن الأحـيـاء وهـو عـديـم[2]

وهذا المعنىٰ كثير، والقصد به مدح العلم والإكباب عليه، ثم قال:

---

(١) في (م): التجاريب.

(٢) البيتان من بحر الطويل.

وهما بزهر الأكم: ١/ ١٧٥، ونسبهما المحقق إلىٰ أوس بن حجر، وليس بديوانه.

والعلم بدأٌ ليس أَرْيَا سيغا لكن جناة الحنظلِ المتهبّدِ
عِلقٌ نفيسُ لا يُباعُ ونائرٌ متأبدٌ عن كلِّ قدمٍ أو غدِ
لم يصمْه سهمٌ ولم يبتزهُ بانٍ ولم يصرعْ برمية مقلدِ
لكن بأشراكِ الحلومِ وهمّة نفّاذة الأغراضِ فليتصيّدِ
وجوادُ فكرٍ تمطيه مؤدّب أبدًا بأقطارِ المداكِ مشيّدِ
قيدُ الأوابدِ لا يزالُ على الونىٰ في كلِّ معوصةٍ يروحُ ويغتدي
من بعدِ نزعُ الروح في استعطائهِ ومذاقُ صبرٍ للحوايا مصخدِ
وتفكرٍ وتدبّرٍ وتصبّرٍ وتضرّرٍ وتقشُّفٍ وتمعددِ
وتوسّلٍ وتوصّلٍ وتحوّلٍ وتغرّبٍ وتفرّدٍ وتهجّدِ
فوراء وخزِ النحلِ شورُ شهاده ووراء شوكِ النخلِ نيلُ العرجدِ
وأمام أصدافِ اللآلي غوصةٌ في البحرِ والترياق سُمُّ الأسودِ
والصقرُ ينتظمُ الطريدة لا الأُلىٰ والليثُ يغشىٰ السرحَ دونَ الصقردِ

الأَرْيُ: العسل كما مرّ. والسيغ: السائغ في الحلق. والجناة والجنىٰ: ما يجني من الثمرة. والحنظل معروف وهو الهبد، وقيل: الهبد حبّه وهبده وتهبده: كسره وطبخه فهو متهبد. والعلق بالكسر: النفيس من كل شيء فوصفه بالنفيس توكيد أو كشف، قال الحماسي:

أبيت اللعن إن سكاب عِلق نفيس لا يعار ولا يباع[1]

(١) البيت من بحر الوافر.
وهو لرجل من بني تميم، طلب منه ملك من الملوك فرسًا يقال لها سكاب، فمنعه إياها.
وهو بحماسة أبي تمام: ١/ ٦٦. برواية: «لا تعار ولا تباع».

ونارت الظبية تنور: نفرت. وتأبد: الوحش. والقدم: البعيد الفهم. والوغد: الأحمق الضعيف، يقال: وغد بالضم وغادة فهو وغد وفلان أوغد من فلان، وكثيرًا ما يراد بأفعل معنىٰ فاعل كما عرف. وبزه وابتزه: سلبه، والباز جمعه بزاة، وقد يقال: باز غير منقض وجمعه أبواز فيجوز كسر الزاي وضمها. وصرعه صرعًا: ألقاه علىٰ الأرض. والمقلد: عصا في رأسها اعوجاج. والغرض: القرطاس ينصب ليرمىٰ. ونفذه السهم: خرج منه. والتأويب: سير النهار كله. والإسناد: قيل: هو الإصراع في السير، وقيل: سير الليل جميعًا، وقيل: الجمع بينهما. وفرس قيد الأوابد وهي الوحش، أي دراك للوحش فكأنه قيد له. والونىٰ بالقصر: التعب، يقال: ونىٰ يني ونيا. والمعوص: الأمر الشديد والمشكل لا يدرك. والاستعطاء: الطلب. والمذاق: الذوق. والصبر تخفيف الصبر ككبد: وهو المرّ المعروف. والحوايا: الأمعاء. والمصخد: المحرق، يقال: صخدته الشمس إذا أحرقته. والتمعدد: التشبه بمعدّ، وهي العرب في طعامها ولباسها الخشن. والتهجد: ترك الهجود وهو النوم. ووخز النحلة: الطعن بأبترها. وشار العسل شوارًا واشتاره: استخرجه. والشهاد: جمع شهد. والعرجد: العرجون. والصدف: ما يستكن فيه الجوهر في البحر. والترياق بالكسر: دواء معروف مركب يدخل فيه لحوم الأفاعي. والأسود: الحية العظيمة. والطريدة الوحشية يطردها الصيادون أو الجوارح. وانتظمها الصقر: أنشب فيها مخالبه كالانتظام بالرمح. والألىٰ: كالفتىٰ الثور الوحشي أو البقرة. والليث: الأسد. وغشىٰ السرح: هجم عليه، والسرح: الماشية. والصفرد: طائر جبان يقال له أبو المليح.

يقول: إن العلم بدأ، أي عند ابتداء طلبه ليس أمرًا هينًا حلوًا كالعسل تأكله، وإنما هو بمنزلة الحنظل تطبخه وتأكله لصعوبته علىٰ الفهم ومرارة العكوف عليه علىٰ النفس، ثم وصف العلم بأنه عِلق نفيس لا يباع، أي لا يسخّىٰ به أصلاً أو لا يباع بشيء، أي لا يوجد ما يقاومه وما يماثله وهو نفور متوحش علىٰ الحمقىٰ،

ومن لا فهم لهم، وهو صيد لأهل العقول، ولكن لا يطمع فيه بأن يرمىٰ بسهم فيقتله أو يرسل عليه باز فيأخذه وينتف ريشه أو تلقىٰ إليه عصا فتصرعه، وإنما يقتنص بالإشراك إشراك العقول أو الهمم الرفيعة، وبذلك يصطاد، وعبر في البيت بالأمر عن المضارع للتأكيد كقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾[1]. وبالجياد جياد الأفكار يمتطيها طالبه، وتكون تلك الأفكار جوّالة دائمًا في المعقولات ليلاً ونهارًا لا تمل ولا تضعف لاشتغال القرائح، وتكون من ذكائها قيدًا للمسائل العويصة محيطة بالأفكار الدقيقة رائحة فيها غادية ولو أصابها التعب من طول الممارسة والمباحثة، ثم لا يحصل مع ذلك إلا بعد نزع الروح في طلبه، أي مقاساة الشدائد التي هي في الشدة كالموت أو مفارقة الملاذ من مأكول وملبوس ومنكوح ومركوب ورياسة وحظوة ورفاهية التي مفارقتها كالموت وبعد ذوق الصبر المحرق للأمعاء جوعًا وعريًا ومهانة.

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله   لن تبلغ المجد حتىٰ تلعق الصبرا[2]

وبعد طول تفكر في المدارك وتدبر للأدلة والآيات، وتصبر علىٰ كل ما مرّ وتضرر به، وتقشف في المعاش، وتمعدد فيه، أي تشبه بمعدّ، وتوسل إليه بكل ما يمكن خدمة أهله بالنفس والمال، وتوصل أي تكلف الوصول إليه بذلك، وتحوّل من مكان إلىٰ مكان طلبًا، وتغرّب عن الأوطان، وتفرّد عن الآلاف والخلان، وتهجد في الليالي علىٰ النظر والدرس، ويكنىٰ عن ذلك بالتمثيل، وهو أن العسل لا يكاد يستخلصه مشتاره، إلا أن يتصبر للدغ النحل كما قيل:

---

(١) سورة مريم: ٧٥.

(٢) البيت من بحر البسيط.

وهو بالأمالي بلا عزو: ١/ ١١٣.

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من إبر النحل[(١)]

وكذا لا يحصل الرطب غالبًا إلا مع مقاساة شوك النخل، ثم المدرك للمطالب إنما هو القوي النفس الجريء لا الهبوب الضعيف، فالليث هو الذي يدخل الحظائر ويفترس الماشية لا أبو المليح النفار من أذىٰ صوت، ثم قال:

والعلمُ زرعٌ ليس يزكو في امرئ يجنىٰ فيجني من جناه ويجتدي
حتىٰ يصادفَ تربةً من لبّهِ ليستْ بملحٍ أو كنودٍ عربدِ
وجدىٰ من التوفيقِ هتانا ومن طبع هواء صافيًا لم يفسدِ

يقال: أجنت النخل فهي مجنية إذا حان أن تجنىٰ، وجناها ربها: أخذ ما عليها من رطب. والجدىٰ: المطر العام، والمجتدىٰ: طالب الجدىٰ والسائل. والكنود: الأرض لا تنبت شيئًا. والعربد: الخشنة.

يقول: العلم هو في التمثيل زرع؛ لأنه يحصل أصل منه كالبذر فتحصل به الفوائد والفروع، وذلك زكاءه، أي نموّه وكثرته، ثم هو لا يزكو في الإنسان فيجنىٰ أي يدرك ثمره فيجنيه صاحبه والناس منه ويطلب فوائده إلا مما ذكر وهو أن يصادف:

تربة جيدة فيبذر فيها وهي عقل الإنسان، فمن كان عقله ناقصًا أو فاسدًا بالعوارض الدنيوية فلا يصلح للعلم.

ويصادف: **مطرًا نافعًا ينبت به، وهو توفيق الله تعالىٰ** وتعليمه ولذلك أسباب،

(١) البيت من بحر الطويل.
وهو للمتنبي بديوانه: ٣/ ٢٩٠، وبالمثلين: ١/ ٥٥٠ برواية: «**تريدين لقيان المعالي رخيصة**».
ونسبه الثعالبي في ثمار القلوب لأبي تمام: ٥٠٧، والبيت بلا عزو في غرر الخصائص: ١٥.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾(١).

ويصادف: هواء صالحًا لم يفسد بحرارة مفرطة ولا برد مفرط، وذلك طبعه، وفساده غلبة الأوصاف الذميمة والعوارض المستحكمة؛ فهذه الأمور الثلاثة أسباب حصول العلم وأسباب الانتفاع به عاجلاً وآجلاً، فمن لم يستجمعها؛ فإما أن لا يحصل له أو لا ينتفع به، ثم قال:

فهناكَ ينمو غير أن ثمارَه ... شتىٰ إذا أحصيتها لم تعددِ

وأجل مغبوط به ومنافس ... ذو الأطيب الأبقىٰ الأجل الأعودِ

عرفانُ رَبِّ العرشِ ثم صفاتِه ... وفعالِه فإلىٰ خفاياها اهتدِ

ومدارُ هذا العبد في أطوارِه ... من يومه وغد ومن أين ابتدي

تلك المعارفُ لا شقاشق نافث ... يهذي ولا يهدي خصيم ملددِ

الشتىٰ: جمع شتيت كمريض ومرضىٰ. والشقشقة: ما يخرجه العجل من الإبل من فيه إذا هدر، ثم تستعار للكلام. والهذيان بمعجمة تقدم. والملدد: مفعل من اللداد في الخصومة.

يقول: هناك، أي حيث تجتمع تلك الشرائط ينمو العلم ويكثر، غير أن العلم بحسب الجنس شيء واحد حاصله حصول التصوّرات والتصديقات، ولكن يختلف بحسب المتصوّر، وبذلك تتعدد الفنون وبحسب الغرض المطلوب، وبذلك تتفاوت العلوم في الشرف والغبطة؛ فإن الأشجار إنما تشرف وتغلو أثمانها بثمارها، وهي الغرض المطلوب منها، وكما أن ما ثمره أطيب في الطعم وأبقىٰ عن الفساد وأعظم في الغنىٰ وأعود، أي أفيد عند الناس هو أعظم الأشجار وأحقها أن يغتبط بتملكه وينافس فيه، كذلك فنون العلم أجلها وأحقها بالغبطة

(١) سورة البقرة: ٢٨٢.

أعظمها ثمرة، وذلك العلم الذي تحصل به معرفة الله تعالىٰ ومعرفة صفاته وأفعاله ومعرفة ما يدور عليه أمر العبد فيٰ أطواره الثلاثة.

أي: أمر يومه: وهو حال الدنيا وما فيها من التكاليف الشرعية والحقائق الوهبية والأحوال المتممة.

وأمر الغد: وهو حال المعاد وما سيقع فيه من البحث والحشر والفصل والمصير إلىٰ أي دار، وغير ذلك.

وأمر الأمس: وهو حال ابتدائه وما فيه من النظر في تخصيصه وإيجاده، ثم إمداده وإنه من طين لازب، وما يلتحق بذلك.

والعلوم النافعة الشرعية داخلة كلها في هذه الثلاثة ولو احتجنا إلىٰ تفصيل ذلك احتجنا إلىٰ مجلدات، والإشارة في هذا المختصر تكفي. ثم أخبر أن تلك، أي هذه المذكورات هي المعارف التي تستحق أن تسمىٰ معارف، والإشارة للتعظيم، وليست المعارف هي علوم أهل الجداول والخوض فيما لا يعني وهم الذين يهذون، أي يتكلمون بما لا حاصل له ويحسبون أنهم يهدون الناس، وإنما هو الخصام واللدد، والقصد بهذا مدح العلوم النافعة وهي الشرعية بالذات مما يتعلق بالظاهر والباطن، وما تثمره بفضل الله تعالىٰ من المعارف الوهبية، وفي الحديث: «من عمل بما علم أورثه الله تعالىٰ علم ما لم يعلم»[1]، ويلتحق بها في الفضل وإن لم يساوها كل ذلك إن عارض الشرع فهو خبيث محرّم وإلا فمن المباحات الدنيوية، ولا فضيلة له إلا مجرّد ما فيه من كمال الاطلاع علىٰ المجهول، ثم قال:

فـإذا تحلّت بالمناسكِ والتقىٰ وإنـابـة لـلـمـالـكِ الـمـتـوحّـدِ

---

(١) أورده أبو نعيم في حلية الأولياء: ١٠/ ١٥ من حديث أنس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وقد ضعفه، وأورده الغزالي في الإحياء: ١/ ١١٧، ٣/ ٢١، ٣٨، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة: ٤٢٢.

أزرتْ بتاجٍ في جبينِ مملك من عسجدٍ في لؤلؤٍ وزبرجدِ
وزرتْ على الحُلَلِ النفائسِ والحلىٰ فوق العطابيلِ العذارىٰ النهَّدِ

تحلىٰ بالشيء وحلىٰ به: تزين به وأصله الحلية. والتنسك والتقوىٰ: اجتناب المنهيات ومتىٰ عمم كل منهما شمل الآخر. والإنابة: الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ. وزرىٰ علىٰ كذا أو أزرىٰ: عابه والثلاثي أكثر، وأزرىٰ به: أدخل عليه عيبًا فلما كان العيب ينتقص بذلك العيب علىٰ العائب صار العائب أشرف وأفضل؛ فلهذا شاع استعماله في التفضيل. والتاج المجعول علىٰ الرأس معروف. والعسجد: الذهب. والزبرجد: جوهر معروف. والحُلل: جمع حُلة من اللباس. والنفائس: جمع نفيسة، أي جيدة. والحلىٰ: جمع حِلية بالكسر وهو ما تتزين به من مصوغ. والعطبول: الحسناء الطويلة في تمام الخلقة. والناهد: التي ارتفع ثديها.

يقول: إن هذه المعارف إذا حصلت للإنسان واتصف مع ذلك بالعبادة وحُسن الإنابة إلىٰ الله تعالىٰ كانت تلك المعارف أو حالة هذا الشخص من العبادة أحسن من تاج علىٰ ملك مصنوع من ذهب يرصع باللؤلؤ والزبرجد، ومعنىٰ في الاستعلاء، أي علىٰ جبين، ويجوز أن تبقىٰ علىٰ بابها، وفي قوله: «في لؤلؤ»، بمعنىٰ مع وجه التشبيه أن الملك حسن عظيم في نفسه فكيف إذا لبس التاج، وكذا العارف إذا تنسك، وهذا المعنىٰ يُحكىٰ عن الإمام الجنيد «أن العبادة علىٰ العارفين أحسن من التيجان علىٰ الملوك»[1]، وصارت أيضًا أحسن

---

(١) الجنيد: أبو القاسم الجنيد بن محمد النهاوندي البغدادي القوايري، هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، كان فقيهًا، تفقّه علىٰ أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وكان تلميذًا لمعروف الكرخي اختلف الدارسون في سنة وفاته، فقيل: توفي ٢٩٨هـ، وقيل غير ذلك. انظر: حلية الأولياء: ١٠/ ٢٥٥ وما بعدها. وصفة الصفوة: ٢/ ٢٧٠، والطبقات الكبرىٰ: ١/ ١٨٩، وطبقات الصوفية: ١٥٥، وتذكرة الأولياء: ٢/ ١٩، والعبارة في حلية الأولياء: ١٠/ ٢٥٧.

من الحلل والحلىٰ علىٰ الحسان النواهد، ووجه التشبيه أن الحسناء المكتسبة المتحلية ظاهرها حسن، وباطنها أحسن، وكذا العارف المتعبد ظاهره حسن وباطنه أحسن، ثم قال:

قنن تسنمها الجنيدُ وحزبه   نزلوا بها شرفًا فويق الفرقدِ

تلكَ المكارمُ والمحامدُ والعلىٰ   لا حازر تسقيه من قعبٍ أدِ

تلك الرياضةُ لا رياضةَ راضة الر (م) هبانِ لبس تنصّرٍ وتهوّدِ

أيعدُّ نسرًا كل ما مستنسر   ويعدُّ ليثًا كل ما مستأسدِ؟

سلكوا بها في منهجٍ أعلامه   مسموكة للسالكينَ معبّدِ

قد ضلَّ عنه كل جافٍ كاشحٍ   أو غالطٍ متحرّفٍ متشدّدِ

وعم جهولٍ ليس يبصر حجةً   يومًا ولا أهلَ الهدىٰ بمقلدِ

القنن: جمع قنة، وهي أعلىٰ الجبل. وتسنمها: صعودها وأصله في سنام البعير. والفرقد: النجم المعروف فتارة يوحد كما في البيت، وتارة يثنىٰ فيقال: هما الفرقدان. والحازر من اللبن: الحامض. والقعب: القدح، وقيل: الصغير، وقيل ما يروي الرجل. والأدي من الآنية والأسقية: الصغير والمتوسط. والراضة: جمع رائض. وتنصر: صار نصرانيًا. وتهوّد: صار يهوديًا. واستنسر الطائر: تشبه بالنسر، ومن المثل «**استنسر البغات**»، واستأسد[1] تشبه بالأسد. والمسموك[2]: المرفوع. والمعبد من الطرق: المذلل بالأقدام.

يقول: إن هذه الأحوال المذكورة من اجتماع المعرفة والعبادة هي قنن أي

(١) زهر الأكم: ١/ ١٠٢ وتمامه: «إن البغاث بأرضنا يستنسر»، وورد بالزهر أيضًا برواية أخرىٰ «البغاث بأرضنا يستنسر» ١/ ١٩٩، وهو بالمستقصىٰ: ١/ ٤٠٢.

(٢) في (م): المسمود.

درجات لا يصل إليها إلا الموفق وقد ترقاها الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريني شيخ الصوفية في وقته، أخذ الطريقة عن السري السقطي، وكان مع ذلك فقيهًا يفتي علىٰ مذهب أبي ثور وحزبه(١) وهم أتباعه في وقته وهلم جرّا، وأشار بذلك إلىٰ أن مذهبه مذهب أهل الحق، وإن الولي شأنه أن لا يزال دائمًا في عبادة الله تعالىٰ، ولو بلغ ما عسىٰ أن يبلغ، ولا يصل إلىٰ أن يسقط عنه التكليف كما يذهب إليه الغلاة المتزندقة أبعدهم الله تعالىٰ أو تصير العبادة إلىٰ قلبه وتستريح الجوارح عنها كما يتوهمه أهل الجهل والعمىٰ، وقول من قال شيئًا من ذلك من الصوفية متأوّل، وأخبر أنهم أي الجنيد وحزبه نزلوا بهذه الطريقة والتمسك بها فوق النجوم شرفًا وفضلاً علىٰ غيرهم من الفرق وتلك هي المكارم والمحامد لا لبن تسقيه في قدح أشار إلىٰ قول أمية:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبًا بماء فعادا بعد أبوالا(٢)

وأن تلك هي الرياضة المستقيمة لانبنائها علىٰ أصول الشرع المستقيم لا رياضة الرهبان في الصوامع بالتجرّد والجوع؛ فإن هذه باطلة لانبنائها علىٰ

---

(١) أبو ثور: إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، الإمام الحافظ الحجة المجتهد، مفتي العراق، البغدادي الفقيه، يكنىٰ بأبي عبد الله، ولد عام ١٧٠هـ، وسمع من وكيع بن الجراح ويزيد بن هارون، وأبي عبد الله الشافعي، حدث عنه أبو داود، وابن ماجه، وتوفي عام ٢٤٠هـ، وكان أحد أئمة الدنيا فقهًا وورعًا وفضلاً وله مصنفات كثيرة. معجم الأعلام: ١٢، والإعلام بوفيات الأعلام: ١٠٧، وسير أعلام النبلاء: ١١/ ١٣٣.

(٢) البيت من بحر البسيط.

أمية: عبد الله بن أبي ربيعة من ثقيف من هوازن. شاعر جاهلي، أدرك النبي (ﷺ) ولم يسلم. ثقف بالتوراة والإنجيل، وقرأ كثيرًا من الكتب الأخرىٰ، وكان يأمل أن يكون نبي هذه الأمة. مات بالطائف بعد أن رثىٰ قتلىٰ بدر. انظر: طبقات ابن سلام: ٢٦٢، والأغاني: ١٧/ ٣٠٣، وخزانة الأدب: ١/ ١١٩، والأعلام: ٢/ ٢٣، والبيت بالعمدة: ٢/ ٢٤٥، والشعور بالعور: ١٩٢، وهو بديوانه: ٦٦.

الهوىٰ بصاحبها وقد خسر الدنيا والآخرة، نسأل الله تعالىٰ العافية، وضرب مثلاً وهو أنه ليس كل مستنسر يُعد نسرًا، ولا كل مستأسد يُعد أسدًا، وكذا كل من جلس في خلوة وكل من سهر وجاع يعد وليًا أو عارفًا أو صاحب طريقة، وأخبر أن الجنيد وحزبه سلكوا في طريقتهم هذه في منهج أي طريق واضح أعلامه التي تتبع فيه مرتفعة لا تخفىٰ علىٰ سالك وهو سهل لا حرج فيه ولا عوج. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾[1]، وقال (ﷺ): «بعثت بالحنيفية السمحة»[2]، وهو منهج السنة وما عليه السلف الصالح، ومن كلام الجنيد رضي الله تعالىٰ عنه: الطرق كلها مسدودة علىٰ الخلق إلا من اقتفىٰ أثره (ﷺ)[3].

وأخبر أنه قد ضل عن هذا المنهج كل جافي الطبع قاسي القلب لم يخشع للحق، ولا تهذب بالإيمان، وكل كاشح، أي مبغض للدين وأهله من الكفرة كلهم أو مبغض للطريقة وأهلها من جفاة العوام، وأهل الظاهر، وكل غالط في سلوكه منحرف عن القصد والحق، متشدد بما لم تأت به السنة جهلاً وابتداعًا، وكل أعمىٰ لا يستبصر بنفسه في الحق ولا ينقاد لتقليد من كان علىٰ بصيرة، وكل من حاد عن الطريقة المذكورة فهو من هذا القبيل كافرًا كان أو مسلمًا بدعيًا أو سنيًا، والله الموفق، ثم قال:

فـإذا استـمـتْ بـكَ هـمـةٌ سبّاقةٌ ... لـسـلـوكِ منهجهم فـبـادر ترشـدِ

متن عِناج الـصـدقِ واشـددْ فوقَه ... كَـرَب المحبةِ واحـتـزمْ وتـجـرّدِ

---

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) رواه البخاري في باب «الدين يسر» من كتاب «الإيمان» في صحيحه تعليقًا، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٢٦٦، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ: ١/ ١٢٨.

(٣) أوردها السلمي في طبقات الصوفية: ٣٧.

ولتدن غربًا من حجاكَ بمُنةٍ ... فإذا فعلتَ فغير مصطردٍ ردِ
وترحلن على نجائبِ ضمّرٍ ... من حزمك الممسودِ ليس بعندِ
واضبطْ مزادَ الصبرِ محكمة العرىٰ ... وبعونِ ربِّكَ والتقىٰ فتزوّدِ
وتسلين عن أمِ دَفرِ وابنِها ... واستودعنها دار نِكس قعددِ
واصرمْ حبالَ الوصلِ منها لا يقل ... لكَ ودّها من بعدِ نضجِ رمّدِ

سما إلىٰ الشيء واستمىٰ إليه، والهمة قد مرّ تفسيرها. والسباقة: العلية التي لا تلوي علىٰ خط ولا رسم. والرشد والرشاد: الهدىٰ. والعناج: ككتاب حبل يشد في أسفل الدلو العظيمة، ثم يشد إلىٰ العراقي. والكرب: بفتحتين حبل يشد في وسط العرىٰ ليلي الماء فلا يعفي الحبل الكبير. وتحزم واحتزم: اتخذ الحزام. وتجرّد من ثيابه: أزالها عنه لشغل مثلاً. والغرب: الدلو العظيمة وادناءها إلىٰ البئر. والمنة بالضم: القوّة. والتصريد في السقي: التقليل. والمصطرد أيضًا: الخنق المغتاظ. ورد أمر: من الورود. والنجيبة من الإبل: الكريمة. والمسد: الفتل، والممسود: المفتول. وعند البعير: عاد[1] عن الطريق فهو عاند والجمع عُنُد. وضبط الشيء: حفظه وإصلاحه. والمزادة: الراوية، والجمع: مزاد. والإحكام: الإتقان. والعروة معروفة. وأم دفر بفتح الدال المهملة: الدنيا من الدفر، وهو النتن. والنِكس بالكسر: من لا ينتهض لمكرمة. والقعدد: الجبان والبخيل القاعد عن المكارم. والصرم: القطع. والترميد: جعل الشيء في الرماد، يقال في المثال: «شوىٰ حتىٰ إذا أنضج رمّد»[2]، أي بعد أن أنضج اللحم خلطه بالرماد، وذلك فيمن أصلح الشيء ثم أفسده.

---

(١) في (م): حاد.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/ ١٥٣، وزهر الأكم: ٣/ ٢٤١ وله رواية أخرىٰ: «شوىٰ أخوك حتىٰ إذا أنضج رمَّد».

يقول: إن رزقت همة ورغبة في سلوك منهج القوم فبادر لذلك ولا تتأخر ولا تسرف فذلك هو الرشد في الدنيا والفلاح في الآخرة، ثم بين شيئًا من أحوال السالك وشيئًا مما ينبغي أن يأتمر به، وأتىٰ بذلك إلىٰ سبيل التمثيل بأن صوّر السالك مسافرًا إلىٰ جهة من الجهات فاحتاج إلىٰ شيء يكون بمنزلة الدلو التي يستقي الماء بها في كل منزل، وهي محتاجة إلىٰ أن يشد لها عناج وكرب، وبذلك يستقيم أمرها، وذلك هو الصدق والمحبة، ويقع الصدق هنا علىٰ غرضين:

أحدهما: صدق التوجه، ويرجع حاصله إلىٰ أن يكون ما يقوله بلسانه من التوبة والإنابة إلىٰ الله تعالىٰ يقوله بقلبه تصميمًا، ويعمل به بجوارحه فتتفق هذه الثلاثة، ولا يكذب بعضها بعضًا؛ فهذا يكفي في شرحه.

الثاني: التصديق بالهداة الدالين علىٰ الله تعالىٰ واعتقاد الخير فيهم؛ فإن المكذب لا يفلح ولا يمكنه الاتباع، والمحبة أيضًا علىٰ غرضين:

أحدهما: محبة الله تعالىٰ؛ فإنها الجاذبة المحرّكة.

الثاني: محبة أهل الله الدالين عليه، وكذا كل من ينتمي إليه واحتاج إلىٰ الاحترام والمجاهدة؛ فإن الأمر لا يدرك بالهوينا وإلىٰ التجرّد عن العلائق والعوائق، وأن يدلي[1] دلوه مع الدلاء، والدلو العقل الذي يتبين به المصالح فيأتيها، والمفاسد فيتقيها، ويعتبر به، ويتفكر فيستفيد العلوم والمعارف؛ فإذا كان غربًا، أي عقلاً وافرًا وأدلاه بقوة، أي بقريحة وقادة وتوجه تام، فعند ذلك يشرب من العلوم والمعارف بلا تصريد، أي بلا قوة ولا تقدير، ويشرب سليًا ناعمًا بلا غيظ ولا غم، واحتاج أن يوصل من منزلة إلىٰ منزلة علىٰ نجائب ذلل منقادة ضامرة من العمل وذلك الحزم وتقدم تفسيره، فإنه السيف القاطع، والحصن المانع، ومن الحزم أن لا يتساهل بالرجوع إلىٰ شيء مما خرج عنه من حظ؛ فإن النفس متىٰ

(١) في (م): يدني.

ألفت الانقلاب انحل عقدها، واختل نظام الأمر ولا بمقاربة من ألف منه ذلك أو مكان ألف فيه أو سبب يجري به وأن يراعىٰ أوائل الأمور، وأن يتعهد ما تكون به حياة قلبه ورقته، وأن يضبط أوقاته ولا يتركها سدىٰ إلىٰ غير ذلك مما فصل في هذا الباب، واحتاج إلىٰ ضبط المزادة بحفظها عن الوهىٰ وخياطتها إن وهت وإتقان عراها التي تعلق بها لئلا تنقطع فتسقط وتفسد، وذلك هو الصبر فهو قوام الأمر، ويكون علىٰ وجهين: صبر علىٰ الطاعة، وصبر عن المخالفة، ويدخل في القسمين الصبر علىٰ البلاء؛ لأنه يرجع إلىٰ ملازمة الرضاء، وهو طاعة ومجانبة التسخط، وهو معصية. واعلم أن الصبر في باب البلاء ثلاث درجات:

الأولىٰ: حبس النفس عن التسخط وقول المكروه، مع وجود التألم وهو واجب داخل في مقام الإسلام.

الثانية: وجدان البرودة وانتفاء التألم، ويكون ذلك بالتمرّن علىٰ المصائب أو لحصول الزهد فيما فات بها أو الفناء عن النفس وطبعها، وهو كمال داخل في مقام الرضاء.

الثالثة: وجدان الاستلذاذ والسرور، ويكون لغبة حضور الأجر علىٰ النفس أو لموافقة رضىٰ المحبوب، أو لأنه فعله أو نحو ذلك، وهو أكمل واحتاج إلىٰ استصحاب الزاد في سفره وليس إلا التقوىٰ والاستعانة بالله تعالىٰ، فلا وصول إلىٰ الله إلا بالله تعالىٰ ثم التقوىٰ لا تنتظم إلا من علم وعمل، فلابد من العلم في التزوّد كما سيجيء واحتاج إلىٰ التخلي عن الدنيا وأهلها؛ فإنها أم العوائق التي أمر بالتجرّد عنها، وأن يستودعها في ديار الراغبين فيها، وهم الانكاس اللئام، أما التخلي عنها فالمراد به تركها جميعًا حسيها كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة إلىٰ آخرها، ومعنويها كالجاه والرياسة وصحبة الإخوان والأخدان ونحو ذلك، وهذا علىٰ رأي من لا يرىٰ للمريد التزوج حتىٰ يكمل

حاله، وإلا فالمراد ترك فضول الدنيا زهدًا فيها؛ فإن ترك حرامها تقوىٰ، وترك شبهاتها ورع، وترك فضولها زهد.

والمطلوب من المريد ترك كل ما يشغله عن حاله، وقد قال السري السقطي للذي وصاه: «إن أردت المحبة فعليك بالصيام والقيام، وإن أردت الله تعالىٰ فعليك بترك كل شيء دونه». وهذا هو الفيصل من الكلام والزهد علىٰ التحقيق هو في القلب وهو برودتها فيه وهو يبذلها عند الوجد، ولا يحزن عليها، ولكن لا عمل فيه للمريد، بل هو منحة الله تعالىٰ فطلب منه التخلي عنها ظاهرًا رجاءً أن يكون ذلك بسبب فضل الله تعالىٰ سببًا لخروجها عن القلب، وكل من يمسكها في الظاهر مغتبطًا بها، ثم ينتظر أن تخرج عن قلبه ليكون من الذين تكون في أيديهم وهم زاهدون فيها فهو يضرب في حديد بارد، بل الشأن بذلها ولو تكلفًا، فمتىٰ ذاق مرارة فقدها وصابر نفسه علىٰ ذلك لله تعالىٰ رجىٰ له أن يثيبه الله تعالىٰ بنزعها من قلبه حتىٰ لا يبالي بها أو بحلاوة فقدها، وما ذلك علىٰ الله بعزيز، وأما استيداعها في ديار اللئام فهو علىٰ ظاهره أو الديار قلوبهم.

ومن فوائد ذكر هذا المعنىٰ أن لا يمدّ المريد عينه إلىٰ أهلها وما عندهم من زهرتها؛ لأنه هو الذي تركها هناك، وأن يشعر قلبه أن الدنيا وفتنتها وسائر المصائب والمعائب لابد لها من ظهور في الوجود ولا تخلو عن محل؛ فإن لا تكن أنت محلها فغيرك؛ فإذا زواها الله عنك أيها المريد وأنزلها بغيرك فاعترف له الله تعالىٰ بالمنة العظيمة، إذ لم يكن عليك أنزلها واشكره شكرًا كثيرًا واشكر أن الذي نزلت عليه قد يحمل عنك مؤنتها بحكم التصريف فارحمه وادع له باللطف، ولا تحتقره ولا تتوهم لنفسك خصوصية الخير ولا لغيرك خصوصية الشر، بل فضل الله عليك وعدله في غيرك، فارحم أهل البلاء وسل الله تعالىٰ العافية. وفي ذكر النكس والقعدد إشارة إلىٰ أن الراغب في الدنيا كله كذلك لا يتأتىٰ له النهوض إلىٰ الكمال ما دام يحب الدنيا، ولذا قيل: «حب الدنيا رأس

كل خطيئة»[١]، وإلىٰ أن الأخلاق السيئة هي بذل الشر، نسأل الله العافية، وربما يفهم من الإيداع أن المريد سيرجع إلىٰ وديعته فيأخذها، وذلك عند الكمال، حيث يقال له: خذها ولا تخف وليس بعام ولا جائز أن ينويه المريد عند تركها، ولا أن يرجوه واحتاج إلىٰ أن يقطع جميع العلائق والأسباب من الدنيا لئلا يسقط وينقلب كالذي يرمد بعد أن يشوي، وما زال الشيوخ يحذرون من هذا المعنىٰ، ويقولون: إن الرجوع إلىٰ الشهوات هو الذي قطع ظهور المريدين فشبعوا بعدما جاعوا، وناموا بعدما سهروا، واستلانوا الفرش بعد الكد، وربما غلطوا فعدّوا ذلك كمالاً ووصولاً، نسأل الله تعالىٰ الهداية والتوفيق ونعوذ به من الزيغ والتعويق، ثم قال:

وإذا نزلتَ علىٰ كريمٍ موسعٍ رحبُ الذرىٰ جمّ القِرىٰ متفقّدِ
فكن الهني وأنتَ بين ضيوفهِ لا تسعَ في زادٍ ولا تتفقّدِ
فإن ارتجيتَ واعتفيتَ لغيرهِ يومًا تبؤ منه بعارٍ مسبد

الموسع: الغني، يقال: أوسع: صار ذا سعة، أي غنىٰ، وأوسع الله تعالىٰ عليه أغناه الله؛ فالله تعالىٰ غني مغن. ورحب الذرىٰ: واسع الكنف يكون حسًا ومعنىٰ بالجود. والجم: الكثير. وتفقده: طلبه وسأل عنه. والعافي والمعتفي: طالب المعروف. وسبده وأسبده: حلقه.

يقول: إذا نزلت أيها المسافر في دار من هو غني كريم واسع الكنف لمن يغشاه كثير الضيافة متفقد للناس لا يغفل عنهم فكن هنيئًا ما دمت في مثواه من

---

(١) حديث رواه البيهقي في سننه عن الحسن البصري في الباب الحادي والسبعين في الشُعب ورفعه مرسلاً، وأورده الديلمي في الفردوس، وتبعه ولده بلا إسناد، وهو في حلية الأولياء في ترجمة الثوري من قول عيسىٰ عليه السلام، وكذلك هو عند الخركوشي في تهذيب الأسرار، نسبه إلىٰ عيسىٰ عليه السلام: ٤٩١.

أمر كفايتك فلا يكن منك سعي في استحصال ما تحتاج من المؤنة؛ لأنه حاصل ولا سؤال ولا طلب لذلك الكريم؛ لأنه لا يغفل، فإن رجوت غيره أو طلبت غيره فإنك تحصل منه علىٰ عار عظيم حالق للحيتك عنده وعند كل عاقل منصف. والقصد من هذا التمثيل هو أن المريد عبدًا لله تعالىٰ، وهو في كفالته وضيافته فلا ينبغي له أن يهتم بالرزق، ولا أن يرجو ويركن إلىٰ أحد سوىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ وليجتهد فيما كُلِّف به يكفه الله ما ضمن له. وهذا معنىٰ ما روي عن الشيخ أبي مدين (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه كلم علىٰ القعود عن السبب، فقال ما معناه: أنا في ضيافة الله تعالىٰ، وقد قال (ﷺ): «الضيافة ثلاث»[1]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[2]، أي: فنحن نقضي من هذا العدد ما عشنا في الدنيا وما بقي منه نرجو منه أن يوفيناه في الآخرة، وقد يقتضي حال المريد أن يتسبب فيفعل ذلك ويتوكل علىٰ الله تعالىٰ في سببه لا علىٰ سببه، ومثل هذا متجرّد في المعنىٰ، ثم قال:

والـزمْ مُـنـاخَـك أو يـحـوّلـه ولا تـخـتـرْ عـلـيـه ورأيــه فلتحمدِ

المناخ بضم الميم: مبرك البعير. وحمده: أثنىٰ عليه، وأحمده: وجده محمودًا.

يقول: إذا كنت ضيفًا فالزم مثواك الذي ينزلك فيه صاحب الدار، وارض به ولا تتحوّل عنه إلا إن كان هو حوّلك فتحوّل، واحمد رأيه في إنزالك، ولا تختر أنت لنفسك غير ما اختار لك. وهذا أيضًا تمثيل، والمراد به أن المريد ينبغي له أن يدع التدبير والاختيار ويرضىٰ بما أقيم فيه من سبب أو تجرّد أو إقامة أو سفر أو عمل لا يذمه الشرع ولا يختار غيره حتىٰ يكون الانتقال من الله تعالىٰ؛ إما

(١) رواه البخاري برقم ٦٠١٩، ومسلم برقم ٤٨ من حديث أبي شريح.

(٢) سورة الحج: ٤٧.

بلسان الشرع أو بإذن يعرفه من حاله أو من قلبه، ثم قال:

وإذا دعاكَ ودونه الحجب التي عــزّتْ أدانيها محال الهدهدِ

فأجبه واركضْ من جوادِك مغشما مستفتح الأبــوابِ غير معرّدِ

وإذا رأيتَ من الممالكِ رائقا فلتله عنهُ ونحو مالكه اصمدِ

عزه: غلبه. والمحال والاحتيال: الحذق وجودة النظر في الأمور. والمغشم: الذي يركب رأيه ولا يثنيه شيء عن مراده. وعرّد عن القتال تعريدًا: هرب. والرائق: المعجب. ولهىٰ عنه بالكسر: لم يشتغل به. وصمد إليه صمدًا: قصد.

يقول: إذا دعاك رب المنزل وهو الموصوف بما مرّ والحال أن دونه حجب عظيمة تغلب الهدهد أدانيها أن يجاوزها مع حسن تأتيه واحتياله، فكيف بأقاصيها، وكيف بك أنت فأجبه وتقدّم إليه مسرعًا راكبًا علىٰ جواد عتيق من عزمك لا يكل ولا يهاب مستفتح الأبواب بابًا بابًا حتىٰ تصل إليه غير هارب عنه ولا مكذب، ومتىٰ رأيت في طريقك شيئًا يروق عينك كجارية أو غلام أو فرس أو بناء أو غير ذلك فأعرض عنه، واقصد إلىٰ مطلوبك ولا تلتفت إلىٰ شيء دونه فيفوتك. وهذا أيضًا تمثيل، والمراد منه أن العبد قد دعاه مولاه إلىٰ حضرته وبينه وبين الوصول حُجب من نفسه عظيمة يخرقها، وعقبات شاقة يقطعها، فلا ينبغي له أن يقعد عن السعي في الوصول إلىٰ الله تعالىٰ مستعينًا به كما مرّ، ولا يلتفت إلىٰ شيء دون الله تعالىٰ من دنيا أو مقام أو حال أو كرامة أو فتح؛ فإن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ حجاب عنه. كما قال ابن العريف[1] رحمه الله تعالىٰ، ثم قال:

---

(١) ابن العريف: أحمد بن محمد بن موسىٰ بن عطاء الله الصنهاجي، الإمام الزاهد، العارف المربي، المقرئ، صاحب المقامات والإشارات، عالم وشاعر، ولد عام ٤٨١هـ، وتوفي بمراكش عام ٥٣٦هـ وله الكثير من التصانيف منها «محاسن المجالس»، والأعلام: ١/ ٢١٥، ومعجم الأعلام: ٦٧.

وإذا جلستَ علىٰ رفيعِ بساطِهِ فسقاكَ صرفَ الخمرِ غير مصرَّدِ
فترعينَ أدبَ الجليسِ ولا يغل ثمل حجاكَ فيستخفك ذو اليدِ

الصرف بالكسر: الخالص، ومن الخمر ما لم تمزج. وغاله غولاً: أهلكه. والثمل: السكر.

يقول: إذا وصلت إلىٰ حضرته فسقاك الخمر صرفًا، وذلك أذهب للتمييز، فحافظ علىٰ الأدب معه، وإياك أن يفسد الثمل تمييزك فتنبسط بغير أدب فيستخفك ذو اليد، أي رب النعمة، أي يعدك خفيفًا فيمقتك ويطردك، وهذا أيضًا تمثيل، والمراد به ظاهر، وفيه قال المشايخ: «قف علىٰ البساط وإياك والانبساط»[1]، ويؤثرون القبض علىٰ البسط؛ لأن القبض لا حظ فيه للنفس ولا سلطان لها معه فلتسلم من الانبساط والإدلال، وهو أيضًا المناسب للعبد في دار الدنيا؛ لأنه في قيد التكليف، ثم قال:

وكن ابن وقتِك خازمًا للأجو (م) فين وللهواجس خازنًا للمزودِ

يقال: خزم البعير: جعل في أنفه خزامة. والأجوفان: البطن والفرج. والهواجس: الخواطر. والمزود: اللسان.

يقول: كن أيها المريد السالك ابن وقتك واخزم بطنك وفرجك وخواطر قلبك، واخزن لسانك فأمرك بأربعة أشياء كل منها مهم:

الأول: أن تكون ابن وقتك ومعناه أن تقوم في كل وقت حضرك بما اقتضاه الحق منك غير ملتفت إلىٰ وقت مضىٰ ولا وقت يأتي، اللهم إلا أن يقتضي الشرع منك شيئًا في وقتك كقضاء فائتة، وتزوّد لحج أو جهاد. وهذا معنىٰ قولهم:

(١) العبارة بلا عزو في شرح الحكم العطائية للمناوي، المسمىٰ بـ: «الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية» شرح الحكمة ٨١، ص ٣١٥.

الفقير ابن وقته، وإنما يتم له ذلك بقوّة الحزم وقصر الأمل وجعل الموت نصب العينين.

الثاني: أن تحفظ بطنك وما يدخل فيه من قوت، وتحفظ فرجك أن يزيغ بك إلىٰ الحرام أو إلىٰ فضول الحلال. وذلك معنىٰ جعل الخزامة عليهما؛ لأن البعير متىٰ خُزم كان طوع اليد.

الثالث: أن تحفظ خواطرك، وفي هذا معنيان:

أحدهما أن تراقب قلبك فلا يهجس فيه إلا الحق، وهذا كما قال بعض السلف: لي كذا وكذا والأبواب علىٰ قلبي فمتىٰ تحرك ما لا ينبغي صرفته، وهذه حالة عزيزة.

الثاني: أن تضبط الخواطر فتميز فيها بين الرباني، والملكي، والنفساني، والشيطاني، وتتحقق كل واحد بعلاماته وتعرف ما تتبع من ذلك وما تخالف.

الرابع: أن تحفظ لسانك، وهو معنىٰ خزنه، وذلك علىٰ معنيين:

الأول: أن تؤثر الصمت إلا حيث لابد منه، وهو أحد أركان الولاية التي صار بها الأبدال أبدالاً[1]، وهي إخماص البطون، وانبهار العيون، والصمت، والعزلة.

---

(١) الأبدال: جمع بدل، وهم بدلاء أيضًا، قيل: في أمة الإسلام ثلاثون رجلًا علىٰ قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات منهم واحد أبدله الله بآخر مكانه. وقيل من الأبدال ثلاثمائة شخص علىٰ قلب آدم لكل واحد منهم من الأخلاق الإلهية ثلاثمائة خُلُق، وأربعون شخصًا علىٰ قلب نوح. وقيل: هم علىٰ قلب موسىٰ. وقيل: إن الأبدال علىٰ قلب سبعة، وخمسة علىٰ قلب جبرائيل، وثلاثة علىٰ قلب ميكائيل، وواحد علىٰ قلب إسرافيل. وقيل: واحد علىٰ قلب نبينا محمد (ﷺ). وقيل: هناك عشرة قلوبهم علىٰ قلب داود. ومقام الأبدال لذلك مقام شريف، ويليهم في المرتبة النجباء والرجباء والنقباء وغيرهم. وكلهم من أهل الغيب والنجدة له رسالته.

وفي رأي: أن الأوتاد أفضل من الأبدال؛ لأن الأبدال يتبدلون الأحوال والمقامات، وأما الأوتاد فقد ثبتت أركانهم، وهم قوام العالم كالأوتاد للخيمة. انظر: المعجم الصوفي: ١٠.

الثاني: أن تتحفظ في منطقك فلا تتكلم إلا بما يعني، ثم قال:

وإذا تصاحب أو تعاشر فالتمسْ غيرَ الجلنددِ والـردانِ الفَهْمَدِ

قد يراد بالصحبة ما يراد بالمعاشرة، وقد تكون أخص بمعنىٰ الخدمة، والاقتداء كصحبة التلميذ لشيخه أو العكس. والالتماس: الطلب. والجلندد: الفاجر. والردان: الضعيف لا غناء له. والفهمد: اللئيم الأصل الدني.

يقول: إذا أردت صحبة أحد أو معاشرته فراع فيه التقوىٰ والكفاية؛ فالأول للدين، والثاني للدين والدنيا. ولا تصاحب من لا دين له ومن لا منفعة له، وهذا إشارة إلىٰ شروط الصحبة فإنها من جملة ما يحتاج إليه في الطريق أحيانًا، ثم قال:

وإذا اعتزلتَ فبالمحلاتِ اعتزلْ من علم حالكَ والقَوام الأكـودِ

المحلات: الأشياء التي يحتاج إليها الإنسان إذا نزل وحده، وهي القِدر، والرحا، والدلو، والقربة، والجفنة، والسكين، والفاس، والزند مثلاً. والقوام بالفتح: ما يعاش به. والعلم[1] وبالكسر نظام الأمر وعماده، ويصحان في البيت.

يقول: إذا أردت أن تعتزل عن الناس، فلابد لك من الأمور التي يقوم بها حالك، كما أن من اعتزل عن الحي فلابد له من المحلات، وإلا لم يستطع العزلة فكذلك أنت أيها المريد، لابد لك من محلات، وذلك شيئان:

أحدهما: يرجع إلىٰ دينك، وهو علم حالك، أي أن يكون عندك من علم الظاهر، وعلم الباطن ما تحتاج إليه وإلا فسد دينك، واختل حالك وأنت لا تشعر.

ثانيهما: يرجع إلىٰ كفاية طبيعتك مما لا بد منه من الغذاء، ويكون ذلك إما بالقوة، وإما بالقوت فإن المراد اكتفاء الطبيعة وإلا اختل البدن فاختل الدين، ثم قال:

---

(١) في (م): العدل.

والنفسُ أعدىٰ كل عادٍ يختشىٰ وأضرّ سمٍ للفتىٰ متقلّدِ
قِتلٌ تريد حياته وتودّه ويريدُ قتلك كالهزبرِ الملبدِ
أركبتَ منها ظهرَ صعبٍ جامحٍ متسحم أهوىٰ الهُوىٰ مستعندِ
بل ظهرُ موجٍ راجفٍ بك سائسا أبدًا لضار لم يعلم موسدِ
فاقتلْ عدوَّك تسترحْ من كيدهِ فالقتلُ مفدعُ أنف كل جلنددِ
والقتلُ إحياء لها وإراحةٌ فليصف فيها عيشها وليرغدِ
فالخمرُ أعذبُها وأغذاها التي قتلتْ بماذي وعذب أبردِ

السم المتقلد: المعتق الذي يهلك سريعًا. والقِتل بالكسر: العدوّ والجمع أقتال وبالفتح مصدر. والهزبر: الأسد. والملبد: من اللبود إلىٰ الأرض وهو وصف الأسد إذا همَّ بالوثب. والهُوىٰ بضم الهاء: جمع هوّة وهي الحفرة، وبالفتح معروف. واستعند البعير: غلب علىٰ الزمام وكذا الفرس إذا جمح وغلب علىٰ الرسن. ورجف البحر والموج: اضطرب. والسياسة: الحفظ. والضاري: المولع. والموسد: المغري، تقول: أوسد الكلب إذا أغراه. والفدع في الأصل أن تضرب أنف الفحل ليرجع عن الناقة. والجلندد: الفاجر. والرغد من العيش: الواسع. وغذا البلد يغذو بذال معجمة: طاب هواه وبعد عن الوخم، وهذا أغذىٰ من هذا: أطيب منه وأوفق للطبع. وقتل الخمر: مزجها لتذهب ثورتها. والماذي بذال معجمة وياء مشددة: العسل الأبيض أو الصافي.

يقول: إن نفسك التي بين جنبيك أيها المريد هي أعدىٰ كل عاد تخشىٰ أن يسطو عليك، وأضر كل سهم يهلكك[1]، وهي التي تحول بينك وبين كل خير، وهي العائقة لك عن حضرة ربك، ولذا قيل للذي طلب من الله تعالىٰ

---

(١) في (م): يهلك.

الوصول والسبيل: اترك نفسك وتعال، ثم وصفها بأنها قِتل أي عدو تريد حياته وتودّه، أي تحبه ولا أحب إلىٰ الإنسان من نفسه ولا يحب الحياة ولا كل خير إلا لها، وهو يريد قتلك بمعصية مولاك، وأن ينبذك في النار فصار كما قال القائل:

أريـــد حـيـاتـه ويــريــد قـتـلـي عـذيـرك مـن خليلك مـن مـراد[1]

أي كون النفس تريد هلاك صاحبها، إنما هو بحسب الصورة والنظر إلىٰ فعلها وسعيها أي سعيها سعي من يريد الهلاك وإلا فهي لا تريد إلا الخير أبدًا، وإنما سعت في المضرة؛ لأنها أعطيت الشهوة الداعية ولم تعط من النظر في العواقب والاستشراف إلىٰ الغيب ما أعطىٰ العقل فتوهمت أن كمالها وفوزها فيما حضرها من الملاذ، ولم تدر ما وراء ذلك، ولذا متىٰ انكشف شيء من العواقب السوء عن اللذة اعترفت به ووافقت العقل حينئذ فافهم. وأخبر أنك أركبت من نفسك الأمارة ظهر مركب صعب جامح لا ينقاد لك، معط بنفسه إلىٰ المهاوي التي يهلك من وقع فيها، مستعند عن الزمام، ولا مهواة له أعظم من الهوىٰ وهو الميل إلىٰ كل ما تشتهيه النفس وهو غالب علىٰ النفس؛ لأن ذلك طبعها، بل أركبت منها ظهر موج في البحر مضطرب بك ولا شيء فوق ذلك الهول، وذلك الخطر، وأنت فيها بمثابة من عنده كلب ضار علىٰ الصيد مغرىٰ به، وهو لم يعلم بعد بحيث ينزجر بالزجر، فكيف يكون الحال معه؛ فإذا علمت ما في نفسك من العداوة والكيد فشأنك أن تقتلها بالرياضات من جوع، وعري، وذلة، وعزلة؛ لتخنس صفاتها، وتستريح من شرها؛ فإن الفاجر لا يفدع أنفه عنك

---

(١) البيت من بحر الوافر.

وهو لعمرو بن معد يكرب. والأمالي: ١/ ١٥، والمثلين: ١/ ٣٢٢، وسمط اللآلي: ١/ ١٣٨ برواية:

أريـد حبـاءه ويريــد قتلـي

وبزهر الآداب بلا عزو: ٢/ ٦٥٩.

إلا القتل، ثم إن قتل النفس بما ذكر من الرياضة هو علىٰ التحقيق إحياء لها وإراحة وسبب لطيب عيشها واتساعه، وذلك من جهات منها:

في الدنيا الراحة عن التعب والكد والعنت وتجشم مداخل السوء والسلامة من التلوث بالعار والفضائح والنجاة من المهالك والمعاطب وتيسر الخير والانتهاض للمكارم والذكر والشرف الذي هو الحياة والخلود والقناعة والرضىٰ الذي هو جنة الدنيا ونعيمها إلىٰ غير ذلك.

وفي الآخرة الفوز بالرضوان والخلود في الجنان، وضرب مثلاً بالخمر؛ فإن ألذها وأوفقها للطبع ما قتل، أي: مزج بالعسل والماء العذب البارد، وبذلك السلامة من سورتها، وإنما قال: أعذب وأغذىٰ في الخمر؛ لأنها شراب، ثم قال:

وتسلحنَ من علمٍ ذاكَ بصارمٍ ... خذم الغرارِ وسمهري سمهدِ
واعلمْ بأنكَ قد رقيتَ مخاطرًا ... في مصعدٍ متصعِّبٍ متصعّدِ
والغمرُ من ينوىٰ وليس بسالحٍ ... أو ذا سقاء في الملاءةِ مومّدِ

تسلح: لبس السلاح. والسيف الصارم: القاطع. والخذم: القطع وسيف خذم: كفرح قاطع. وغرار السيف: حدّه. والسمهري: الرمح ينسب إلىٰ سمهر، وهو زوج ردينة، وإليهما تنسب الرماح، فيقال: سمهرية وردينية. والسمهد: اليابس الصلب. وأنوىٰ: تباعد في سفره. والسالح: ذو السلاح. والملاة: الفلاة، ذات السراب. والمومد من الأسقية: ما ليس فيه ماء.

يقول: إذا اجتهدت في رياضة نفسك طلبًا للتخلية والتحلية، فلابد لك من علم ما تحتاج إليه في ذلك بأن تتبين الصفات المذمومة المهلكة والصفات المحمودة المنجية وما تنتفي به الأولىٰ وما تحصل به الثانية بإذن الله تعالىٰ؛ فإن ذلك بمثابة السلاح الذي تقاتل به عدوّك. ولا شك أن مجاهدة النفس ومقاساة الرياضة من أصعب الأشياء فأنت إذا اشتغلت بذلك بمنزلة من رقىٰ مخاطرًا

بنفسه في صعود متصعب على الراقي، متصعد: أي عال بعيد. والغمر من الناس هو الذي يسافر الأسفار البعيدة، والحال أنه غير سالح، بل أعزل أو ذو سقاء لا ماء فيه، ثم قال:

واستنجدنَ متبرئًا ملحول حو(م) ل اللهِ في الطلباتِ تنج وتنجدِ

فاللهُ أنجحَ ما طلبتَ به المنىٰ وأحقُّ مدعوٌّ وخيرُ مؤيِّدِ

ما لم يسهله فليسَ بساهلٍ أبدًا ولستَ لنيلهِ بمؤيَّدِ

والأمر إن لم يؤتهِ ما للفتىٰ للقائِه في الدهرِ من معلندِ

الملكُ والملكوتُ قبضتُه وما تنفذُ مشيئتَه به لم يردِ

فالناسُ بينَ ميسّرٍ ومعسّرٍ أبدًا عليه ومجتبىٰ ومبعّدِ

ومرفَّلٍ بعطائِه ومرفتٍ أبدًا ومشقىٰ في المعادِ ومسعدِ

ومرفّه في هذه متشظّفٌ فيها ومحرومٌ هواهُ ومشكدِ

يعضُّ جميعهم إلىٰ ما خطّه ربُّ الورىٰ من موقصٍ ومهوّدِ

الاستنجاد: الاستنصار، والإنجاد: النصر. والطلبة بكسر اللام: ما يُطلب. والتأييد: التقوية. والساهل: السهل، فإذا قيل: سَهُل الشيء فهو سَهْل ولم يسهل فليس بسهل؛ فإن أريد التجرّد في المستقبل قيل ليس هذا بساهل، أي لا يسهل، وهكذا في كل وصف من هذا الباب وما لي إلىٰ هذا الأمر. معلندد: سبيل. والمجتبىٰ: المختار. والترفيل: التعظيم، والترفيت ضده، وأصله الكسر. يقال: رفت الشيء: كسره. والرفاهية: الاتساع في العيش. والشظف: الشدة فيه والضيق. والشكد: العطاء، يقال: شكده وأشكده، والحرمان ضده. والإيعاض: الإسراع في السير. والتهويد: المشي الرويد والإبطاء في السير.

يقول: إذا رمت السلوك والمجاهدة مع ما مرَّ كله فاستعن بالله واستنجد حوله

وقوّته بعد أن تتبرأ من حولك وقوّتك ينجيك من شر نفسك، ومن كل ما تخاف، وينصرك علىٰ هواك ويقويك علىٰ ما تروم من طاعته، فالله عَزَّوَجَلَّ أنجح ما طلبت به كما قال امرؤ القيس:

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل[1]

وهذا البيت مشير إلىٰ مجموع الحقيقة والشريعة، وقد بينا ذلك في كتاب المحاضرات، وهو تعالىٰ أحق من تدعو لحاجتك إذ لا يملكها غيره وخير مؤيد لك، وأي أمر لم يعطه الله تعالىٰ عبده فليس له إلىٰ لقائه سبيل أبدًا؛ فإن جميع الملك وهو ما تشهده الأبصار كأجرام السماء والأرض وأعراضها الحسية والملكوت، وهو ما تشهده البصائر ككون العالم مفتقرًا إلىٰ صانع يوجده ويدبره كله في قبضة الله تعالىٰ ليس للعبد منه إلا ما أعطاه وما شاء الله من ذلك كان، وما لم يشأ فليس بكائن. فالناس علىٰ ما يرىٰ بالبصر والبصيرة، ويعرف بالتجربة أصناف منحصرة بين هذه الأحوال المذكورة وما أشبهها؛ فهذا ميسر له في الرزق الحسي والمعنوي كليهما، وهذا معسر عليه في ذلك، وهذا مقرّب بالنبوّة أو الإيمان والطاعة، وهذا مبعد بالكفر أو المعصية، وهذا معظم في الدنيا أو في الدين أو فيهما، وهذا مهان في ذلك أو في بعضه، وهذا مشقىٰ في المعاد فيخلد في النار، وهذا مسعد فيدخل الجنة أولاً أو بعد حين، وهذا منعم في الدنيا، وهذا مقضي عليه بالبؤس ولا يلزم من الإيسار الرفاهية، فرب ذي وفر لم ينعم به، وبالعكس، وهذا معطىٰ ما يتمنىٰ من دنيا أو دين أو علم مثلاً، وهذا محروم، وجميعهم إلىٰ ما خطه الله تعالىٰ، أي في كتابه في اللوح المحفوظ علمًا قديمًا سواء منهم من أسرع الأوبة إلىٰ الآخرة ومن بقي أو من حرص في نيل أغراضه ومن توانىٰ؛ فهذا كله باب الحقيقة لابد أن يحكمه المريد اعتقادًا أو تحققًا، ثم

---

(١) البيت من بحر الكامل.
وهو بديوانه: ٢٣٨.

يتعاطىٰ الأسباب الشرعية إقامة للشرع كما يأتي، ثم قال:

فالحقُّ فاعرفْه لأهل الحقِّ لا تسند لغيرِ اللهِ شيئًا تهتدِ
واعملْ علىٰ حسبِ الخطابِ إقامة للرسمِ تعدلُ في الأمورِ وتقصدِ
والتذْ بربِّك في المطالبِ كلها واستمددنَ منه الإعانةَ تمددِ

يقول: اعرف الحق لأهله، وهو الله سبحانه وتعالىٰ؛ فإن له غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله، ولا تسند فعلاً ولا حكمًا ولا فصلاً لغير الله تعالىٰ، واعزل نفسك عن الحول والقوة، فلا فعل لك ولا حركة ولا سكون ولا تدبير ولا مشيئة، بل ذلك كله لله الواحد القهار، ومع ذلك فلابد لك من أن تعمل بحسب ما جعل لك من الكسب ما خوطبت به من التكاليف إقامة لرسم الشريعة معتقدًا أن الفعل بالحقيقة لله تعالىٰ، وفي الصورة هو لك؛ فإذا كنت كذلك فقد عدلت بأن جمعت بين الحقيقة والشريعة ولم تزغ إلىٰ الجبر المحض ولا إلىٰ القدر المحض، وهذا هو القصد، أي التوسط في الأمور، و«**خير الأمور أوسطها**»[1]، وإذا علمت أنه لا فعل لك ولا إرادة لم يبق لك إلا الالتياذ بالله تعالىٰ والتعلق به، وطلب المدد منه في كل حركة وسكون، فأنت كما احتجت إلىٰ الإيجاد وقد وقع، فأنت محتاج إلىٰ الإمداد وهو مستمرّ لا يزايلك، ولو انقطع عنك لحظة لم تكن شيئًا مذكورًا، ثم قال:

ولترف ما أوهتْ يداكَ وإن وهىٰ أيضًا فبابُ الرفقِ ليسَ بمُوصدِ
والغيثُ يصلحُ ما استحالَ ببردِه ودواء شقٍ أن يحاصَ بمسردِ
واركبْ جوادَ العزمِ مرتاضًا فما نالَ المدىٰ في المجدِ غير المجوّدِ
واركضْه في ميدانِ ذاك فما استوىٰ نيل المجدِ به ونيل المرودِ

(١) زهر الأكم: ٢/ ٢٠٢ برواية: «خير الأمور أوساطها».

الرفْ: الإصلاح. والوهىٰ: الشق في الشيء. وأوصد الباب: أغلقه. واستحال الشيء: فسد. والحوص: الخياطة. والمسرد[١]: الآلة. وأجود: الفرس. واستجاده: طلبه جيدًا. وأجود الرجل: صار ذا جواد من الخيل. وأرود في مشيه: أمهل.

يقول: إذا أفسدت شيئًا فأصلحه فيما بينك وبين الله تعالىٰ بالتوبة والإقلاع والندم علىٰ ما فات وتدارك ما يمكن تداركه، وما بينك وبين العباد بالتوبة أيضًا مع التنصل من المظالم؛ إما بعزم أو استحلال فيما يمكن أو تصدق علىٰ صاحب الحق إن لم يوجد، وحكم المسألة مفصل في محله، وإن وقعت في زلة أيضًا بعد التوبة فلا يبطل ما تقدَّم من التوبة علىٰ الصحيح، ولكن عد إلىٰ التوبة فإن بابها مفتوح، فمتىٰ تعوّدت نفسك المخالفة فعوّدها التوبة، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٢]، ومثل ذلك بذكر مثلين سائرين **أحدهما**: قول العرب: «**الغيث يصلح ما أفسد برده**»[٣]، بمعنىٰ أن الصِّر[٤] ييبس الأرض والنبات؛ فإذا جاء الغيث أصلح الأرض وبرئت آفاتها، وكذا التوبة تصلح ما فسد.

الثاني: قولهم: «**إن دواء الشق أن تحوصه**»[٥]، أي: إذا خرقت شيئًا فحقك أن تخيطه فذلك دواؤه، وكذلك إذا عصيت أو ظلمت أحدًا فحقك أن تتوب وتتحرّج منه، ثم استصحب العزم التام في سيرك فإنه مركوبك ومتىٰ كان جوادًا بلغت الغرض، وإلا فلا وعليك مع ذلك بالجد والمجاهدة، وإياك والتراخي والتواني وارتعاء روض الأماني بلا نيل مجد بالهوينا، ثم قال:

والوجهُ ذو شحطٍ علىٰ مَنْ رامَه يعيي عن العودِ النباطي الأجلدِ

---

(١) في (م): المرسد.

(٢) سورة هود: ١١٥.

(٣) زهر الأكم: ٣/ ٢٥٥ برواية: «أصلح غيث ما أفسد برده».

(٤) الصِّرّ: البرد، وقيل: شدة البرد.

(٥) المستقصىٰ: ١/ ٤١٢.

ومجاهلٌ ما للقطا بفجاجها سبلٌ ولا فيها دعيميص صدِ
ومداحضٌ من زلَّ فيها يعتلقْ أشطانَ شيطانٍ غوي مفسدِ
ومخاوفٌ من شذّ عن رفقائِها فيها تروّىٰ من لعابِ العِرْبدِ

الوجه: الجهة التي يريدها المسافر، والمراد هنا جهة السلوك إلىٰ حضرة ملك الملوك. والشحط: البعد. والعود: المسن من الإبل. والنباطي: نسبة إلىٰ النبط؛ فإن إبلهم قوية، ولذا قال امرء القيس:

علىٰ لاحب لا يهتدي بمناره إذا سامه العود النُباطي جرجرا[1]

والأجلد: الأقوىٰ. والمجهل: ما ليس له أعلام يهتدىٰ بها، ولذا وصفه بأن القطا لا يهتدي فيه وهو أهدىٰ الطير[2]، ودعيميص: عبد خرّيت وهو الذي يقال له: «**دُعَيميص الرمل**»[3]، وما كان يدخل أرض وَبَار غيره، وهي أرض بين اليمن ورمال يبرين سميت بوبار بن إرم، فلما أهلك الله تعالىٰ أهلها عادًا سكنتها الجن، فما يقدر أحد أن ينزلها، فقام دعيميص هذا في الموسم وجعل يقول:

فمن يعطني تسعًا وتسعين بكرة هجانًا وأدمًا أهده[4] لوبار[5]

---

(١) البيت من بحر الطويل.
وهو بديوانه: ٦٦ برواية: .... إذا سافه العود النباطي جرجرا.
(٢) يقال: أهدىٰ من قطا. ثمار القلوب: ٤٨٢، والأمثال: ١٣٥.
(٣) يقال في المثل: «أدل من دعيميص الرمل»، وهو أهدىٰ أدلاء العرب، وكان رجلًا خريتًا يستاف التراب، فيعرف الطريق، وهو في الأصل تصغير دعموص، وهو الرجل الدخال في الأمور، الزوار للملوك. انظر المستقصىٰ: ١/ ١١٨، ومجمع الأمثال: ١/ ٤٨٢، ٣/ ٥٠٩، وثمار القلوب: ١٠٤.
(٤) في (م): أهدهد.
(٥) البيت من الطويل. وهو بمجمع الأمثال: ٣/ ٥٠٩.

فقام رجل معه وأعطاه وتحمل معه بأهله فلما توسطوا تلك الرمال طمست الجن عين دعيميص فحار وهلك فيها، ويقال: هو دعيميص. هدي: أي عالم به. وصدئ الإنسان بالكسر والهمز: انتصب فنظر. والمدحض: المزلق. والزلزل: السقوط. والشطن: الجمل جمعه أشطان. والمخاوف: جمع مخافة. وشذ عن الناس: انفرد عنهم. والعِرْبَد كزبرج: الحية.

يقول: إن هذا الوجه الذي أنت قاصده أيها المريد السالك ذو بُعد علىٰ من أراده لو سلكه العود النباطي القوي لغلبه، وفيه مجاهل تحار فيها القطا ولا تجد سبيلاً، وما قام فيها قط دعيميص ينظر أين الطريق، بل هي فوق ذلك كله وذلك المنازل والمقامات والأحوال وما يعتري من الخواطر ويقع من التصرفات ويعترض من الجزئيات التي تحتاج إلىٰ شيخ ناصح أو أخ صالح، وفيها مزالق من شذ فيها عن القوم وخرج عن المنهج لم يعدم حية تسقيه لعابها، وترويه من سمها فتقتله أو تضنيه أو تكربه، والمراد أن يقع في كفر أو بدعة أو حيرة أو وقفة عياذًا بالله تعالىٰ، ولا سيما في مجاهدة الفتح وطريقة الأنوار فإنها إما الملك أو الهلك. نسأل الله من فضله ونعوذ به من الزيغ، ثم قال:

فلذاكَ كانَ علىٰ مريدٍ سالكٍ ... فيها مصاحبةِ الدليلِ المرشدِ
شيخٌ بصيرٌ رائدٌ بكَ واردٌ ... شراب أنقعَ كل خرقٍ صيهدِ
يهديكَ متنَ النصحِ في ظلمِ الدجىٰ ... بسنىٰ وإن تشكُ النفاض يزوّدِ
ويقيكَ كيدَ حُظيةٍ مسمومةٍ ... ترمىٰ بها أو نفث أسود ممغدِ
ويزاولُ الأدواء عنكَ فإنه ... من يرقْ يسعطْ بالدواءِ ويلددِ

الرائد: الطالب الماء والكلا. والوارد: الشارب. والنقع: ما يجتمع فيه ماء

المطر، ويقال في المثل هو «**شراب أنقع**»[١] إذا كان خبيرًا بالبلد يعرف أنفعها فيقصدها. والخرق: القفز الواسع. والصيهد: الفلاة لا ينال ماءها. والسنىٰ بالقصر: الضوء كما مرّ. والنفاض: فناء الزاد، ومنه النفاض يقطر الجلب، وأنفض القوم انفاضًا. وزوّده: أعطاه زاد. والحظية: تصغير الحَظوة بفتح الحاء وقد تضم، وهي سهم صغير يرمي به الصبيان ومنه المثل: «**إحدىٰ حظيات لقمان**»[٢]، أي لقمان بن عاد[٣] وهي سهامه. والأسود: الحية كما مر. والممغد: المصاصة مفعل من المغد وهو المص. وزاوله: عالجه ودافعه. والأدواء: جمع داء ودوي مرض. والسعوط من الدواء: ما يفرغ في الأنف وسعطه به. واللدود: ما يجعل من جانب الفم وقد لده، وفي الحديث: «لا يبقىٰ أحد في البيت إلا لد»[٤].

يقول: فلأجل ما قلنا من صعوبة الطريق وبعدها واشتمالها علىٰ المجاهل والمداحض كان من أوكد الأمور علىٰ السالك صحبة شيخ يرشده بقوله وفعله، ويؤيده بهمته ثم وصفه بأنه ينزل بك المنازل الصالحة من التحقيق، ويكون خبيرًا بالطريق يهديك إلىٰ المحجة الواضحة بعلمه ومدده، وإن احتجت إلىٰ علم أو وقفت همتك أمدَّك بما تحتاج من العلم والهمة، وقد يكون في الزاد الحسي

---

(١) زهر الأكم: ١/ ١٢٢، والمستقصىٰ: ٢/ ١٣١، وتمامه: «إنه لشرَّاب بأنقع»، ومجمع الأمثال: ٢/ ١٥٤، والأمالي: ٢٢٣.

(٢) المثل بزهر الأكم: ١/ ٦٤، والمستقصىٰ: ١/ ٦٠، والمثلين: ٢/ ٥٨٠، ومجمع الأمثال: ١/ ٥٨.

(٣) لقمان بن عاد: قيل هو لقمان بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير، قيل: هو نبي غير مرسل، وقيل: هو عبد صالح، سمته حمير الرايش لأنه كان متواضعًا ولم يكن متوجًا، وكان يدعو إلىٰ الصلاة، عاش كثيرًا، ودارت حوله كثير من الأساطير. كتاب التيجان في ملوك حمير: ٧٨ وما بعدها.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٤٥٨، ومسلم برقم ٢٢١٣ من حديث عائشة (﵂).

إما من عنده أو بهمته، ويقيك سهام النفس والشيطان، وسموم الشهوات حفظًا بهمته، وعلاجًا إن سبق القضاء بوقوع شيء من ذلك ويعالج عنك كل داء كان فيك أو عرض لك؛ فإن الداء محتاج إلىٰ العلاج بالسعوط واللدود وغيرهما، ثم قال:

فالنفسُ منعمةٌ دنايا من يرمْ	معها دنوّا للمكارمِ يبعدِ
ومن ابتغىٰ منها ارتقاءً للعلىٰ	يحططْ ومن يلج السرادق يطردِ
فتمنح من أدوائِها وتوخ ما	يرضي الإله من المساعي واقصدِ

المفعم: المملوء، يقال: أفعم القربة إذا ملاها. والدنايا: جمع دنية وهي كل خسيس مذموم. وولج ولوجًا: دخل. والسرادق: ستر ينصب علىٰ صحن الدار ويتسعار في الشرف والأبهة كقوله سرادق المجد عليك ممدود. وتمخيت من الأمر: تبرأت منه، ووخيت الشيء وخيًا: قصدته وتوخيت الأمر: تحريته.

يقول: إنما أكدت في صحبة الشيخ؛ لأن النفس صعبة القياد، كثيرة العناد كما مرَّ فهي مشحونة بالرعونات والصفات المذمومات كل من يروم معها، أي مع تلك الدنايا، أو مع النفس المشحونة بها أن يدنو من المكارم وهي التحلي بالكمال والتخلق بالأخلاق المحمودة؛ فإنه يبعد ولا يحظىٰ بها، إذ هي ضد ما هو عليه من صفات نفسه، والضدان لا يجتمعان، وكذا من طلب الارتقاء إلىٰ شرف والبلوغ إلىٰ منزلة من ولاية أو صديقية فإنه يحط بها إلىٰ أسفل سافلين، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾[1]، ومن أراد الدخول إلىٰ سرادق الملك، أي الحضرة الربانية؛ فإنه يطرد عنها، إذ هو متلوّث، ويصح أن يكون إشارة إلىٰ خيل الحلبة؛ فإن الآخر

(١) سورة التين: ٤، ٥.

منها كاللكيم، والفسكل لا يدخل السرادق. فكان حقًا عليك أيها المريد أن تتبرأ من أمراض نفسك، أي أن تسعىٰ في ذلك وتتحرّىٰ من المساعي ما فيه رضاء ربك فتقصده، وإنما يمكنك ذلك بعد الخلاص من النفس، فاقصد الخلاص منها أول ما تتحرىٰ، ثم قال:

ولقد سقطتَ علىٰ الخبيرِ بدائِها ... من ناصرٍ نجلِ الإمامِ الأرشدِ[1]

فـإذا غَشيتَ ذراه فالزمْ غرزَه ... واعضضْ عليه بالنواجذِ واشددِ

واحطْط رحالكَ في ذراهُ ملقيًا ... أبدًا عليه شراشر المستنجدِ

واخلعْ إليه بكلِّ أمركَ ولتكنْ ... في حجرِه مثل الصبي الممغدِ

الغرز: ما يدخل الراكب فيه رجله، فيقال: الزم غرز فلان، أي سر معه أينما سار. والنواجذ بالمعجمة قيل: أقصىٰ الأضراس أو الأنياب أو التي تليها، وقيل: الأضراس كلها، والعض بها كناية عن الاستحكام من الشيء ولزومه. وحط الرحل عبارة عن الوصول إلىٰ ما لا طلب وراءه. والشراشر: النفس والأثقال والأمعاء والأوضاع كما مر.

يقول: إنك أيها المريد إذا هالتك عيوب نفسك وأردت التخلي منها فقد وقعت علىٰ من هو خبير بها، وهو الإمام ابن ناصر - ومن إن كانت للبيان فظاهر، وإن كانت للابتداء فهو تجريد، كما تقول لي من فلان صديق حميم، أي بلغ من الصداقة حدًا يمكن أن يستخلص منه آخر فيها معه - فإذا بلغت حماه فالزمه ولا تفارقه وشدّ عليه يد الضنين ولا [...][2] به واحطط عنده رحالك، وألق عصاك، واعلم إنه لم تبق لك رحلة، وألق عليه نفسك أو ألق عليك أثقالك مستنجدًا له أي مستنصرًا، واخلع إرادتك واجعلها في يده، فما أمرك به فائتمر،

---

(١) في (م): من نجل ناصر، وهو خطأ بالكسر العروضي.

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.

ولا يكن لك معه تقديم ولا تأخير ولا تأويل، وكن كالصبي في حجره، ثم قال:

لا تعجزن عنه فتصبحَ كالذي يشكو الصدىٰ حولَ الزلالِ المرمدِ

أو يشتكي ظلمًا وبدرٌ طالعٌ وسطَ السماءِ بجُنحِ ليلٍ مِبْرَدِ

أو كالذي قرحتْ بطونُ جفونهِ مرهًا وأثمدها لديه بمقلدِ

المرمد: النهر. وجنح الليل بالكسر ويضم أيضًا: طائفة منه. وبرد الليل فهو مبرد كمنبر، وأبرد: دخل في البرد، وأبرد الماء: جاء به باردًا. والمره: فساد العين من عدم الكحل. والمقلد: الوعاء والمخلاة.

يقول: إياك أن تعجز أيها المريد عن الوصول إليه أو عن صحبته فتصير عطشان والماء زلال قريب منك أو تكون كالذي يرىٰ أنه في ظلمة الليل والبدر طالع ولم ينتفع به مع كونه في وسط السماء وهي صاحية أو كالذي فسدت عينه من عدم الكحل والكحل موجود معه في وعاء لو حرَّك يده لأخذه بلا كلفة، ثم قال:

وهو الذي يغذوكَ من نفحاتِه بجدىٰ من الأنوارِ غير مصرّدِ

ويسوغكَ الأفضال رحبًا ممرعًا أكنافُه إن ضاق كل مَزنّدِ

بحرٌ متىٰ تُقبل إليه لا تجد كلفَ السؤالِ ولا هرير الأعقدِ

ومتىٰ ينخْ ركبٌ عليه وينثنوا صارُوا مناخَ الوافدينَ القصّدِ

أمرع الوادي ومرع مراعة: أعشب. والمزند بالفتح: البخيل. والهرير: صوت الكلب دون النباح. والأعقد: الكلب.

يقول: إن هذا الشيخ هو الذي يغذوك أيها المريد من نفحاته، أي النفحات الربانية الآتية علىٰ يده بجدىٰ وهو المطر كما مرَّ، غير أن هذا من الأنوار الربانية

وهو غير مصرد، أي غير مقلل، وهو أيضًا يسوغك من أفضاله أفضالاً رحبًا، أي واسعًا خصيبًا أكنافه إن ضاق كل بخيل أن تجد عنده مثل هذا الفضل، وهو بحر أي واسع الخير متىٰ أقبلت إليه لم يتعجب من إقبالك، ولم تسأل لكثرة الواردين مثلك، ولم تهرّك الكلاب لإلفها للناس. وهذا من قول حسان:

يغشون حتىٰ ما تهرّ كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل[1]

وقد قيل: إنه أمدح بيت قالته العرب[2]، وقال:

وكلبك أرأف بالزائرين   من الأم بالابنة الزائره[3]

ومتىٰ أناخ أحد بهذا الشيخ طلبًا للنوال منه؛ فإنه يغنيه حتىٰ يصير هو مناخًا للناس، ثم قال:

شرفًا لدرعةَ إذ تسمىٰ باسمها   نسبًا وإذا أوفته أول مولدِ
ولغربِنا إذ كانَ منه أرضها   ولسائرِ الدنيا بهذا المقصدِ
بل للسمواتِ العلىٰ إذ كان منـ   ـها روحُه فلتعل منه وتمجدِ

يقول: شرفت درعه[4] بدال مهملة وهي بلد الممدوح شرفًا، حيث تسمىٰ باسمها نسبًا، فقيل: درعي. وحيث وافته، أي لاقته أول مولد، أي أول الولادة فكانت مسقط رأسه، فالولادة هنا مصدر، كما رأيت، وهي في أول القصيدة عن والدين. ومولد: مكان فلم يتكرر اللفظ في القافية لاختلاف المعنىٰ. وشرف

---

(١) البيت من بحر الكامل.
وهو بديوانه: ١٨٤، وسيبويه: ١/ ٤١٣.
(٢) المصون في الأدب: ٢٣.
(٣) البيت من المتقارب وينسب لحسان بن ثابت وليس بديوانه.
(٤) درعة: مدينة صغيرة بالمغرب من جنوبها. قريبة من سلجماسة، وكان أكثر تجارها من اليهود. معجم البلدان: ٢/ ٤٥١.

غربنا كله شرفًا إذ كانت منه درعة، ثم شرفت الدنيا كلها إذ كان منها المغرب أو درعة، بل للسموات شرف إذ كانت منها روحه إبداعًا وتنزيلاً كسائر الأرواح، فحقها أن تعلو بذلك وتمجد، أي تزاد علوًّا ومجدًا؛ لأنها قد علت قبل بأرواح الأنبياء والصديقين، والعلوّ مما يقبل الزيادة ولو بأضعف مما كان أولاً، ثم قال:

شمسُ الزمانِ وسعدُه وملاذُه ... وجدىٰ المحول وغنية المسترفدِ

فالدهرُ نورٌ ليلُهُ ونهارُهُ ... من نورِه معط يد المتعبّدِ

حتىٰ توهَّمَ سبعُ أمواتٍ له ... زوّجنَ من روم بسبعةِ أعبدِ

الملاذ: الملجأ. والمحول: الأرض الجدبة، يقال: أرض محلة ومحل ومحول ومحلت الأرض، فهي ماحل وماحلة ومحيل للمبالغة. والرفد: الإعطاء، والمسترفد: طالبه. والمتعبد: المتذلل. والأموات: جمع أمة.

يقول: إن هذا الشيخ هو شمس الزمان لإشراقه في قلوب المؤمنين علمًا ومعرفة وصلاحًا وهداية، وهو سعده لظهور هذه الخيرات به، وهو ملاذه أي ملجأ أهله في دينهم ودنياهم، وهو جدىٰ، أي غيث الأرض المحل بما يظهر مع وجوده بما مرَّ من البركات في الأرزاق والأعمال وغير ذلك مما لا يحصىٰ من المنافع التي يسديها المولىٰ تعالىٰ ببركة وليه، وهو غنية، أي كفاية المسترفد في العلم والنور والهداية والكفاية، وقد يكون في الدنيا أيضًا، إما من يده أو من دعائه وهمته، فالدهر بوجوده كله منوّر ليله ونهاره، وأولياء الله هم نور الدنيا، والدهر مع ذلك معط يد الطاعة له حتىٰ أنه لو نظر فيه المتفكر لتوهم أن الأيام والليالي عبيد له وإماء، فكأن سبعًا من إماء الزنج زوّجت بسبعة أعبد من الروم، وهذا المعنىٰ قد تعاطاه الشعراء مبالغة وتمليحًا، وإذا كانوا يرتكبون ذلك في الملوك أبناء الدنيا ففي أولياء الله تعالىٰ أهل التصريف في الوجود أولىٰ، فإن الولي إذا جعل في مرتبة التصرف أمكن أن تكون الكائنات كلها تحت طوع يده

بإذن الله تعالىٰ الذي يقول للشيء كُن فيكون، فيتصرف في الزمان كما يتصرف في غيره، وقد حدثونا عن سيدي عبد الله الغرواني دفين القصور من حضرة مراكش[1] حرسها الله، أنه خرج ذات مرة إلىٰ بعض القبائل لإيقاع صلح في أمر وقع، فلما راح إليهم افتتح الذكر فتواجد الناس كلهم حتىٰ اختلط الفريقان، ولم يزل ذلك دأبهم جميع الليل، وكان ذلك رمضان فلما علم الفجر صاح الناس وأشفقوا من بقاء الناس بلا سحور وأعلموه، فقام، وقال: وأمري بأمر الله ارجع، أو كما قال! فذهبت تباشير الصبح التي ظهرت، وأقبل الليل بظلامه كما كان حتىٰ تسحر الناس واكتفوا وفرغوا، فعند ذلك جاء الفجر، وأصله استيقاف الشمس ليوشع[2]، ثم لنبينا عليهما الصلاة والسلام، وكل ذلك فعل الله تعالىٰ وإرادته لا تأثير للمخلوق في شيء من الأشياء، وإنما الولي ظرف تجري فيه هذه

---

(١) عبد الله الغرواني: أبو محمد، عبد الله بن عجال الغرواني، نسبة إلىٰ قبيلة غروان من عرب الشاوية بطن من أولاد بو عطية، كان والده عجال من عباد الله الصالحين، يجول في البلاد، ليس له قرار، ولا يلوي علىٰ شيء. ولد ببلاد الهبط في منتصف القرن التاسع الهجري. درس بفاس بالقرويين، وشيخه أبو فارس عبد العزيز التباع بمراكش، وتوفي عام ٩٣٥هـ، ودفن بحومة القصور بمراكش. انظر: ترجمته بالاستقصا، وسلوة الأنفاس. ونزهة الحادي: ١١٩.

* مراكش: بفتح الميم وتشديد الميم وضم الكاف. أعظم المدن بالمغرب وأجلها، في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين عام ٤٧٠هـ، ومعناها بالبربرية: أسرع المشي؛ لأنها كانت موضع للصوص قبل بنائها. معجم البلدان: ٥/ ٩٤، وجني الأزهار: ٦٠.

(٢) يوشع: هو يوشع بن نون النبي، كان يقاتل الجبارين في أريحا علىٰ رأس بني إسرائيل، وكان القتال يوم الجمعة، فبقيت من الجبارين بقية، وكادت الشمس تغرب، وتدخل ليلة السبت. فخشىٰ يوشع أن يعجزوه، فقال: اللهم اردد الشمس عليّ، فقال للشمس: إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله، فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتىٰ ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس، فردت عليه، وزيد له في النهار ساعة واحدة حتىٰ قتلهم أجمعين. نهاية الأرب: ١٤/ ٢، ٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٢٧٧.

التصاريف، وعلىٰ يديه إذا أراد الله وقوع شيء جعل في قلب الولي إرادته فيوقعه تعالىٰ علىٰ وفق ذلك، ومتىٰ لم يرد وقوع شيء لم يجعل في قلب الولي إرادته فليس إلا الله وحده لا شريك له فافهم، ثم قال:

زمَّ الرحالَ مشرّقًا فعجبتُ من ... شمسٍ تشرّقُ فوق ظهرِ الفدفدِ

حتىٰ بدا لي أنها شمسُ الضحىٰ ... ذهبتْ لمطلعها الأجل الأصعدِ

وجدي جلا بالغربِ محلاً فانتحىٰ ... للشرقِ رائح مزنهِ والمغتدي

ووليُّ قومٍ آبَ نحوَ مليكِه ... مستحدثًا للعهدِ خير موفدِ

فأتىٰ بمنشورِ الولايةِ ثانيًا ... أوفىٰ بها مما أتىٰ بادي بدي

زم البعير: جعل له خطامًا ويكون ذلك بقصد الارتحال والسير. وتشرّق تشريقًا: توجه إلىٰ المشرق. والفدفد: الفلاة. والأصعد: الأرفع. ونحا وانتحىٰ: قصد. ووفد عليه: قدم، ووفد توفيدًا: استقدمه. والمنشور: ما يكتب من عهد لمن ولي خطة وفعل كذا. بادي بدي، ومادي مدي: أول شيء وخففًا معًا في البيت.

يقول: ارتحل هذا الشيخ إلىٰ المشرق وهو شمس الدنيا كما مرّ فعجبنا كيف تذهب الشمس إلىٰ جهة المشرق، مع أن حركتها الظاهرة - وهي القسرّية - إنما هي إلىٰ جهة المغرب، وهو مع ذلك علىٰ متن الطريق والشمس، إنما هي في السماء فالعجب من الأمرين. ووجه تناسب التشبيه قضاء لحق المبالغة كما في قوله:

قامت تظللني ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس[1]

ثم أخبر أنه ظهر له أن الشمس إنما تذهب لمطلعها لتطلع ثانيًا، وكما أن

---

(١) البيت من بحر الكامل، وينسب لابن العميد. معاهد التنصيص: ١/ ٢١١.

شمس السماء ترجع كل ليلة إلىٰ مطلعها، ولكن من تحت الأرض فهذه كذلك، ولكنه فوق الأرض، وأنه غيث أصاب المغرب حتىٰ اكتفىٰ وتجلىٰ عنه المحل، فتوجه إلىٰ المشرق مزنه الرائح والغادي أو أنه ولي علىٰ قوم وهم أهل المغرب، ثم ذهب وافدًا علىٰ مليكه الذي ولاه ليستجدّ عهد الولاية، وهو هنا الله ورسوله، وقد أتىٰ بمنشور الولاية أوفىٰ مما أتىٰ به أول مرة، ولفظ الولاية هنا متوجه للمعنيين، وكذا ولي قوم فافهم، ثم قال:

وافي مقاماتِ الهدىٰ فسمتْ به لمقامِ إبراهيم همَّة مَنْهَدِ
وغدا إلىٰ بيتِ المطافِ بُعَيْدَ ما أضحىٰ مطافًا للوفودِ الصُّمّدِ
فغدا لبانِ الغربِ منه عاطلاً وعلىٰ لبانِ الشرقِ أسنىٰ منجِدِ

مقامات الهدىٰ: هي مقامات اليقين من التوبة والزهد والتوكل والتفويض ونحوها. ومقام إبراهيم يراد به الحجر المعروف أو المكان كله أو درجته عند الله تعالىٰ أو في العلم واليقين. والمنهد: مفعل من النهود كما مرّ. والصمَّد: القاصدون. واللبان: الصدر. والعاطل: الخالي من الحلىٰ. والمنجد بكسر الجيم: حلي مكلل بالفصوص في عرض شبر يكون في موضع النجادين. العنق: إلىٰ أسفل الثديين.

يقول: إن هذا الشيخ بعد أن وفىٰ مقامات اليقين فاستولىٰ عليها تحققًا وذوقًا ارتفعت به الهمة النهادة إلىٰ المعالي طلبًا لمقام إبراهيم، أي بيت الله الحرام أو مقامه من الله تعالىٰ اتصافًا وتحققًا كما اشتهر أن من أولياء الله تعالىٰ من يكون قلبه علىٰ قلب إبراهيم - ففي الكلام توجيه - وذهب إلىٰ بيت الله الحرام الذي هو مطاف أي مكان طواف بعدما كان هو أيضًا مطافًا للوافدين من المريدين والمتعلمين والزائرين فصار الغرب بعده عاطلاً من حليه؛ لأنه كان زينة، وصار منه علىٰ الشرق أبهىٰ زينة حين وصل إليه، ثم قال:

فالغربُ قد فازتْ به أيدي النوىٰ كمغيبةٍ قد ودّعتْ لم تهجدِ
وكأنهُ قد بانَ جفنٌ بانَ عنه نومه أو سيفه من مَزْأَدِ
ونهارُه مذْ بانَ ليس بأبيض والليلُ إذ وافاه ليس بأسودِ

المغيبة: المرأة تغيَّب زوجها. وهجد هجودًا: نام. والجفن: جفن العين المنطبق عليها أو جفن السيف وهو الغمد. والمزأد مفعل من قولك زئد فهو مزؤد، أي: خائف مذعور، وزأده: أفزعه.

يقول: إن الغرب قد ذهب عنه الشيخ بمنزلة المرأة التي يغيب عنها زوجها فلا تنام حتىٰ يرجع أو بمنزلة الجفن، أي جفن العين يذهب عنه نومه من فزع أو جفن السيف يذهب عنه سيفه بالانسلال لفزع، وقد استعمل المشترك في معنييه معًا، فالنهار فيه ليس بأبيض لغلبة ظلام الجهل والبدع، والليل حين حضر ليس بأسود لإشراق الهدىٰ والسنة والدين، ثم قال:

وافىٰ فأشرقتْ البلادُ وأينعتْ ثمرُ المنىٰ من كلِّ فرعٍ منغدِ
تهتزُّ من طربٍ كمظلمِ مهمهٍ يسم الضلال فلاحَ بدرٌ منتدِ
وتقولُ أهلاً بالإمامِ ومرحبًا قول الربىٰ للغيثِ بعد المجهدِ
فرح المبشر بالغلامِ بُعَيْدَما يأس ومظلوم هضيم منجدِ

وافىٰ: أتىٰ. وينعت الثمرة وأينعت: حان قطافها. وأنغد الشجر: أورق. والمنتدىٰ: الطالع وأصله قولهم: ندأ علينا فلان بالهمز إذا طلع فتقول منه انتدأ فهو منتدئ ويخفف كما في البيت. وهضمه: ظلمه واهتضمه فهو مهضوم وهضيم. وأنجده: أعانه ونصره.

يقول: وافىٰ هذا الشيخ، أي بلغ إلينا فأشرقت البلاد بوجوده وطابت ثمار المنىٰ، فمن كانت له منية خير أدركها ببركته، ومن تمنىٰ هذا الأمر قبل ذلك؛

فهذا حين أدرك تهتز، أي البلاد طربًا كما يهتز المظلم، أي الداخل في ظلمة مهمه توقع الضلال في الطريق، فلاح بدر طالع فذهب كربه، وأمن مما خاف، وهذا المعنىٰ مثل ما وقع للأعرابي الذي ضل عن ناقته بالليل فجعل يطلبها حتىٰ أعياه الطلب؛ فإذا البدر قد طلع فبصر بناقته قريبًا منه ففرح، ولم يتمالك الوصول إلىٰ البدر، فقال يثني عليه:

ماذا أقول وقولي فيك ذو حصر وقد كفيتني التفصيل والجملا
إن قلت لا زلت مرفوعًا فأنت كذا أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا[1]

وتقول هذه البلاد: أهلاً ومرحبًا بالإمام، كما تقول الربىٰ بلسان حالها بعد الجهد، أي المحل للغيث أهلاً ومرحبًا، وتفرح أيضًا فرح اليائس من الأولاد لكبر أو طول فقد إذا بشر بغلام، وفرح المظلوم إذا نصر وأزيلت ظلامته، ثم قال:

فليهنه حجٌ وحج أشرقا في أفقِ مجدٍ قد بناهُ مشيّدِ
ومآبهُ كالشمسِ تطلعُ بعدما حُجبتْ بنورٍ ساطعٍ متجدّدِ
وليهننا بلقائِهِ محفوظة ساحاته نيلُ الأماني الرغّدِ

الهنيء والمهنئ: ما أتاك بلا كلفة، وقد هناني الطعام، وهنأني يهنأ ويهني وتقول لصاحبك: ليهنئك كذا. والحج لم يعقد بعلامة التثنية لقصد التفصيل، وكأنه قيل حج أولاً، وحج ثانيًا، ومثله قول الحجاج[2] حين نعي إليه ابنه وأخوه

---

(١) البيتان من بحر البسيط.

(٢) الحجاج: الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب بن مالك ابن كعب الثقفي، كان أخفش، دقيق الصوت، وأمه هي أم الوليد بن يزيد بن عبدالملك، ولاه عبدالملك الحجاز ثلاث سنين، ثم تولىٰ العراق نحو عشرين عامًا فأصلحها، وذلل أهلها، توفي في رمضان من عام ٩٥هـ. انظر: المعارف: ٣٩٥ وما بعدها.. وأخوه محمد بن يوسف قد ولاه عبد الملك اليمن، فلم يزل واليًا عليها حتىٰ مات بها. والمعارف: ٣٩٦.

محمد ومحمد في يوم، أي محمد ابني ومحمد أخي، ونظمه الفرزدق فقال:

إن الرزية لا رزية مثلها فقدان مثل محمد ومحمد[١]

وقد يقع مثل هذا التعبير لقصد الكثرة كقول جرير:

تَخْدِي بنا نُجُبٌ أفنىٰ عرائكها خِمس وخِمس وتأويب وتأويب[٢]

والمآب: الرجوع. ويقال: أرغد العيش بالكسر والضم: إذا اتسع، ويجوز أن يؤخذ من المكسور راغد إن سمع أو منهما معًا بقصد الحدوث فيجمع علىٰ رُغد كما في البيت.

يقول: فليهنئ الشيخ فوزه بحجتين قد أشرقتا في أفق المجد المشيد الذي بناه من قبل بعلمه وعمله فكانتا زيادة فيه، وليهنه مآبه إلىٰ وطنه واجتماعه بسكنه منوّرًا ظاهر الخير كالشمس تطلع بعد مغيبها، وليهننا نحن أيضًا معاشر أصحابه أو الوافدين عليه نيل الأماني الواسعة بسبب لقائه في عافية وسرور محفوظة ساحاته أي نفسه ودينه أو من يتعلق به.

واعلم أن هذه التهنئة هي الأمر الباعث علىٰ هذا القصيد أولاً فليسم هذا القصيد بالتهاني، وليسم هذا الشرح بـ «نيل الأماني في شرح التهاني»، والله تعالىٰ

---

(١) البيتان من بحر الكامل.

الفرزدق: شاعر تميمي. نشأ في بيت كريم. مآثره ومفاخره لا تدفع، ويُعد أضخم صوتًا لتميم في عصره. اشتهر بنقائضه مع جرير، زعم البعض أنه كان شيعيًا، وقد ولد عام ٢٠هـ، وتوفي عام ١١٢هـ. انظر: ديوانه بتحقيق عبد الله الصاوي (بيروت). طبقات ابن سلام: ٢٥٠، والمؤتلف: ١٦٦، والأغاني: ٩/ ٣٢٤، ومعجم الأدباء: ٧/ ٢٥٧، ووفيات الأعيان: ٢/ ٢٥٩، وخزانة الأدب: ١/ ١٠٥، وسمط اللآلي: ١/ ٤٤، وسرح العيون: ٢٣٥.

والبيت بديوانه: ١٤٦، برواية: .... للناس فقد محمد ومحمد

(٢) البيت من بحر البسيط، وهو بديوانه: ٣٦.

الموفق، ثم قال:

يا حرزُ كل موائلٍ وغياثُ كـ ـــل مؤمّلٍ وسراجُ كل ملبّدِ
وافتكَ بِكرٌ بنتُ فكرٍ سادرٍ تجلىٰ حياءً في رداءٍ مجسّدِ
بل عنس عجفا مسنتين تلفهم هوجُ الرياحِ إلىٰ الكرامِ الرفّدِ
غذيتْ برخصِ العبهرينْ وأمجدتْ في العيدِ واليعضيدِ كل الممجدِ
سبقتْ إليك مع الظلامِ بواكرُ الـ ـــغربانِ بين مشيّعٍ ومفرّدِ
وتجشمتْ أخطار أقطارٍ متىٰ أسرىٰ بها طيفُ الخيالِ يهيد
من كلِّ ما عَلَم دوين النجم لا يسمو إليه الطرفُ بعد المنجدِ
وتنوفة فضفاضة الأذيال لا تهدي منايرها وخل حنجدِ
مشمولةٌ مجنوبةٌ مصبوّةٌ مدبورةٌ صدر الخليطِ الممعدِ
وحلالها عليا صفاتك والحلىٰ فأتتْ بهيجة كاهلٍ ومقلّدِ
ترجو قبولكَ والأمانَ لمشعرٍ بذنوبهِ مثل الهدىٰ مقلّدِ

الحرز: الحصن. والموائل: الملتجئ، يقال: وأل إليه ووائل وئالا ومواءلة، نما إليه: ورجع، فهو موائل. والموئل: الراجي. وبلد تبليدًا لم يتجه لشيء فهو مبلد. والسادر: المتحير. وتجلىٰ: تظهر كما تجلىٰ العروس. والجسد والجساد: الزعفران، وثوب مجسد مصبوغ به. والرخص: الناعم. والعبهر: النرجس والياسمين. والعيد، واليعضيد: من منابت البادية. ومجدت الإبل وأمجدت وقعت في الكلا الكثير ومجدتها أنا وأمجدتها: أشبعتها، والممجد بالفتح مع ضم الميم: اسم مصدر بمعنىٰ الأمجاد. وبكر الغراب وغيره بكورًا فهو باكر. والمشيع: المصحوب بغيره. والمفرد ضده. وهيده الشيء تهييدًا: أفزعه. والعلم: الجبل المرتفع. والطرف: ناظر العين. والمنجد: الجبيل الصغير.

والتنوفة: المفازة. والفضفاض: الواسع. والمناير: جمع منار أو منارة وهو ما يهتدىٰ به في الطريق. والخل: الطريق يخرج بين الرمل. والحنجد: الجبل من الرمل الطويل، فهو علىٰ حذف مضاف، أي: خل ذي حنجد أو يقرأ خل حنجد بالإضافة. والمشمول: الذي أصابته الشمال بالفتح وهو الريح تهب من ناحية الشمال بالكسر. وكذا المجنوب أصابته الجنوب، والمصبو أصابته الصبا، والمدبور أصابته الدبور. والخليط: المخالط للواحد والجنس وهم هنا الرفقاء. وأمعد[1] في الأرض: ذهب فيها. والحلال: جمع حلة من اللباس معروف. والحلي: جمع حلية كما مر. والبهيج: الحسن المتزين. والكاهل: ما بين الكتفين وقيل: ثلث الظهر الأعلىٰ، وقيل غير ذلك. والمقلد: موضع القلادة. والهدىٰ والهدي بالتشديد واحد وإشعاره بأن يجرح، وتقليده: بأن يجعل في عنقه قلادة.

ولما فرغ من التهنئة وما وطاها أخذ في الاستعطاف، والاستعطاف علىٰ ما هو شأن الشعراء آخر القصائد، فقال مخاطبًا للممدوح يا حرز، أي يا حصن كل موائل، أي لاجئ إليك، وغياث كل راج لمعروفك، وسراج كل متحير في أمره وافتك، أي جاءتك مني بكر، أي قصيدة بكر لم تستعمل، ولم تعرف قبل فشبهها بالبكر من النساء التي تهدىٰ عروسًا، وهذا المعنىٰ مستعمل عند الشعراء في المعاني المخترعة، وهذه القصيدة منها ما هو كذلك، ومنها ما هو مأخوذ، ولكنها بجملتها كذلك، وهو المراد ووصف هذه البكر بأنها بنت فكر؛ لأنه هو الذي استنبطها، ولكنه فكر سادر بالهموم والاشتغال، فما نشأ عنه من خير فهو من فضل الله تعالىٰ، وما كان غير مرضي فليس بغريب، ولذلك قال: إنها من الحياء كلابس الثوب المزعفر، بل هي بمثابة عنس وهي الناقة الصلبة تحمل

---

(١) في (م): وأصعد.

عليها عجفًا جمع أعجف، أي مهزول مسنتين أصابتهم السنة وهي الجوع تلفهم الرياح الهوج جمع هوجاء وهي الريح العاصف تقلع البيت إلىٰ الكرام الرافدين من أتاهم، وأخبر أن هذه العنس غذيت، أي أطعمت الناعم من العبهرين وأشبعت من العيد واليعضيد كل الإشباع، وأراد بذلك وصف القصيدة، وأنها لم تخل من رقة ألفاظ الحاضرة، وإلىٰ ذلك أشار بالعبهر؛ لأنه أراد البستاني، ولم تخل أيضًا من نصاعة ألفاظ العرب أهل البادية، وإليه أشار بالعيد واليعضيد واجتماع النوعين في القصيدة الواحدة لا يستنكر، ولا سيما إذا روعي في ذلك مناسبة اللفظ للمعنىٰ فإنه من المحسنات كقول زهير:

وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأيا عرفت الدهر بعدتوهم
أثافي سفعًا في معرّس مرجل ... ونويا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ... ألا عم صباحًا أيها الربع واسلم[1]

والأنسب في هذا القصيد أن ما كان منه في سري الليل وسير المطايا وقطع المفاوز ونحو ذلك مما هو شأن العرب أن يجلي في منصة كلامهم بالألفاظ الجزلة، وما كان منه في ذكر الأزهار والأنهار والحياض ونحو ذلك مما يولع به أهل الحضر أن ينظم في سلك كلامهم رقة ولطافة، وما كان منه في المديح والوصايا والحكم والأحكام ونحو ذلك مما هو قدر مشترك أن يتوسط فيه وأخبر أيضًا أنها أسرعت إليه فسبقت بواكر الغربان، وهي تبكر تارة مع غيرها، وتارة وحدها، وتجشمت في سيرها الأخطار في أقطار، أي جهات بعيدة مخوفة لو سرىٰ فيها الطيف لفزع فكيف بمن يبصر بعينيه، ونسبة الجزع إلىٰ الخيال من

---

(١) الأبيات من بحر الطويل.
وهي ضمن معلقته المشهورة وهي بديوانه: ٧٥.
برواية: في (م): أثافي شفعًا ... ألا انعم صباحًا أيها الربع واسلم
والصواب ما أثبته (المحقق).

ألطف ما يكون، وكذا نسبة القصور، كما في قول المعري:

وعـذرت طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمراحل[١]

وبين تلك الأقطار فقال من كل علم، أي جبل قريب من النجوم لا تتطاول إليه عيون الناظرين لعلوه بعد الجبال الصغار، ومن كل فلاة واسعة لا تهديك منائرها، أي ليس فيها منار يهتدىٰ به فهي مجهل وكذا قول امرئ القيس:

علىٰ لاحـب لا يهتـدىٰ بمناره إذا سافِه العود النباطي جرجرا[٢]

لأنه إذا لم يكن فيه منار صدق عليه، إنه لا يهتدىٰ بمناره، وصدق أنه لم يهدك مناره ومن طرق بين الرمال صعبة علىٰ السالكين حالة كونها تراوحها الرياح الأربع، وكل ذلك تقاسيه حرصًا علىٰ لقائك، وقد أتتك وصفاتك الكريمة الفاضلة هي حلاها وحليها، أي إنما تزينت بما وقع فيها من صفاتك والثناء عليك وعلىٰ سيرتك فتزين كاهلها بالحلل ومقلدها بالحلي ترجو بذلك كله القبول لها ولصاحبها والإقبال والأمان منك بإذن الله تعالىٰ أو الأمان من الله علىٰ يديك لرجل مخلط قد أكثر من الذنوب حتىٰ اشتهر بها اشتهار الهدىٰ بالهدي والتقليد يعني نفسه، ثم قال:

---

(١) البيت من بحر الكامل.

المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري. حكيم المعرة المعروف. شاعر. فيلسوف، ولد وتوفي بمعرة النعمان. أصيب بالجدري صغيرًا ففقد بصره، ولد عام ٣٦٣هـ لم يأكل اللحم خمسًا وأربعين سنة، وتوفي ٤٤٩هـ، شعره لزوم ما لا يلزم. سقط الزند. وضوء السقط له كثير من المصنفات منها: شرح ديوان المتنبي، رسالة الملائكة، رسالة الغفران. انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٢٣، ومعجم الأدباء: ١/ ١٨١، وسقط الزند (الدار القومية - القاهرة)، وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٧٧.

(٢) البيت بديوانه: ٦٦، وقد مرَّ الاستشهاد بالبيت من قبل.

وجِل لما اكتسبتْ يداه مشفق خجل من السطرِ المسود مخوّدِ
غلق بأعلاقِ التبائع ظهره ورهانه إن لم تداو وتفتدِ

الوجل بكسر الجيم: الخائف. والخجل: المستحي، وأخود: استحيي أو سكت عن ذل. والسطر المسطور: أي المكتوب. ويقال: غلق ظهر البعير إذا دبر دبر الأبير أو غلق الرهن: ذهب في الدين. والإغلاق: جمع غلق وهو ما يغلق. والتبائع: جمع تباعة بالكسر وهي الظلامة. ولفظ وجل بالجرّ وصف لما قبله، أي يرجو الأمان لمشعر بذنوبه وجل لما اكتسب يداه من الذنوب، مشفق علىٰ نفسه من المؤاخذة، خجل ساكت لا يستطيع كلامًا من المكتوب المسودّ بالخطايا، يعني صحيفته غلق ظهره ورهانه استعمالاً للفظ المشترك في معنييه علىٰ أنه جائز وهو الصحيح وتقدم أيضًا مثله في جفن، وقوله: تداوىٰ هو بحسب المعنىٰ الأول وهو الدبر. وقوله: تفتدي بحسب المعنىٰ الثاني وهو البقاء في الدين، وجعل التبايع إعلاقًا علىٰ الظهر، ثم قال:

يرجو السعادةَ والوصولَ إلىٰ العلا لولا وجودك في الزمانِ الأبعدِ
وبفكرةٍ مغلولةٍ وعزيمةٍ زديت وقلب للبطالةِ مخلدِ
ويروحُ صفو الوردِ وهو مكدرٌ بهواهُ حيث صفا لكلٍّ مفرّدِ
ويروم سعيًا وهو عان موثق بحظوظه روم الطريح المقعد

[.....][1] زدىٰ الشيء فهو زد والجمع: زدايا، وهو الذي أضعفه المرض ويطلق علىٰ الضعيف مطلقًا. وفرد الرجل تفريدًا تفقه واعتزل للعبادة، وفي الحديث «سبق المفردون»[2]، وهم المستهزؤن بذكر الله تعالىٰ.

---

(١) في (م): إلا بقدما لا خير فيه.

(٢) الحديث رواه مسلم برقم ٢٦٧٦ من حديث أبي هريرة.

يقول: إن هذا الرجل الموصوف فيما قبله يرجو السعادة، أي حصول آثارها والوصول إلىٰ المنازل العلية في الدين والصلاح في زمن نحس لا خير فيه، لولا أنك موجود فيه، ففي الكلام تقديم وتأخير، وإنما يرجوه مع ذلك بفكرة عنده مغلولة بالجمود الأصلي، والعوارض المكدرة، وعزيمة ضعيفة لا تنتهض لخير، وقلب مخلد إلىٰ البطالة ساقط. ويروم الورد الصافي وهو مكدر بهواه ويروم سعيًا في مقامات السالكين وهو عان، أي أسير شهوته موثق بحظوظه فهو في ذلك كالطريح في الأرض المقعد يروم مشيًا، ثم قال:

فإذا عقدتَ له جوارَكَ لم يخفْ ... من مبرقٍ أبدًا ولا من مرعدِ

وإذا جذبتَ بضبعهِ فأقمته ... لم يهتبلْ لمصعّدٍ ومشرّدِ

إن الكريمَ وأنت ذاكَ مؤملٌ ... لفكاكَ مصفودٍ وغنية مصفدِ

الجوار بالكسر: الذمة، يقال: أجاره وعقد له، ويقال أيضًا: أجاره إذا أنقذه، وأجاره إذا خفره. وبرق ورعد وأبرق وأرعد: تهدد وتوعد وأصله في السحاب، ومن اللغويين من ينكر الرباعي في هذا المعنىٰ، وهو مستعمل كما في قوله:

أبرق وأرعد يا يزيـ ... ـد فما وعيدك لي بضائر[1]

والضبعُ بضم الباء وتكسر تخفيفًا: العضد. وصفده صفدًا وصفده تصفيدًا: قيده. وشرده تشريدًا: طرده. وأصفده: أعطاه.

يقول: إنك إذا أعطيته ذمة فكان في جوارك لم يبال بمن برق ولا من رعد وإذا

(١) البيت من مجزوء الكامل.
وهو للكميت، وهو بإصلاح المنطق: ٢١٦، والخصائص: ٣/ ٢٩٦، والمزهر: ٢/ ٣٣٩، وأدب الكاتب: ٤٠٠، ولسان العرب (رعد)، وزهر الأكم: ١/ ١٩٨، والأمالي: ١/ ٩٧، ومجمع الأمثال: ٣/ ٥٢٢.

أخذت بعضده فأقمته لم يبال بمن يروم تصفيده وتشريده من أبواب الخير وهو الشيطان والنفس والدنيا، فإنه الكريم من الناس، وليس في الوقت إلا أنت مرجوّ لفكاك مصفود، أي بأن يجبره من القيد أو ينقذه منه إذا وقع، ومؤمل لغنيمة مصفد، أي لأن يغني طالب الصفد وهو العطاء أو يغني من أعطىٰ قبل شيئًا لا يكفيه، ثم قال:

فاسلمْ لدهرٍ أنت شمسُ نهارِه ... والبدرُ فيه بلا كسوفٍ يعتدي

ولأمة تخذتْكَ حصنًا حيثما ... فزعتْ وغيثًا حيثما لم تعهدِ

أن يشتكو خصمًا تكنْ من دونهِ ... أو يرتجو عظم الرغائبِ تسعدِ

سعدتْ بغرّتِكَ الليالي واستمتْ ... ومن انتمىٰ لذوي السعادةِ يسعدِ

العهد: المطر بعد المطر، جمعه عهاد. وخطوب الدهر: صروفه المهمة.

يقول أسلم: أيها الشيخ، أي سلمك الله تعالىٰ وأبقاك لدهر أي زمان أنت نوره فأنت شمس نهاره، وبدر ليله، غير أنك لا يتعدىٰ عليك بفضل الله ومنته وحفظه كسوف، وبهذا خرج التشبيه علىٰ الابتذال فإن أريد حقيقة الكسوف فلا يكون قطعًا، إذ لا معنىٰ له إلا في النيرين، وإن أراد ما هو بمعناه كالسلب والسقوط فلا يكون بفضل الله تعالىٰ كما قلنا، وأسلم أيضًا لأمة، أي جماعة المسلمين أو جماعة أتباعك وأشياعك تخذوك أي اتخذوك حصنًا يلجؤن إليه عند الفزع والروع، وغيثًا يشربون به ويخصبون إذا لم يمطروا فمتىٰ اشتكوا خطبًا من خطوب الدهر كنت دونه فحلت بينه وبينهم، ومتىٰ ارتجوا الرغائب أي العطايا العظمىٰ أسعدتهم بما رغبوا وأوليتهم ما طلبوا فقد سعدت بغرة وجهك الليالي، أي وأيامها وذهبت عنها النحوس فلا يلقىٰ معها إلا الخير، ومن انتمىٰ أي انتسب نوع انتساب ولو بالمقارنة كالزمان بمن كان فيه من أهل السعادة يسعد بذلك هذا إذا أريد الزمان نفسه. فإن أريد أهله فالانتماء ظاهر،

وكذا حصول السعادة إما دائمة، وإما في الوقت.

وقد حدثني بعض الإخوان قال: قلت للشيخ رضي الله تعالىٰ عنه يومًا: يا سيدي، ما يمنعك أن تسأل الله أهل زمانك كافة وأي شيء في ذلك عند الله مع أوليائه؟ قال: فقال لي: أهل زماني ثلاثة أصناف من كان عليه الطابع فلا كلام فيه، ومن أحب فهو لا حق به، وغيرهما ينتفع بدعائنا إن شاء الله تعالىٰ في الدنيا حقق الله تعالىٰ له ذلك، ولنا بجاهه ولجميع الإخوان وسائر المؤمنين آمين، وصلىٰ الله تعالىٰ علىٰ سيدنا ومولانا محمد، وعلىٰ آل سيدنا ومولانا محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين وآل كل، والحمد لله رب العالمين.

***



الفهارس الفنية



فهرس الآيات القرآنية

***

فهرس الأحاديث النبوية

* * *

فهرس الشعر

***

فهرس أنصاف الأبيات

***

فهرس الأمثال

***

فهرس الأعلام[1]

(١) اقتصرت علىٰ ذكر الأعلام الموجودة في متن النص المحقق فقط.

ج

***

فهرس الأماكن

* * *

أهم المصادر والمراجع

● القرآن الكريم.

* الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: عامر عبدالمنعم، ود. جمال الدين الشيال، دار المسيرة - بيروت.

* الأزمنة والأنوار لابن الأجدابي (ت ٦٥٠هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية، ط٢، ٢٠٠٦م.

* الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ: لأحمد بن خالد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، ١٩٥٦م.

* الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٠م.

* الإعلام بوفيات الأعلام: للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد، وعبدالجبار زكار، دار الفكر - سورية.

* الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ٢٠٠٢م، نسخة مصوّرة عن دار الكتب المصرية.

* الأمالي لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، طبع علىٰ نفقة صاحب السمو العالم الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، منشورات المكتب الإسلامي.

- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة «سلسلة الذخائر» القاهرة، ٢٠٠٩م.

* بدائع البدائة: لعلي بن ظافر (ت ٦١٣هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.

* بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء: لأبي الحسن الروحي (ت ٦٤٨هـ)، تحقيق: عماد أحمد هلال، ومحمد حسني عبدالرحمن، وسعاد محمود عبدالستار، منشورات المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية - القاهرة، ٢٠٠٤م.

* تذكرة الأولياء: فريد الدين العطار النيسابوري (ت ٦٢٧هـ)، ترجمة وتقديم وتعليق: د. مال اليمني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

* تراجم الأوائل والخلفاء (الأعلام الصغرىٰ): خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م)، تقديم د. محمد سالمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.

* تلقيح العقول: برية بن أبي اليسر الرياضي (ت في القرن الرابع الهجري)، تحقيق: د. محمد حسين الأعرجي، منشورات الجمل - كولوينا/ ألمانيا، ٢٠٠٣م.

* تهذيب الأسرار: عبد الملك الخركوشي (ت ٤٠٧هـ)، تحقيق: بسام محمد بارود، المجمع الثقافي بأبي ظبي، ط١، ١٩٩٩م.

* التيجان في ملوك حمير: وهب بن منبه (ت ١١٠هـ)، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ١٩٩٦م.

* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٥م.

* جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام: مسلم بن محمود الشيزري (ت بعد ٦٢٢هـ)، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، زياد محمود الفياض، دار كنان للنشر - سوريا، ٢٠١٤م.

* جني الأزهار من الروض المعطار: للمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: د. محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر - القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

* الحماسة البصرية: لصدر الدين بن أبي الفرج (٦٥٦هـ)، تحقيق: د. عادل سليمان جمال، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية - القاهرة: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

* الحماسة لأبي تمام: حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق: د. عبدالمنعم صالح، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٨٠م نسخة مصورة عن طبعة مصر ١٣٥١هـ.

* خزانة الأدب وغاية الأرب: لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ٢٠١٥م.

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٤٧هـ.

* الخصائص: لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.

* الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية: للمناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: فتحي عطية بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠١٢م.

* ديوان الأعشىٰ الكبير: شرحه وقدَّم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

* ديوان امرؤ القيس: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٤م.

* ديوان أمية بن أبي الصلت: منشورات دار ومكتبة الحياة - بيروت، بدون تاريخ، ١٩٩٣م.

* ديوان بشار بن برد: جمع وتحقيق: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦م.

* ديوان البوصيري: تحقيق: محمد سيد كيلاني، مصطفىٰ البابي الحلبي - القاهرة، بدون تاريخ.

* ديوان تأبط شرًا: إعداد وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية - بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

* ديوان جميل بن معمر: تحقيق: د. حسين نصار، دار مصر للطباعة - القاهرة، ١٩٧٩م.

* ديوان حاتم الطائي: تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الكتاب العربي - دمشق، ط١، ١٩٩١م.

* ديوان حسان بن ثابت: شرحه وكتب هوامشه، عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية - بيروت.

* ديوان ابن حمديس: تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

* ديوان حميد بن ثور: جمع وتحقيق: د. محمد شفيق البيطار، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ط١، ٢٠٠٢م.

* ديوان ابن الرومي: تحقيق: د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.

* ديوان ابن طباطبا العلوي ضمن كتاب «ديوان الشعر العربي»، جمع وتحقيق: د. محمد سالمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.

* ديوان طرفة بن العبد: جمع: د. علي إبراهيم أبو زيد، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

* ديوان أبي العتاهية: نشر دار صادر، ودار بيروت - بيروت، ١٩٦٤م.

* ديوان عنترة بن شداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٢م.

* ديوان الفرزدق: شرحه وضبطه علي فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

* ديوان قطري بن الفجاءة (ضمن كتاب ديوان الخوارج)، جمع وتحقيق: د. نايف معروف، دار المسيرة - بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

* ديوان المتلمس الضبعي: عني بتحقيقه وشرحه: حسن كامل الصيرفي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة، ١٩٧٠م.

* ديوان ابن مرج الكحل (ضمن ديوان الشعر العربي)، جمع وتحقيق: د. محمد سالمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

* ديوان أبي نواس: نشر المكتبة الثقافية - بيروت (بدون تاريخ).

* ديوان الهذليين: منشورات دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م.

* ديوان زهر الآداب وثمر الألباب: لأبي إسحاق القيرواني (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ٢٠١٣م.

* زهر الأكم في الأمثال والحكم: لأبي الحسن اليوسي (ت ١٠٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر، دار الثقافة - الدار البيضاء، ١٩٨١م.

* زهر الربيع في المثل البديع: شمس الدين النواجي (ت ٨٥٩هـ)، تحقيق: د. أسامة البحيري، دار الانتشار العربي - بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

* زين الأخبار: لأبي سعيد بن الضحاك (ت ٤٤٣هـ)، دار الطباعة المحمدية - القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

* سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: لابن نباته المصري (ت ٧٦٨هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده - القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

* سمط اللآلي: لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، صححه ونقحه عبدالعزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

* شرح ديوان جرير: محمد إسماعيل عبدالله الصاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

* شرح ديوان زهير بن أبي سلمىٰ: مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م.

* شرح ديوان المتنبي: لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفىٰ السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة - بيروت.

* شرح الفوائد المحصورة في شرح المقصورة: لابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

* شعر بني سلول: جمع ودراسة وتحقيق: د. وليد محمد السراقبي، مركز

البابطين لتحقيق التراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة - الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٨م.

* الشعر والشعراء: لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، طبع بمصر ١٣٦٤هـ، وعلي شرح لأحمد محمد شاكر.

* الشعور بالعور: لصلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د.عبدالرزاق حسين، دار عمار - الأردن، ط٢، ١٩٩٤م.

* صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

* صفة الصفوة: لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري وآخرين، دار المعرفة - بيروت، ١٩٧٩م.

* طبقات الشافعية: للسبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، وعبدالفتاح الحلو، ط عيسىٰ البابي الحلبي - القاهرة، ١٩٦٤م.

* طبقات الصوفية: لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)، يسَّره ورتبه: أحمد الشرباصي، مطابع الشعب - القاهرة، ١٣٨٠هـ.

* طبقات فحول الشعراء: لابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر - القاهرة، ط٢، ١٩٧٥م.

* الطبقات الكبرىٰ (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار): عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب - القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

* عبقرية اليوسي: عباس الجراري، دار الثقافة - الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* العقد الفريد: لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد الترحيني، ود. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع - القاهرة، ٢٠٠٩م.

* عيون الأخبار: لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، ط دار الكتب المصرية/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

* غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة: لأبي إسحاق الوطواط (ت القرن السادس هـ)، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

* فصول التماثيل في تباشير السرور: لأبي عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، تحقيق: د. جورج قنازع، ود. فهد أبو خضره، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

* فهارس علماء المغرب: عبد الله المرابط الترغي، منشورات كلية الآداب - بتطوان، ط١، ١٩٩٩م.

* الكامل في اللغة والأدب: لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)، عني بطباعته الشيخ أحمد محمد كنعان، دار الفكر العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

* الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر «سيبويه» (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، ١٩٧٧م.

* كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ.

* كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني (ت ٤٨٢هـ)، تحقيق: د. محمود شاكر القطان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.

* لسان العرب: لابن منظور المصري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م نسخة مصورة عن دار صادر - ببيروت.

* ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه: محمد الأمين المحبي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: د. علي إبراهيم كردي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١١م.

* المثلين: المنسوب لمسلم بن محمد اللحجي (ت ٥٤٥هـ)، تحقيق: د. فيصل مفتاح، منشورات جامعة قاريونس - بنغازي - ليبيا، ط١، ١٩٩٨م.

* مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل - بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

* المحاضرات: لأبي الحسن اليوسي (ت ١١٠٢هـ) بعناية د. محمد حجي، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (سلسلة الأدب ١) - الرباط، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

* محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٦١م.

* المرصع: لابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي - بغداد، ١٩٧١م.

* المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

* المستطرف من كل فن مستظرف: شهاب الدين الأبشيهي (ت ٨٥٠هـ)، دار القدس للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

* المستقصىٰ في أمثال العرب: لأبي القاسم، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

* مشكاة المصابيح: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ) اعتنىٰ به: محمد نزار تميم، هيثم نزار تميم، دار الأرقم - بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* المعارف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) حققه وقدَّم له: د. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٢م.

* معجم الأدباء: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار المأمون، ١٩٣٦م.

* معجم الأعلام (معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين): بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي للطباعة والنشر - قبرص، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* معجم الشعراء العباسيين: د. عفيف عبد الرحمن، دار صادر - بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

* معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتىٰ نهاية العصر الأموي: د. عفيف عبدالرحمن، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* معجم شعراء لسان العرب: ياسين الأيوبي، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

* المعجم الصوفي: د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد - القاهرة، ١٩٩٧م.

* معجم البلدان: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

* المعجم الكبير: سليمان بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي

عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

* النبوغ المغربي في الأدب العربي: عبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني - بيروت.

* نهاية الأرب في فنون الأدب: للنويري (ت ٧٣٣هـ)، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ٢٠٠٠م، طبعة مصورة عن نسخة ١٩٢٩م، المنشورة بدار الكتب.

* نوادر المخطوطات: تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ٢٠٠١م.

* نيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأحمد بابا التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ)، بإشراف: عبدالحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس، ١٩٨٩م.

* الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصىٰ: محمد بن تاويت، دار الثقافة - الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٤م.

* الوافي بالوفيات: للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تصدره جمعية المستشرقين الألمانية، بفسبادن، بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية.

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، ١٩٧٣م.

* **الدوريـات:**

- صحيفة الشرق الأوسط، لندن: ع ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٣م.

- مجلة المناهل، ع ١٥، شعبان ١٣٩٩هـ/ يوليو ١٩٧٩م (عدد خاص باليوسي) المملكة المغربية.

***

المحقق

د. محمد علوان سالمان

* دكتوراه في الأدب العربي الحديث
* عضو اتحاد الكُتَّاب
* عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
* صدر له العديد من الأعمال، منها:
* من وحي عينيك (شعر)
* عندما يبكي الربيع (شعر)
* صراخ الصمت (شعر)
* فلسطين في الشعر المصري (دراسة)
* مأساة لبنان في الشعر العربي (دراسة)
* الإيقاع في شعر الحداثة في مصر (دراسة)
* السريرة المنزعجة في شرح القصيدة المنفرجة للبصروي (تحقيق ودراسة)
* شرح ديوان الزَّفيان السعدي (تحقيق ودراسة)

* من ديوان الشعر العربي ج١، ويضم تحقيقًا لدواوين: أبي محجن الثقفي، وصفوان التجيبي، وابن مرج الكحل.

ج٢، ويضم تحقيقًا لديواني: ابن طباطبا العلوي، وأبي بكر الخوارزمي.

* ديوان البابا شنودة: (تحقيق ودراسة).

* عمدة القاري شرح صحيح البخاري: تحقيق بالاشتراك مع آخرين (٢٤) مجلدًا.

* ديوان ابن سكرة الهاشمي (تحقيق ودراسة).

* ديوان أبي الشمقمق (تحقيق ودراسة).

* عيون الأخبار لابن قتيبة (اختصار وتقديم).

* تراجم الأوائل (الأعلام الصغرىٰ) لخير الدين الزركلي (تحقيق وتقديم).

* فن الألغاز عند العرب (دراسة وتحقيق).

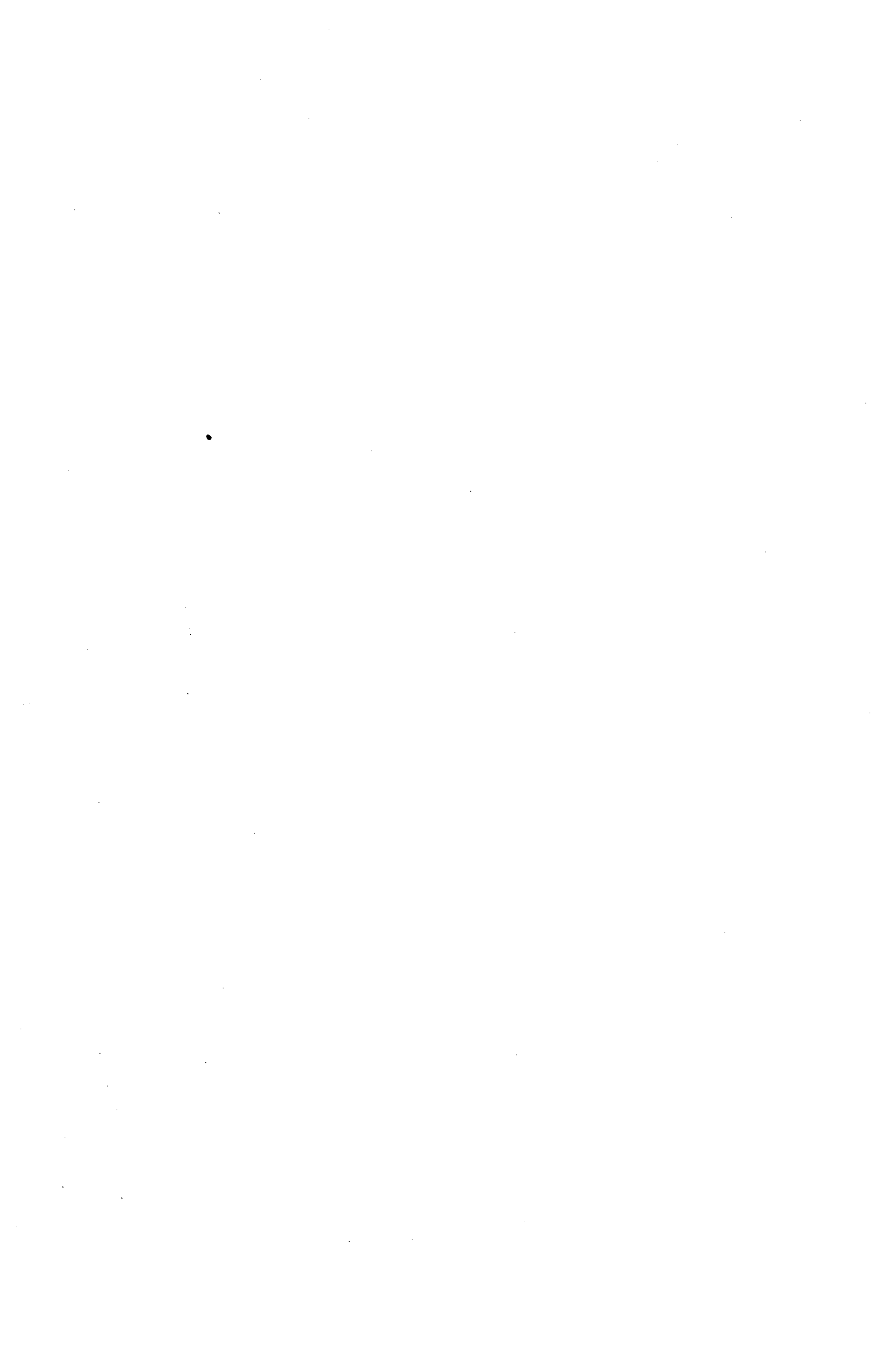
وله تحت الطبع:

* ديوان بني يشكر في الجاهلية والإسلام.

* ديوان بني الحارث بن كعب.

* حاصل علىٰ درع التفوق العلمي من أكاديمية الدراسات العليا بطرابلس الغرب.

* فاز بالميدالية التذكارية من المركز الثقافي المصري بطرابلس الغرب.



الفهرس العام

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت : ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤ - ٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبـــات ووكـــلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة- بيروت - هاتف: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت -بناية سنتر ماريبا.
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -
سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

دار المعارف

طريق تونس كلم 131 المنطقة الصناعية بأكودة
ص.ب: 215 - 4000 سوسة - تونس .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض -
تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة (ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ -
هاتف : ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية - شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة : ٢١٤٨٧ - هاتف : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -
الرياض - المملكة العربية السعودية -
ص. ب: ١٧٥٢٢ - الرياض: ١١٤٩٤ -
هاتف : ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية -
الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
هاتف : ٩٦٢٤٦٢٦٦٢٦ +
تلى فاكس : ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

الجزائر

١ - دار كتاب الغد للنشر والطباعة والتوزيع
حى 72 مسكن م. ب. أ. ع. عمارة هـ محل ٠٢ - جيجل - هاتف : 034477122 - فاكس : 034495697
موبايل : 0661448800

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



يُعدُّ أبو الحسن اليوسي واحدًا من أهم أعلام الأدب والتصوف فى المغرب العربي ... ترك العشرات من المصنفات، طبع بعضها وما زال البعض حبيس أدراج دور الكتب المختلفة.

وهذا الكتاب واحد من كتبه الأدبية المهمة... وهو من الكتب النادرة التى نرى الشاعر هو الشارح...

فقد نظم اليوسى قصيدته "الدالية" فى شيخه ابن ناصر الدرعى، وراح يشرحها على المستوى اللغوى والتاريخى والصوفى.

وردت القصيدة فى نحو ٥٤٣ بيتًا لم يكرر اليوسى قافية من قوافيها. الأمر الذى جعلها مصدرًا لكثير من المعارضات الشعرية والدراسات الأدبية والنقدية.

ISBN# 9789779107592

6 221149 041066

١٥ جنيهاً